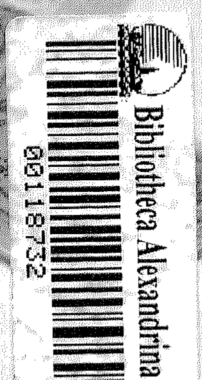
صالح الورداني

مدافع الفقهاء

التطرف بين فقهاء السلف وفقهاء الخلف





للطباعة والنشر والتوزيع

مدافع الفقهاء

صالح الوردانى

مدافع الفقهاء

التطرف بين فقهاء السلف وفقهاء الخلف



للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)

البقرة / ١٧٠

هذا النص القرآنى نقدمه لفقهاء السلف والخلف الذين يريدون تعبيد الأمة للروايات وأقوال الرجال والذين سلطوا مدافعهم على المنادين بحرية الرأى واستخدام العقل والعودة إلى القرآن..

تقـــــــديم

عندما نتحدث عن مدافع الفقهاء فإننا نقصد أولئك الفقهاء الذين توجهوا بمدافعهم نحو الجماهير لا نحو الحكام ومقاومة الظلم والفساد ...

نقصد أولئك الفقهاء الذين كانوا من صنع الحكام أو هم برزوا ونموا وترعرعوا بدعم منهم...

هؤلاء الفقهاء هم الذين حرفوا الاسلام وجعلوه فى خدمة الحكام لا فى خدمة الجماهير وهم الذين أورثونا ذلك التراث المتناقض المشوه الذى يكتظ بفتاواهم ورواياتهم التى أصبحت بدعم الحكام هى الاسلام ، وسقط النص الشرعى ضحية هذا التراث وأصبح النص هو ما ينطق به هؤلاء الفقهاء ...

ومدافع الفقهاء التى نعرض لها فى هذا الكتاب لم تطول الجماهير فى زمانهم وتلحق بهم الخسائر الفادحة فى عقائدهم ومواقفهم ودينهم وتحقق الأمن والسلام ورغد العيش للحكام فحسب وإنما امتدت لتصيب جماهير العصر الحاضر أيضاً ...

امتدت لتلحق بهم إصابات خطيرة فى عقولهم ومواقفهم ودينهم بالكامل ..

وذلك كله كان ببركات الحكام وعلى رأسهم آل سعود وأدواتهم من التيارات والرموز والمؤسسات الإسلامية التى أسهمت فى بعث مدافع الفقهاء ودفع الجماهير نحو العيش بعقل الماضى ...

من هنا فإن القضية المطروحة فى هذا الكتاب لا ترتبط بالماضى وانما هى ترتبط بالحاضر كما ترتبط بالمستقبل ...

وان ما نهدف إليه فى دائرة هذا البحث هو التحرر من أغلال هؤلاء الفقهاء وكشف حقيقتهم ودورهم والتحرر من عقل الماضى وتحقيق الاعتدال فى الفكر والتصور والسلوك .

وهو ما نهدف اليه فى جمع كتاباتنا ...

وماندعوا إليه ..

أن الفقية لا يجب أن يكون ضد الرعية وفى خدمة الحكام ...

الفقية يجب أن يكون فى خدمة النص ...

والنص إنما جاء لخدمة الجماهير ...

وهذه هى حقيقة الإسلام ...

صالح الوردانى

القاهـــرة

ص ب : ١١٧٩٤/١٦٣ رمسيس

الفقهاء بين الدين والحكام

برزت طبقة الفقهاء على يد معاوية بن سفيان حين تحالف معه عدد من الصحابة وساروا

فى ركابه وعلى رأسهم المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمروأبى هريرة ثم عائشة بنت أبى بكر..

وهؤلاء جميعاً أسهموا فى تكوين طبقة من التابعين سايرت خط معاوية وخط بنى أمية من بعده وحملت هذه الطبقة على كاهلها وضع حجر الأساس لصرح الفقة الاسلامى الحكومى الذى تطور فيما بعد على يد فقهاء العصر العباسي وتمخض عما سمى بعقيدة أهل السنة والجماعة . تلك العقيدة التى برزت لحماية هذا الفقه واضفاء المشروعية عليه وردع المخالفين له وتطويع الجماهير للحكام ...

ولقد قام هذا الفقه وتأسست هذه العقيدة على روايات وفتاوى أبى هريرة وعائشة وابن عمر ومعاوية وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة الذين تحالفوا مع بنى أمية ...

وقام الفقهاء الذين تربوا على هذه الفتاوى والروايات بتوجيه مدافعهم نحو خصومهم من التيارات الأخرى ونحو الجماهير لارهابها وعزلها عن هذه التيارات وحصرها فى دائرة الخط السائد خط الحكام الذين اعتبروا أئمة طاعتهم واجبة شرعاً وعصيانهم حرام يؤدى إلى التهلكة حسب نصوص الفقهاء التى سوف نعرض لها فيما بعد ...

- الفقهاء ويزيد بن معاوية :

يروى البخارى أن معاوية خطب فى الناس يطلب البيعة لولده يزيد من بعده فبلغ الخبر ابن عمر فدخل على حفصة اخته فقال لها : قد كان من الأمر ما ترين . فلم يجعل لى من الأمر شئ ، فقالت : الحق . فإنهم ينتظرونك . وأخشى أن يكون فى احتباسك عنهم فرقة ، فلم تدعه حتى ذهب ، فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال : من كان يريد أن يتكلم فى هذا الأمر فليطلع لنا قرنه . فلنحن أحق به منه ومن أبيه . قال حبيب بن مسلمة لابن عمر : فهلا أجبته ؟

قال ابن عمر : فحللت حبوتى . وهممت أن أقول : أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الاسلام . فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم وتحمل عنى غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله فى الجنان . فقال له حبيب : حفظت وعصمت ..[١]

(١) كتاب المغازى ..

وهذه الرواية تكشف لنا موقف ابن عمر فقيه الصحابة من معاوية وولده يزيد فهو رغم علمه بحقيقة معاوية ومكانته المهزوزة فى قلوب المسلمين وهو ما يتضح من قوله : أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الاسلام ، لم يتراجع عن بيعته ولا عن بيعة ولده يزيد ...

وحين ثار أهل المدينة على يزيد وخلعوه وأطاحوا بواليه فيها جمع ابن عمر حشمه وولده وقال : إنى سمعت رسول الله (ص) يقول : ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة ، وإنا قد بايعنا هذا الرجل - يزيد - على بيع الله ورسوله . وإنى لا أعلم غدراً أعظم من أن نبايع رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال ، وأنى لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع فى هذا الأمر إلا كنت الفيصل بينى وبينه ..[٢]

ويروى أن ابن عمر جاء إلى ابن مطيع داعية ابن الزبير الخارج على يزيد فقال : أتيتك لأحدثك سمعت رسول الله (ص) يقول : من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .. [٣]

وهاتين الروايتين يتبين منهما أن ابن عمر تجاوز حدود الموقف الشخصى بمبايعته يزيد إلى الدعوة لمناصرته ومعارضة الثورة عليه بل والعمل على إطفاء نار هذه الثورة بروايات منسوبة للرسول (ص) .. [٤]

وقد استمر ابن عمر فى موقفه الموالى للحكام هذا حتى عصر الحجاج بن يوسف حيث بايع خليفته عبد الملك بن مروان ثم صلى وراء الحجاج وشاركه فى الصلاة انس بن مالك خادم الرسول ..[٥]

ومن خلال مواقف ابن عمر هذه والروايات المنسوبة للرسول الخاصة بالحكام . استنبط الفقهاء عقائد ومفاهيم وفقه خاص يلزم المسلمين بطاعة الحكام ولو كانوا فجاراً والجهاد والحج من ورائهم ...

وبرر الكثير من الفقهاء مواقف ابن عمر هذه ومواقف يزيد ودافعوا عنه ونفوا جميع الشبهات المثارة من حوله ..

(٢) البخارى كتاب الفتن .

(٣) مسلم . كتاب الامارة .

(٤) من الروايات المنسوبة للرسول بخصوص الحكام رواية تقول : تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع . ورواية تقول : من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية . ورواية تقول : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حمليتم .. انظر مسلم كتاب الامارة . والبخارى كتاب الأحكام .

(٥) انظر تاريخ الطبرى وترجمة ابن عمر وانس فى كتب التراجم وانظر الفصل القادم ..

فقد روى ابن حنبل ليزيد رواية تقول : إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفى ثم تماثل فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه ، ولينظر إلى أسوا عمل عنده فليدعه... (٦)

وقال أبو بكر بن العربى معلقاً على هذه الرواية : وهذا يدل على عظيم منزلته عنده - أى منزلة يزيد عند ابن حنبل - حتى يدخله فى جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعون من وعظهم .. (٧)

ويقول ابن خلدون : والذى دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه إنما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع واتفاق اهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى أمية . إذ بنى أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم عصابة من قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم . فآثره بذلك دون غيره فمن يظن أنه أولى بها . وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الاهواء الذى شانه أهم عند الشارع ، وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا لعدالته ، وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه ، فليسوا مما يأخذهم في الحق هوادة . وليس معاوية ممن تأخذه العزة فى قبول الحق. فإنهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه .. (٨)

وقال ابن تيمية مهاجماً الحسين لخروجه على يزيد : إنه لم يكن فى الخروج مصلحة لا فى دين ولا فى دنيا ، وكان خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد فى بلده فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شئ بل زاد الشر بخروجه وقتله ، ونقص الخير بذلك ، وصار سبباً لشر عظيم ، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن .. (٩)

ويقول عن يزيد :إن الناس اختلفوا فى أمره إلى ثلاثة فرق :

الأولى : أنه كان كافراً منافقاً ...

والثانية : أنه كان رجلاً صالحاً وامام عدل ...

والثالثة : أنه كان ملكاً من ملوك المسلمين له حسنات وسيئات ولم يكن كافراً . ولكن جرى بسببه ما جرى .

---

(٦) انظر كتاب الزهد ..

(٧) انظر كتاب العواصم من القواصم . وهو كتاب ملئ بالتبريرات والتأويلات التى تنفى الشبهات والاتهامات التى وجهت لعثمان ومعاوية ويزيد..

(٨) انظر المقدمة وانظر العواصم من القواصم ، والعقد الفريد جـ٢/٣٧٨ . والبداية والنهاية لابن كثير جـ١٤٣/٨..

(٩) انظر منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية جـ٢/٢٤١:٢٤٢ . وانظر المنتقى منه

وهذا قول أهل العقل والعلم والسنة والجماعة ثم افترقوا ثلاث فرق :

فرقة لعنته ..

وفرقة أحبته ..

وفرقه لا تسبه ولا تحبه..

وهذا المنصوص عليه عن الامام أحمد بن حنبل وعليه المعتضد من أصحابه وغيرهم .

وقد استدل القائلون بالمغفرة له بحديث مسلم عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال : أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له . وأول جيش غزاها كان أميره يزيد .. (١٠)

وقال ابن تيمية : إن يزيد كان من شباب المسلمين ولا كان كافراً ولا زنديقاً .وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضى من بعضهم وكان فيه شجاعة وكرم ولم يك مظهراً للفواحش كما يحكى عنه بعض خصومه وجرت فى إمارته أمور عظيمة أحدها مقتل الحسين وهو لم يأمر بقتله ولا أظهر الفرح بقتله ولا نكت بالقضيب على ثناياه ولا حمل رأس الحسين إلى الشام،لكن أمر بمنع الحسين وامساكه وبدفعه عن الأمر ولو كان بقتاله..(١١)

وقال الشيخ الخضرى : إن الحسين أخطأ خطأ عظيماً فى خروجه هذا الذى جر على الأمة وبال الفرقة والإختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا ..

وغاية الأمر أن الرجل طلب أمراً لم يتهيأ له ، ولم يعد له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهى وقتل دونه ،

والحسين قد خالف يزيد وقد بايعه الناس ، ولم يظهر عنه ذلك الجورولا العسف عند إظهار الخلاف حتى يكون في الخروج عليه مصلحة للأمة ..(١٢)

- الفقهاء وعبد الملك بن مروان :

عبد الملك هو ابن مروان بن الحكم الذى هيمن على الحكم فى عصر عثمان ابن عمه وكان السبب المباشر فى الثورة عليه وقتله ، وهو الذى قتل طلحة بن عبيد الله بسهم فى ظهره فقتله وكان معه فى جيش عائشة يوم الجمل (١٣)

للذهبى والعواصم من القواصم ..

(١٠) انظر الفتاوى الكبرى جـ٤/٤٨١ وما بعدها وانظر منها ج السنة ..

(١١) الوصية الكبرى فى عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية ..

(١٢) تاريخ الامم الإسلامية جـ٢..

(١٣) مروان بن الحكم طرده الرسول من المدينة ولعنه هو وأبيه الحكم بن العاص وقد أمنه عثمان وأدخله المدينة فى حكمه عده بعض الفقهاء من الصحابة . انظر دفاع ابن حجر العسقلانى عنه فى هدى السارى

وكان عبد الملك وأبيه ضمن من أخرج من المدينة يوم الحرة حين خرجت المدينة على يزيد بن معاوية وطردت منها بنو أمية ، وخاف أن تكون الغلبة لأهل المدينة ، وحين دخلها جيش يزيد واستباحها ثلاثة أيام خر عبد الملك ساجداً وعاد إلى المدينة .. [١٤]

ويروى أن عبد الملك هو الذى دل جيش يزيد على عورات أهل المدينة وكيف يؤتون ومن أين يدخل عليهم وأين ينزل . [١٥]

وتمكن عبد الملك من قتل مصعب بن الزبير ثم قتل عبد الله بن الزبير وتدمير الكعبة على يد الحجاج وبذلك دانت له العراق والحجاز ..

يروي : اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين ، وكتب إليه ابن عمر بالبيعة وكتب إليه أبو سعيد الخدرى وسلمة بن الاكوع بالبيعة .. [١٦]

وكتب ابن عمر إليه يقول : إنى أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت ، وأن بنَّى قد أقروا بمثل ذلك .. [١٧]

ويروى أن عبد الملك بن مروان قد حفظ عن عثمان وسمع عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله وغيرهم من أصحاب رسول الله(ص) وكان عابداً ناسكاً قبل الخلافة.. [١٨]

ويروى عن نافع قوله:لقد رأيت عبد الملك بن مروان وما بالمدينة أشد تشميراً ولاأطلب للعلم منه، أحسبه قال : ولا أشد اجتهاداً .. [١٩]

ويروى عن ابن جريج قال :سمعت ابن شهاب الزهرى يسأل عن ربط الاسنان بالذهب. قال : لا بأس به ، ربط عبد الملك بن مروان أسنانه بالذهب .. [٢٠]

مقدمة فتح البارى شرح البخارى . وانظر الاصابة فى تمييز الصحابة له أيضاً .. وانظر لنا كتاب السيف والسياسة . وتفاصيل وقعة الجمل فى كتب التاريخ .

(١٤) انظر طبقات ابن سعد جـ٤/١٧٤ .وتاريخ وقعة الحرة عام ٦٣ هـ . وصار عسكر يزيد بالمدينة ثلاثاً يقتلون وينهبون ويهتكون أعراض نساء الانصار وأبناء الرسول حتى حملت ألف امرأة سفاحاً ، وقد وقف الفقهاء من يزيد بعدهذه الحادثة موقف المتفرج رغم أن النصوص صريحة بحرمة المدينة وحصانتها . انظر نماذج من تلك النصوص فى كتب السنن ، وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ..

(١٥) كان أهل المدينة قد أخذوا على بنى أمية حين أخرجوهم العهود والمواثيق أن لا يدلوا على عورة لهم ولا يظاهروا عليهم عدوا - انظر ابن سعد جـ٤/١٧٤ .

(١٦) ابن سعد جـ ٤/١٧٧.

(١٧) البخارى كتاب الاحكام . وانظر البيهقى جـ٨/١٤٧..

(١٨) ابن سعد جـ٤/١٨١..

ويروى أن عبد الملك بن مروان كان يلقب بحمامة المسجد ، وقد سئل ابن عمر : أرأيت إذا تفانى أصحاب رسول الله (ص) من نسأل؟

فأجابهم : سلوا هذا الفتى . وأشار إلى عبد الملك .. (٢١)

ويروى عن أبى الزناد : فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب .. (٢٢)

وقال الشعبى : ما جالست أحداً إلا وجدت عليه الفضل إلا عبد الملك بن مروان فإنى ما ذاكرته حديثاً إلا وزادنى فيه . ولا شعر إلا وزادنى فيه .. (٢٣)

وكانت هناك علاقة صداقة بين ابن شهاب الزهرى الذى يعد عالم السنة فى عصره وحافظها وناقل رواياتها وبين عبد الملك بن مروان ..

وكان عبد الملك هو الذى وجهه للقيام بهذا الدور ونشر الروايات المنسوبة للرسول (ص) بين الناس ثم ارتبط الزهرى بعد ذلك بالقصر الأموى حتى تولى تربية أولادهشام بن عبد الملك . ثم تولى القضاء من بعد ليزيد الثانى .. (٢٤)

وكما أخذ ابن شهاب الزهرى فتوى ربط الأسنان بالذهب عن عبد الملك بن مروان أخذ مالك أيضاً بقضاء عبد الملك فى امرأة مستكرهة بصداقها على من فعل ذلك بها وقد أكثر مالك فى الاستدلال بقضاء مروان بن الحكم وولده عبد الملك فى موطأة والعمل بفتاواه .. (٢٥)

وقد روى البخارى عن عبد الملك بن مروان ، كما روى عنه الزهرى وعروة بن الزبير وعدد من فقهاء التابعين وعبادهم مثل خالد بن معدان ورجاء بن حيوة .. (٢٦)

ومن هذه الروايات والشهادات التى عرضناها يتبين لنا أن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان كان فى منظور الصحابة الذين عاصروه والفقهاء الذين برزوا فى عصره فقيهاً ومحدثاً ثقة وعابداً ورعاً ..

---

(١٩) المرجع السابق ص١٨٢.

(٢٠) المرجع السابق.

(٢١) انظر طبقات ابن سعد وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ترجمة عبد الملك بن مروان ..

(٢٢) انظر العواصم من القواصم والبداية والنهاية جـ ٦٢/٩ ، وتاريخ الخلفاء .. وقد أصبح ابن ذؤيب المستشار الخاص لعبد الملك بعد توليه الخلافة ..

(٢٣) انظر المراجع السابقة .

(٢٤) انظر تاريخ الزهرى فى تذكرة الحفاظ للذهبى وكتب التراجم وطبقات ابن سعد وتاريخ ابن عساكر.

(٢٥) انظر موطأ مالك كتاب المكاتب وكتاب العقول وكتاب النكاح ولمروان وولده عبد الملك روايات

ولقد تجاوز الفقهاء حدود هذا الحكم إلى تناول الدين منه والأخذ بفتاواه ..

إلا أننا سوف نعرض هنا لعدد من الروايات التى تكشف الوجه الآخر لعبد الملك بن مروان وتكشف لنا من جانب أخر كيف سقط الفقهاء ضحية السياسة والحكام وأخضعوا الدين لهم ، وأن لسان حالهم ينطق بلسان الحكام لا بلسان الدين ..

يروى السيوطى عن ابن أبى عائشة قال : أفضى الأمر - الحكم - إلى عبد الملك بن مروان والمصحف فى حجره فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك .. (٢٧)

ويروى أن عبد الملك أول من غدر فى الاسلام ، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وأول من نهى عن الأمر بالمعروف .. وأول خليفة بخل فى الاسلام .. (٢٨)

ويروى أنه خطب عبد الملك بن مروان بالمدينة بعد قتل ابن الزبير عام حج سنة خمس وسبعين فقال: أما بعد . فلست بالخليفة المستضعف - يعنى عثمان - ولا الخليفة المداهن - يعنى معاوية - ولا الخليفة المأفون - يعنى يزيد - ألا وأن من كان قبلى من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال . ألا وانى لا أداوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم . تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم .. ألا وأنا نحمل لكم كل شئ إلا وثوباً على أمير أو نصب راية والله لا يفعل أحد فعلة إلاجعلتها فى عنقه . والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه .. (٢٩)

ويروى أن عبد الملك كان إذا قعد للحكم خيم على رأسه بالسيوف .. (٣٠)

وهذا الشاعر يقول فى بنى مروان :

يا قوم لا تغلبوا عن رأيكم فلقد — جربتم الغدر من أبناء مروانا

أمسوا وقد قتلوا عمراوما رشدوا — يدعون غدراً بعهد الله كيانا

ويقتلون الرجال البزل ضاحية — لكى يولوا أمور الناس ولدانا

تلاعبوا بكتاب الله فاتخذوا — هواهم فى معاصى الله قربانا (٣١)

أخري فى كتب السنن المتداولة بين المسلمين ..

(٢٦) انظر البخارى كتاب الادب المفرد . وانظر العواصم من القواصم والبداية والنهاية ..

(٢٧) تاريخ الخلفاء ..

(٢٨) المرجع السابق ..

وهذا الوجه الذى تبرزه هذه الروايات لعبد الملك بن مروان إنما يتناقض مع ذلك الوجه الذى يحاول ابرازه الفقهاء الذين جعلوا انفسهم سدنه له وسخروا الدين فى خدمة بنى أميه ..

ومثل هذه المواقف التى تبناها الفقهاء من معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان هى التى تأسس عليها موقف الفقهاء من بنى العباسى فيما بعد وسلسلة الحكام من بعدهم حتى يومنا هذا ..

- الفقهاء والمنصور العباسى:

تولى أبو جعفر المنصور الخلافة سنة سبع وثلاثين ومائة بعد وفاة أخيه أبو العباس السفاح بمرض الجدرى وكان جباراً جماعاً للمال تاركاً للهو واللعب قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه فى غاية الحرص والبخل ...

وفى عصره شرع الفقهاء فى تدوين الحديث والفقة والتفسير ..

فصنف مالك الموطأ فى المدينة .

والأوزاعى الفقة بالشام ...

وسفيان الثورى بالكوفة ...

وصنف أبو حنيفة الفقة والرأى ...

وصنف ابن اسحق المغازى ..

ويروى أن أبا جعفر المنصور كان يرحل فى طلب العلم قبل الخلافة ..[٣٢]

وروى عن الافريقى : كنت أطلب العلم مع أبى جعفر المنصور قبل الخلافة .. [٣٣]

وقال الصولى : كان المنصور أعلم الناس بالحديث والانساب مشهوراً بطلبه ..[٣٤]

وقد روى الفقهاء عن المنصور الكثير من الروايات المنسوبة للرسول نقل السيوطى عن ابن عساكر بعض منها :

---

(٢٩) المرجع السابق ..
(٣٠) المرجع السابق ..
(٣١) المرجع السابق ..

عن المنصور عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عباس أن النبى(ص)كان يتختم فى يمينه.. (٣٥)
وروى عن المنصور قال رسول الله (ص) مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح من ركب فيها نجا ومن تأخر عنها هلك .. (٣٦)

وروى عنه قال رسول الله(ص):إذا أمرنا أميراًوفرضنا له فرضاً فما أصاب من شئ فهو غلول.. (٣٧)

وروى عنه عن الرسول (ص) : كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى .. (٣٨)

وروى عنه (ص) : وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجلة وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً يقدر أن ينصره فلم يفعل .. (٣٩)

ويبدوا من خلال هذه الروايات أن الفقهاء قد وضعوا المنصور فى مصاف المحدثين من أهل العلم الذين يتحدثون بلسان الرسول (ص) كما وضعوا عبد الملك بن مروان من قبل إلا أن حقيقة المنصور وتاريخه ومواقفه تؤكد لنا أنه غير هذه الصورة وأن ما يروى عنه مجرد اختلاق بهدف تلميعه والتغطية على مساوئه وانحرافاته ..

يروى أن المنصور هو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم ،

وهو أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها ..

وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد على وكان قبل ذلك أمرهم واحد .. (٤٠)

ويروى أن عبد الصمد بن على قال للمنصور : لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو ؟ قال : لأن بنى مروان لم تبل رممهم وآل أبى طالب لم تغمد سيوفهم . ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا فى صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة .. (٤١)

(٣٢)المرجع السابق . ترجمة أبو جعفر المنصور ..
(٣٣) المرجع السابق ..
(٣٤) المرجع السابق ..
(٣٥) الرجع السابق..
(٣٦) المرجع السابق ..
(٣٧) المرجع السابق ..
(٣٨) المرجع السابق ..

ومثل هذه المساوى والتجاوزات التى تبرزها هذه الروايات أنما تكشف الوجه الآخر للمنصور وهو وجه يتناقص كما هو واضح مع الصورة التى يحاول ابرازها الفقهاء من خلال وضع المنصور فى موضع المحدثين وأهل العلم ...

وكما ألبس الفقهاء هذا الثوب للمنصور ألبسوه أيضاً لولده المهدى من بعده حيث وضعوه فى مصاف المحدثين وروواعنه ..

يقول السيوطى : المهدى أبو عبد الله محمد بن المنصور . كان جواداً ممدحاً مليح الشكل محبباً للرعية حسن الاعتقاد تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقاً كثيراً وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل فى الرد على الزنادقة والملحدين ، روى الحديث عن أبيه .. (٤٢)

وقال الذهبى : ما علمت فيه - أى فى المهدى - جرحاً ولا تعديلاً .. (٤٣)

وروى الفقهاء فى المهدى رواية منسوبة للرسول تقول : المهدى يواطئ أسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى ..

وهى رواية خاصة بالمهدى المنتظر الذى بشر به الرسول فى آخر الزمان وقد طبقها الفقهاء على المهدى العباسى ..

وكان المهدى يقتل على التهمة ومن أشهر قتلاه الشاعر صالح بن عبد القدوس .. (٤٤)

ويروى أن المهدى كان يحب الحمام فدخل عليه المحدث غياث بن ابراهيم فقال له رواية منسوبة إلى الرسول (ص) فى الحمام ، فأمر له المهدى بعشرة آلاف درهم .. (٤٥)

وروى أن شريكاً دخل على المهدى . فقال له المهدى : لا بد من ثلاث .. إما أن تلى القضاء أو تؤدب ولدى وتحدثهم أو تأكل عندى أكله . ففكر ساعة ثم قال: الأكلة أخف على ، فأكل ألوان من الطعام ثم حدثهم بعد ذلك وعلمهم العلم وولى القضاء لهم .. (٤٦)

---

(٣٩) المرجع السابق ..

(٤٠)المرجع السابق . ترجمة المهدى وانظركتب التاريخ ..

(٤١) المرجع السابق ..

(٤٢) المرجع السابق

(٤٣) المرجع السابق . وهذا يعنى أن الذهبى متوقف فيه . فيمكن قبول روايته ويمكن رفضها انظر تاريخ الاسلام للذهبى ..

- الفقهاء وهارون الرشيد :

يروى السيوطى وغيره أن هارون الرشيد كان يصلى فى خلافته فى كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة .وكان يحب أهل العلم ويعظم حرمات الاسلام ، وكان يبكى على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه سيما إذا وعظ .. (٤٧)

وقال الفضيل بن عياض عن هارون : الناس يكرهون هذا - أى هارون - وما فى الأرض أعز على منه لو مات لرأيت أموراً عظاماً .. (٤٨)

ويروى أن الرشيد كان يقتفى آثار جده المنصور إلا فى الحرص فإنه لم ير خليفة قبله أعطى منه . أعطى مرة سفيان بن عيينة مائة ألف . وأجاز اسحاق الموصلى مرة بمائتى الف . وأجاز مروان بن ابى حفصة على قصيدة خمسة آلاف دينار .. (٤٩)

وقال الذهبى : أخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنه جمة وله أخبار فى اللهو واللذات المحظورة والغناء سامحه الله .. (٥٠)

وكان أبو يوسف صاحب أبى حنيفة قاضياً لهارون ونديماً يفتى له فى كل نازلة ويسخرالدين لهواه وملذاته وقد كتب له كتاب الخراج وقال فى مقدمته : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام له العز فى تمام من النعمة ، ودوام من الكرامة ، وجعل ما أنعم به عليه موصولاً بنعيم الآخرة الذى لا ينفذ ولا يزول ، ومرافقة النبى (ص) ..

وقد حشد أبو يوسف فى كتابه هذا عشرات الروايات التى تحض على طاعة الحكام ولزوم الجماعة والصبر على الظلم وعدم سب الأمراء وعصيانهم ووجوب الصلاة من خلفهم ... (٥١)

يروى أن هارون وقعت فى نفسه جارية من جوارى أبيه المهدى فراودها عن نفسه.

فقالت : لا أصلح لك إن أباك قد طاف بى ، فشغف بها وأرسل إلى أبى يوسف فسأله : أعندك فى هذا شئ ؟

---

(٤٤)تاريخ الخلفاء وانظر كتب التاريخ ، وانظر لنا قصة صالح بن عبد القدوس مع المهدى فى كتابنا الكلمة والسيف ، وقد قتل المهدى من قتله بتحريض من الفقهاء الذين ألبسوا مخالفيهم تهمة الزندقة ..

(٤٥) تاريخ الخلفاء ..

(٤٦) المرجع السابق ..

(٤٧)المرجع السابق ترجمة هارون الرشيد ..

فقال : يا أمير المؤمنين أو كلما ادعت أمة شيئاً ينبغى أن تصدق ، لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة ..[٥٢]

قال ابن المبارك : فلم أدر ممن أعجب . من هذا الذى قد وضع يده فى دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه ، أو من هذه الأمة التى رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين ، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها ، قال : اهتك حرمة أبيك واقص شهوتك وصيره فى رقبتى[٥٣]

ويروى أن الرشيد اشترى جارية وأراد أن يطأها قبل الاستبراء ، فقال لأبى يوسف : هل عندك حيلة ؟ فقال : نعم . تهبها لبعض ولدك ثم تتزوجها .[٥٤]

ويروى أن الرشيد دعا ابو يوسف ليلاً فأفتاه فأمر له بمائة الف درهم .

فقال ابو يوسف : إن رأى أمير المؤمنين أمر بتعجيلها قبل الصبح ..

فقال : عجلوها ..

فقال بعض من عنده : إن الخازن فى بيته والأبواب مغلقة ..

فقال أبو يوسف : فقد كانت الابواب مغلقة حين دعانى ففتحت ..[٥٥]

ويروى أن القاضى الفاضل قال : ما أعلم أن لملك رحلة قط فى طلب العلم إلا للرشيد فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك ..[٥٦]

ويروى أن الرشيد أول خليفة لعب بالشطرنج من بنى العباس ،

وقال الصولى : هو أول من جعل للمغنيين مراتب وطبقات ..[٥٧]

ومن شعر الرشيد يرثى جاريته هيلانه :

قاسيت أوجاعا وأحـزانـاً   لما استخص الموت هيلانا

فارقت عيش حين فارقتها   فما أبالى كيف ما كانا

كانت هى الدنيا فلما ثوت   فى قبرها فارقت دنيانا

---

(٤٨) المرجع السابق ..

(٤٩) المرجع السابق وانظر سيرة هارون الرشيد فى كتب التاريخ - وسفيان بن عينيه أحد الفقهاء ورجال الحديث أما اسحق فهو مغنى الرشيد ..

(٥٠) تاريخ الإسلام ، وانظر المرجع السابق ..

(٥١) انظر مقدمة كتاب الخراج ..

(٥٢) تاريخ الخلفاء ..

قد كثر الناس ولـــكننى   لست أرى بعدك إنسانا

والله لا أنساك ما حركت   ريح بأعلى مجد أغصانا

ويروى : سمع الرشيد يخطب فقال فى خطبته : حدثنى مبارك ابن فضالة عن الحسن عن أنس قال . قال رسول الله (ص) : اتقوا النار ولو بشق تمرة ..[(٥٨)]

ويروى عنه قول الرسول (ص) : نظفوا أفواهكم فإنها طرق القرآن .. [(٥٩)]

- الفقهاء والمأمون :

تنامت حركة نقل الروايات وتدوينها فى عصر المنصور والرشيد كما تنامت حركة تدوين الفقه ونقله فكثرت المدارس وكثر الفقهاء وتباينت الآراء ...

وحقق المعتزلة ولأول مرة فى تاريخهم قفزة سياسية كبيرة باستقطابهم الخليفة المأمون إلى صفهم وتبنية لأفكارهم ومعتقداتهم ..[(٦٠)]

وكان أن درات الدائرة على الفقهاء الذين نموا وترعرعوا فى ظل الروايات والفتاوى المأثورة عن الصحابة والتابعين ومباركة الحكام السابقين ..

وانقسم الفقهاء في مواجهة المأمون وخط المعتزلة المناهض لهم :

فمنهم من وقف على الحياد ..

ومنهم من أعلن عدائه لهذا الخط ورفض الانصياع له ..

وقد تزعم الاتجاه الأخير أحمد بن حنبل بفرقته التى كانت فى طور التأسيس ، ودخل فى صدام مع المأمون والمعتزلة ..

إلا أن هذا الصدام لم يكن صداماً سياسياً يقوم على أساس عدم الاعتراف بشرعية حكم المأمون وإنما كان صداماً فقهياً ينحصر فى محيط قضية كلامية ليست من صلب العقيدة وهى قضية خلق القرآن .. [(٦١)]

---

(٥٣) المرجع السابق ..
(٥٤) المرجع السابق ..
(٥٥) المرجع السابق ..
(٥٦) المرجع السابق ..
(٥٧) المرجع السابق ..
(٥٨) المرجع السابق ..
(٥٩) المرجع السابق ..

وكان المعتزلة قد تبنوا فكرة خلق القرآن وكون كلام الله مخلوق .. بينما رفض ابن حنبل والحنابلة من بعده تبنى هذه الفكرة على أساس أنها منافية للموروثات الفقهية التى ورثها عن الصحابة والتابعين فضلا عن كونها منافية للروايات التي يتبناها ويقوم مذهبه على أساسها.

من هنا قام المأمون بتصفية تيار الحنابلة أومن يطلقون على أنفسهم أهل الحديث واعتقل إمامهم ابن حنبل وأحكم الحصار الفكرى من حوله كى يتراجع عن فكرة كون القران غير مخلوق إلا أن ابن حنبل أصر على موقفه مما أوقعه فى دائرة التعذيب وظل فى حبسه حتى توفى المأمون وجاء من بعده المعتصم الذى تبنى فى مواجهته نفس الموقف ، كذلك الخليفة الواثق من بعده ، حتى جاء المتوكل فأعلن مناصرته للحنابلة الذين كانوا قد اطلقوا على أنفسهم أهل السنة والجماعة ، وأطلق لهم العنان لنشر أفكارهم ورواياتهم تحت حمايته ، فكان أن بطشوا بالمعتزلة والشيعة والمخالفين لهم وكثرت الفتن والصدامات الدموية .. (٦٢)

ولأجل هذا الموقف الذى تبناه المتوكل تغاضى الفقهاء عن مساوئه وجرائمه وانحرافاته التى تصطدم بجوهر الدين ونصوصه الصريحة ، واعتبروا موقفه هذا كاف واحد لجب هذه المساوئ والجرائم والتجاوزات وغفرانها ...

يروى عن ابن تيميه قوله : ما أظن الله يغفل عن المأمون .. ولا بد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة .. (٦٣)

وأجمع الفقهاء على أن أهل الحديث أو أهل السنة هم الذين يمثلون نهج الرسول (ص) وهم الفرقة الناجية من النار والطائفة المنصورة لولاهم لأهلك الناس المعتزلة وأهل الرأى .. (٦٤)

وفى منظور الفقهاء المأمون أهان السنة وأهلها وأكرم أصحاب الاعتزال (المعتزلة) والزنادقة وأن عصره لم يكن عصراً ذهبياً بل عصر ضلال وبدع وفساد عقائدى .. (٦٥)

---

(٦٠) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد ولد سنة (١٧٠هـ) ودانت له الدولة بعد قتل أخيه الأمين سنه(١٩٨هـ) (ت٢١٨هـ)كان صاحب علم ورأى وفصاحة . وكما مال إلى المعتزلة مال إلى الشيعة أيضاً وجعل على بن موسى الرضا ثامن الأئمة عند الشيعة الامامية ولياً للعهد واظهر تفضيل علىّ على أبى بكر ..

(٦١) تقوم فكرة خلق القرآن على أساس أن كلام الله سبحانه حديث وأنه أوجد بلغة العرب فمن ثم هو ليس قديماً وإنما اخترع لرسالة محمد (ص). وهذه الفكرة قامت فى الإساس للتفريق بن ذات الله سبحانه وبين كلامه وهو ما يرفضه الطرف الآخر بزعامة ابن حنبل ويصر على أن كلام الله قديم قدم ذاته ..

(٦٢) انظر سيرة المتوكل فى تاريخ الخلفاء للسيوطى وكتب التاريخ ، وانظر فتن الحنابلة وصداماتهم مع الفقهاء والعامة والتيارات الأخرى فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير حوداث عام ٣٢١ هـ . وحوداث

إن المأمون هو الحاكم الوحيد فى تاريخ المسلمين الذى حاز على غضب الفقهاء ونقمتهم ليس لأسباب دينية أو سياسية ولكن لأسباب مذهبية . حيث أنه خالف نهجهم ومال لأصحاب العقل والرأى مما هدد نفوذ الفقهاء وأفكارهم ومعتقداتهم التى فرضوها على الأمة بدعم من الحكام السابقين بالزوال ..

يروى المؤرخون أنه لما جاء المتوكل أعلن سنة (٢٣٤هـ) إبطال القول بخلق القرآن ، وأظهر الميل للمحدثين ووقف بجانبهم واستقدمهم إلى سامراء وأجزل عطاياهم واكرمهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات وأحاديث رؤية الله ...

وجلس أبو بكر بن أبى شيبة فى جامع الرصافة فاجتمع إليه نحو من ثلاثين ألف نفس وجلس أخوه فى جامع المنصور فاجتمع إليه مثل هذا العدد ،وكثر الدعاء للمتوكل وبالغ الفقهاء فى الثناء عليه والتعظيم له واغتفروا له سوء فعاله .. (٦٦)

ويبدو لنا من خلال هذا أن فقهاء أهل السنة قد أخذوا الدفعة الكبرى التى أتاحت لهم الشيوع والانتشار والسيادة على الآخرين بالإضافة إلى نشر رواياتهم من المتوكل العباسى . وأنه لولا هذه الدفعة لكان فقهاء أهل السنة ورواياتهم فى ذمة التاريخ ...

يروى السيوطى عن أحمد بن حنبل قوله : سهرت ثم نمت فرأيت فى نومى كأن رجلاً يعرج إلى السماء وقائلا يقول :

ملك يقاد إلى مليك عادل　　　متفضل فى العفو ليس بجائر

ثم أصبحنا فجاء نعى المتوكل من سر من رأى (سامراء) إلى بغداد .. (٦٧)

وروى أيضاً عن عمرو بن شيبان قال:رأيت فى الليلة التى قتل فيها المتوكل فى المنام قائلا يقول:

عام ٣٩٨هـ فى تاريخ الاسلام للذهبى . وحوداث عام ٤٧٥هـ ..

(٦٣) العواصم من القواصم . ونقد المنطق ..

(٦٤) المرجع السابق وانظر الاعتصام للشاطبى والعقيدة الواسطة لابن تيمية وشرح أصول الاعتقاد للالكائى وشرف أصحاب الحديث للخطيب . وانظر لنا أهل السنة شعب الله المختار ..

(٦٥) العواصم . وانظر سيرة ابن حنبل فى تاريخ الإسلام للذهبى وطبقات الحنابلة . والفقهاء الذين يقفون هذا الموقف من المأمون هم الحنابلة ..

(٦٦) انظر كتب التاريخ فترة عصر المتوكل . وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ..

يا نائم العين فى أوطار جسمان	**أفض دموعك يا عمرو بن شيبان**
أما ترى الفئة الأرجاس ما فعلوا	**بالـهاشمى وبالفتح بن خـاقان**
وافى إلى الله مظـلوماً تضج لـه	**أهل السموات من مثنى ووحدان**
وسوف يأتيكموا أخرى مسمومة	**توقعـوها لها شـأن مـن الشـان**
فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم	**فقد بكـاه جميـع الانـس والجـان**

ثم رأيت المتوكل فى النوم بعد أشهر فقلت : ما فعل الله بك ؟

قال : غفر لى بقليل من السنة أحييتها .. (٦٨)

ويروى الفقهاء عن المتوكل عدة روايات منسوبة للرسول (ص) منها :

يروى السيوطى : سمعت المتوكل يحدث عن يحى بن اكثم عن محمد بن عبد الوهاب عن سفيان الثورى عن الأعمش أن رسول الله قال : من حرم الرفق حرم الخير .. (٦٩)

وروى ابن عساكر عن على بن الجهم قال: كنت عند المتوكل فتذ اكروا عنده الجمال .فقال : إن حسن الشعر لمن الجمال .. (٧٠)

ويروى عن المتوكل عن المعتصم عن المأمون عن الرشيد عن المهدى عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال:كانت لرسول الله(ص)جمة إلى شحمة أذنيه كأنها نظام اللؤلؤ .. (٧١)

وقال على بن الجهم : كان للمتوكل جمة إلى شحمة أذنية .. (٧٢)

وبداية من عصر المتوكل حصل فقهاء الرواية من الحنابلة وغيرهم على الحرية والدعم من حكام بنى العباس فانطلقوا يجمعون الروايات وينشرونها ويرهبون بها المخالفين ..

ويروى السيوطى فى تاريخ الخلفاء قول أحد الفقهاء : الخلفاء ثلاثة : أبو بكر فى قتل أهل الردة ، وعمر بن عبد العزيز فى رد المظالم ، والمتوكل فى إحياء السنة وإماته التجهم .

ويقصد بالتجهم تيار الجهمية المنسوب إلى الجهة بن صفوان الذى قتله ابن الاحوز عام (١٢١هـ) وهو تيار يتبنى المجاز والتأويل فيما يتعلق بصفات الله سبحانه وهى نفس رؤية الشيعة والمعتزلة وفقهاء الحنابلة يطلقون على كل من يتبنى المجاز جهمى . انظر الرد على الجهمية والزنادقة لابن حنبل ..

(٦٧) تاريخ الخلفاء للسيوطى . وقد مات ابن حنبل فى أيام المتوكل سنة (٢٤١هـ) ..

(٦٨) المرجع السابق . والهاشمى نسبة إلى بنى هاشم ويقصد به المتوكل أما الفتح بن خاقان فهو وزيره الذى قتل معه . وكان قتل المتوكل فى مجلس لهوه ومعه وزيره سنه ٢٤٧هـ .

(٦٩) تاريخ الخلفاء . والحديث رواه الطبرانى فى معجمه . وتأمل المتوكل يروى عن الرسول (ص) حديث

فظهر اسحاق بن راهويه والدار قطني وعلى بن المديني ويحى بن معين وغيرهم الذين تتلمذ عليهم جامعو الأحاديث وأخذوا عنهم ووثقوهم ونقلوا الروايات عن طريقهم وعلى رأس هؤلاء البخارى وأبو داودوالنسائى والدرامى والترمذى وابن ماجه والبيقهى ومسلم وابن حبان والحاكم وغيرهم .. (٧٣)

وقدم كتاب البخارى على هذه الكتب جميعاً واعتبر أصح الكتب بعد كتاب الله لخلوه من الروايات التى تدعم الاتجاهات الأخرى خاصة الشيعة المنافس الدائم للفقهاء والحكام على مر تاريخ المسلمين ..

واعتبر كتاب مسلم فى الدرجة الثانية بعد البخارى بينما اختلف فى كتب الآخرين وفى رواياتهم التى دخلت فى دائرة القبول والرفض .. (٧٤)

وكان الفضل فى انتشار البخارى وتقديمه يعود إلى الحكام وفقهاء السلاطين كذلك الحال بالنسبة لمسلم .. (٧٥)

من جهة أخرى حصل فقهاء الأحكام والعقائد على دعم الحكام وحمايتهم فدونوا كتب الفقه وكتب العقائد وتصدوا للتيارات المخالفة والمناهضة للوضع القائم ورموها بالزندقة والضلال وبدا أثر السياسة واضحاً على نتاجاتهم الفقهية والعقائدية ...

وأمسك الحكام بزمام الدين وأصبحوا يولون الفقهاء مناصب القضاء ويدعمون المذاهب الفقهية ويتغاضون عن إتجار الفقهاء بالدين مقابل سكوت الفقهاء عنهم ومباركتهم لمواقفهم وممارساتهم ..

وكان الفقهاء يسهمون بدور فاعل فى اختيار الخلفاء وإضفاء المشروعية عليهم ..

يروى السيوطى أنه لما ثار الترك على المستعين بالله وقبضوا عليه وضربوه وطالبوه بأن يخلع نفسه أحضروا القاضى ابن ابى الشوارب والشهود من الفقهاء وخلعوه (٧٦)

الرفق بينما هو كان جباراً باطشاً بالرعية متعصباً ضج الناس من ظلمه وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء ، انظر كتب التاريخ .

(٧٠) تاريخ الخلفاء . وانظر تاريخ دمشق لإبن عساكر .

(٧١) تاريخ الخلفاء والجمة يقصد بها شعر الرأس المجتمع . وهى إشارة إلى أن شعره كان طويلاً ويصل إلى شحمة أذنيه ..

(٧٢) المرجع السابق ..

(٧٣) انظر تراجم هؤلاء فى كتب الرجال وكتب الاحاديث وهى تراجم تضفى عليهم القدسية والمثالية الفائقة . انظر لنا النص والسياسة ..

(٧٤) أطلق على البخارى ومسلم لفظ الصحيحين . بينما أطلق على الكتب الأخرى اسم كتب السنن ..

ولما قرر المهتدى بالله خلع المعتز جئ بالشهود من الفقهاء وغيرهم من الأعيان فشهدوا على المعتز أنه عاجز عن الخلافة فاعترف بذلك ومد يده فبايع المهتدى .. [٧٧]

ولما حجر على الخليفة المعتمد جمع الفقهاء والقضاة والأعيان وطلب منهم أن يخلعوه فخلعوه كذلك حين خلع القاهر أقر الفقهاء ثورة الجند عليه وولوا الراضى بالله وطلبو من القاهر أن يخلع نفسه فأبى فقبض عليه الجند وقتلوه .. [٧٨]

ومن الطريف أن فقهاء المساجد كانوا يراقبون هذه الصراعات ويبادرون على الفور برفع اسم الخليفة المخلوع أوالمقتول من الخطبة ويضعون اسم الخليفة الجديد وهو فى أحيان كثيرة يكون صبياً لم يبلغ الحلم .. [٧٩]

ويروى السيوطى لما خلع المقتدر بالله وتولى الخلافة عبد الله بن المعتز ولقب بالغالب بالله وباركه الفقهاء . جمع المقتدر خواصه ولبسوا السلاح فلما رآهم ابن المعتز من حوله فر منهزماً ومعه وزيره وقاضيه بلا قتال ، وقبض المقتدر على الفقهاء والأمراء الذين خلعوه وسلموا إلى يونس الخادم فقتلهم .. [٨٠]

وفى زمن المقتدر حوكم الحلاج من قبل الفقهاء وحكموا بقتله بعد أن اتهموه بادعاء الالوهية والدعوة إلى القرامطة .. [٨١]

ويروى عن الخليفة القادر أنه كان من الديانة والسيادة وإدامة التهجد بالليل وكثرة البر والصدقات وحسن الطريقة على صفة اشتهرت عنه وعرف بها كل أحد مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد . تفقه على يد أبى بشر الهروى الشافعى ، وقد صنف كتاباً فى الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث وأورد فى كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان ذلك الكتاب يقرأ فى كل جمعة فى حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدى ويحضره الناس،وترجم له ابن الصلاح فى طبقات الشافعية[٨٢]

---

(٧٥) مسلم هو تلميذ البخارى ، وقد حملت لواء الدعوة لهذين الكتابين الدول التى قامت فى المشرق مثل الدولة الغزنوية والسلجوقية بحكم انتماء البخارى ومسلم إلى نيسابور وهما مدينتان واقعتان فى دائرة نفوذهما ، والملفت للنظر أن البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وسائر أصحاب السنن الذين تصدوا لجمع الروايات ينتمون لمنطقة واحدة وهى بلاد فارس وما وراء النهر بينما لا يوجد سوى عربى واحد تصدى لعملية الجمع قبل هؤلاء وهو أحمد بن حنبل وكتب مسنده الكبير إلا أنه لم يحظى بشهرة هذه الكتب ولم يعتمدة الفقهاء كما اعتمدو الكتب السابقة ..

(٧٦) تاريخ الخلفاء .

ولما هيمن السلاجقة على بغداد فى عهد الخليفة القائم وظهر الوزير الفقيه نظام الملك وزير ألب أرسلان أبطل ما كان عليه الحال من قبل الوزير عميد الملك من سب الأشاعرة والتعصب للحنابلة وانتصر للشافعية وأعلى من قدر الأشاعره وأكرم إمامهم الجوينى إمام الحرمين وأبا القاسم القشيرى وبنى المدرسة النظامية وهى أول مدرسة بنيت للفقهاء .. (٨٣)

وتولى الخلافة بعد القائم بأمر الله المقتدى بأمر الله وكان عمره تسعة عشر عاماً وأتم بيعته من الفقهاء أبى اسحق الشيرازى وابن الصباغ والدامغانى . وقام المقتدى بعزل فخر الدولة بن جهير من الوزارة لكونه شذ عن الحنابلة .. (٨٤)

ويروى السيوطى أن السلطان السلجوقى ملكشاه ضيق الخناق على المقتدر فدعا عليه فاستجاب الله دعائه ومات ملكشاه فعد الفقهاء ذلك من كرامات المقتدر .. (٨٥)

ويروى عن الخليفة المسترشد بالله أنه سمع الحديث عن فقهاء الحديث وذكره ابن الصلاح فى طبقات الشافعية .وهو الذى صنف له الفقية أبو بكر الشاشى كتابه العمدة فى الفقة وبلقبه اشتهر الكتاب فإنه كان حنيئذ يلقب عمدة الدنيا والدين وذكره ابن السبكى فى طبقات الشافعية .. (٨٦)

وتولى بعد المسترشد ولده الراشد فأراد السلطان مسعود السلجوقى خلعه فجمع الفقهاء وكتب محضراً فيه شهادة طائفة بما جرى من الراشد من الظلم وأخذ الاموال وسفك الدماء وشرب الخمر، واستفتاهم فيمن فعل ذلك هل تصح إمامته ؟

فأفتى الفقهاء بجواز خلعه ، وحكم بخلعه ، وبايعوا عمه محمد بن المستظهر ولقب المقتفى لأمر الله ، وقتل الراشد بعد ذلك كما قتل أبيه من قبل .. (٨٧)

ويروى الفقهاء عن المقتفى قول الرسول (ص) : لا يزداد الامراء إلا شدة ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس .. (٨٨)

---

(٧٧) المرجع السابق ..

(٧٨) المرجع السابق وانظر شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى جـ/٢/٢٩٢ أحداث عام ٣٢٢هـ

(٧٩) انظر المرجعين السابقين وكتب التاريخ .

(٨٠) تاريخ الخلفاء .

(٨١) المرجع السابق . وانظر لنا الكلمة والسيف ، وقد قتل الحلاج عام ٣٠٩ هـ .

(٨٢) انظر تاريخ بغداد لابن الخطيب ، وتاريخ السيوطى وكتب التاريخ .

ويقول ابن الجوزى عن الخليفة المستضى بأمر الله : وفى خلافته انقضت دولة بنى عبيد - الدولة الفاطمية - وخطب له بمصر وضربت السكة باسمه وجاء البشير بذلك فغلقت الأسواق فى بغداد وعملت القباب ، وصنفت كتاباً سميته (النصر على مصر) .. (٨٩)

وقال الذهبى : فى أيامه ضعف الرفض - التشيع - ببغداد ووهى ، وأمن الناس ، ورزق سعادة عظيمة فى خلافته ، وخطب له باليمن وبرقة ومصر إلى أسوان ودانت الملوك بطاعته وذلك سنة سبع وستين وخمسمائة .. (٩٠)

وقال العماد الكاتب : استفتح السلطان صلاح الدين سنة سبع وستين وخمسمائة بإقامة الخطبة فى الجمعة الأولى منها بمصر لبنى العباس وعفت البدعة وصفت الشرعة .. (٩١)

ويروى عن الخليفة المستنصر بالله أنه أنشأ المدرسة المستنصرية ورتب فيها الرواتب الحسنة لأهل العلم على المذاهب الأربعة .كما رتب فيها مطبخاً للفقهاء بالإضافة إلى البسط والحصر لبيوتهم والزيت والورق والحبر وغير ذلك وجعل لهم فوق ذلك فى الشهر ديناراً ونقل إليها الكتب النفيسة .. (٩٢)

ويروى عن المستعصم بالله : كان متديناً متمسكاً بالسنة وخرج له الفقهاء أربعين حديثاً ، قال السيوطى : رأيتها بخطة .. (٩٣)

وقد استخدم حكام بنى العباسى الفقهاء فى محاربة الدولة الفاطمية فى مصر والتى ضمت إليها الشام وأصبحت تهدد الخلافة العباسية فى بغداد ..

ومن صور هذه الحرب حملات التشكيك التى شنها الفقهاء حول نسب الفاطمين إلى بيت الرسول (ص) ومحاولاتهم ربط نسب الفاطميين باليهود ..وقد كتب الفقهاء محضراً فى بغداد يطعن فى نسب الفاطميين هذا نصه :

---

(٨٣) انظر تاريخ الخلفاء والمراجع التاريخية التى ترصد فترة ظهور السلاجقة . وانظر ترجمة ألب ارسلان والوزير نظام الملك فى وفيات الاعيان لابن خلكان جـ٥/ ٦٩١ وجـ ٢/ ١٧٩..

(٨٤) تاريخ الخلفاء وتاريخ الإسلام للذهبى ..

(٨٥) تاريخ الخلفاء

(٨٦) المرجع السابق ..

(٨٧)المرجع السابق ..

(٨٨) المرجع السابق

(٨٩) السابق . وانظر بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس الحمسوى ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى والسلوك فى معرفة دول الملوك للمقريزى والبداية والنهاية لابن كثير أحداث عام ٥٦٧هـ ، وهذه

هذا ما شهد به الشهود أن معد بن اسماعيل المستولى على مصر ، هو معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، وأنهم منتسبون إلى ديصان بن سعد الدين ينتسب إليه الديصانية، وأن سعيد المذكور صار إلى المغرب وسمى بعبيد الله ولقب بالمهدى وأن هذا الناجم الحاكم بمصر هو منصور الملقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبوار والدمار - ابن نزار بن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ، وان من تقدمه من سلفه الأرجاس الانجاس - عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - أدعياء خوراج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب - رضوان الله عليه - ولا يتعلقون منه بنسب ، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور ، لم يتوقف أحد من أهل بيوتات الظالمين من اطلاق القول فى هؤلاء لأنهم خوراج أدعياء ، وأن هذا الانكار لباطلهم كان سابقاً بالحرمين وفى أول أمرهم بالمغرب انتشر انتشاراً عظيماً ، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق وزنادقة ملحدون معطلون وللاسلام حاجزون ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون . عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمور وسفكو ا الدماء وسبوا الأنبياء وادعوا الربوبية ..

وكتب ذلك فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة ، وشهد بذلك من العلويين الشرفاء : المرتضى والرضى الموسويان ، وجماعة منهم ، وشهد من الفقهاء المعتبرين الشيخ أبو حامد الاسفراينى، وابو الحسن القدورى، وقاضى القضاة محمد بن أحمد، وابو عبد الله البيضاوى ..(٩٤)

وقد انساق الفقهاء والمؤرخون وراء هذه الدعوى دون تدبر باستثناء المقريزى الذى انتقد هذا المحضرواعتبر ما يقال فى الفاطميين إنما هو من صنع خلفاء بنى العباس وهو من قبيل الموضوعات.. (٩٥)

المراجع وغيرها تشهد بمدى الفرحة والشماته التى أظهرها الفقهاء لسقوط الدولة الفاطمية الشيعية فى مصر والتى كانت مناسبة ليقدم هؤلاء الفقهاء قرابين الطاعة والولاء لخلفاء بنى العباس .انظر لنا كتاب الشيعة فى مصر..

(٩٠) انظر تاريخ الإسلام . وتاريخ الخلفاء ، وتأمل قول الذهبى الذى ربط الأمن والسلام بذهاب التشيع معتبراً اتساع ملك المستضى من علامات الرضى والسعادة ..

(٩١) تاريخ الخلفاء

(٩٢) المرجع السابق .

(٩٣) المرجع السابق ..

- الفقهاء والأيوبيين :

كان صلاح الدين شافعياً أشعرياً متعصباً وعندما جاء إلى مصر مع أسد الدين شيركوه بأمر نور الدين محمود لدعم مصر فى مواجهة الفرنجة. اكرمه الخليفة الفاطمى العاضد ووزره بعد وفاة شيركوه، فما أن تمكن صلاح الدين حتى دبر للعاضد فلم يزل أمره فى ازدياد وأمر العاضد فى نقصان ..[٩٦]

وعندما سقطت الدولة الفاطمية بعد وفاة العاضد سيرت الخلع من بغداد إلى نور الدين وصلاح الدين وللخطباء بالديار المصرية وأرسلت معهم الرايات السود رايات العباسيين[٩٧]

وأخذت بطانة الفقهاء المحيطة بصلاح الدين تحرضه على الشيعة فقام بصرف قضاة مصر الشيعة وفرض المذهب الشافعى وحمل الكافة على عقيدة الأشعرى فى مصر وبلاد الشام ومنها إلى أرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب حتى أصبح الاعتقاد السائد الممثل لأهل السنة فى سائر هذه البلاد ومن خالف عن ذلك ضرب عنقه .. [٩٨]

وولى صلاح الدين صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردى قضاء القاهرة ..[٩٩]

وقبض على أولاد العاضد وحبسهم واستولى على ما كان بالقصور من أموال وفرق بين الرجال والنساء ليكون ذلك أسرع إلى انقراضهم ..

يقول ابن خلكان القاضى معبراً عن فرحته بما فعل صلاح الدين وشماتته بالفاطميين : وكانت هذه الفعلة من أشرف فعاله فلنعم ما فعل ، فإن هؤلاء كانوا باطنيين زنادقة وأضحى الدين واحد بعد أن كان أدياناً والبدعة خاشعة ، والجمعة جامعة ، والمذلة فى شيع الضلالة شائعة ، وحقت عليهم الكلمة تشريداً وقتلاً (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً)[١٠٠]

وقام صلاح الدين بإحراق نفائس الكتب التى حوتها دار الحكمة بالقاهرة ودار العلم الفاطميتين وأغلق جامع الأزهر وأبطل الخطبة فيه فلم يزل معطلاً عن إقامة الجمعة فيه مائة عام حتى عصر السلطان الظاهر بيبرس .. [١٠١]

---

(٩٦) انظر خطط المقريزى جـ٢ . والنجوم الزاهرة ترجمة العاضد جـ٥/٣٣٤..

(٩٧) انظر المرجعين السابقين . والكامل لابن الأثير جـ ٩/١١١..

(٩٨) خطط المقريزى ..

(٩٩) النجوم الزاهرة ..

(١٠٠) وفيات الاعيان جـ ٥ /٣٤١..

وكان نجم الدين الخبوشانى الفقية الشافعى نديم صلاح الدين يحرضه على الشيعة ويفتيه بوجوب استئصالها ، وكان محل ثقته ورضاه ، ولما مات وجد لديه ألوف الدنانير قد جمعها بغير الحق ولم يصرفها فى وجوهها المشروعة وأسف عليه صلاح الدين وخاب ظنه فيه .. (١٠٢)

وكان نور الدين محمود يجمع الفقهاء من حوله ويستقدمهم من بلاد شتى ويعظمهم ويكرمهم وقد عهد للفقيه عماد الدين عمر بن حمويه بولاية خوانق دمشق وكان من المقربين إليه وأطلق عليه لقب شيخ الشيوخ ، ثم بعد وفاته عهد صلاح الدين الذى كان قد تولى السلطنة بعد وفاة نور الدين – الى صدر الدين محمد بن عماد الدين عمر بن حمويه بولاية مشيخة دمشق وقام بنقله بعد ذلك إلى مصر ليتولى أمر المدرسة الصالحية وهى مدرسة خاصة تدرس المذاهب الأربعة وذلك بهدف تطويق المذهب الشيعى هناك والقضاء على آثاره وهذه المدرسة كان يدرس بها الخنبوشاني قبل وفاته (١٠٣)

وتجاوز صدر الدين هذا الدور فى ظل الدولة الايوبية إلى القيام بدور سياسى إذ كان رسول العادل الايوبى إلى الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، وكان رسول الملك الكامل محمد نائب السلطنة بمصر إلى والده السلطان العادل بدمشق ، ورسوله إلى بغداد ... (١٠٤)

وقد لعب أولاد صدر الدين الأربعة وهم عماد الدين ، وكمال الدين ومعين الدين وفخر الدين دوراً بارزاً فى مساندة الحكم الايوبى حتى سقوطه ، وتولى عماد الدين التدريس مكان والده فى المدرسة الصلاحية وبالمشهد الحسينى وكان ملازماً للملك الكامل وقد جمع له بين رياسة العلم والقلم ... (١٠٥)

وبعد مقتل عماد الدين تولى مكانه شقيقة كمال الدين واستعان به الملك الكامل فى حسم الصراع مع اخوته على السلطة ، ثم ولاه بعد ذلك الوزارة فى الديار المصرية فى آخر عام (٦٢٧ هـ) وحصل على لقب شيخ الشيوخ ، واعتمد عليه الملك الصالح نجم الدين ايوب بعد ذلك فى مواجهة منافسية والخارجيين عليه من الامراء .. (١٠٦)

---

(١٠١) خطط المقريزى جـ٣..

(١٠٢) النجوم الزاهرة جـ ٦ / ١١٦..

(١٠٣) انظر مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب جـ١ .وتاريخ .ابن خلدون جـ ٥ ، وخطط المقريزى حـ٣ والخوانق جمع خانقاه وهى كلمة فارسية معناها بيت وهى هنا يقصد بها خلوة الصوفية وطلبة العلم..

(١٠٤) انظر المراجع السابقة . وحسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة جـ٢.

(١٠٥) انظر المراجع السابقة ..

(١٠٦) قتل عماد الدين فى ظروف مشبوهة وأتهم بقتله أحد أمراء الأيوبيين . انظر المراجع السابقة وانظر شذرات الذهب فى اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى جـ ٥ والنجوم الزاهرة فى محاسن ملوك

ونفس الدور قام به بع وفاته شقيقه الثالث معين الدين الذى كان رسول الملك الكامل محمد إلى الخليفة المستنصر فى بغداد وألقى أمامه كلمة تقول : عبد الدولة المقدسة المستنصرية يقبل القباب التى يستشفى بتقبيل ثراها ويستكفى بتمسكه من عبوديتها بأوثق عراها ، ويوالى شكر الله تعالى على أماطة ليل العزاء الذى عم مصابه بصبح الهناء الذى تم نصابه حتى تزحزح عن شمس الهدى شفق الاشفاق فجعل كلمتها العليا وكلمة معاديها السفلى وزادها شرفا فى الآخرة و الأولى ، ثم تولى الوزارة من قبل نجم الدين ... [(١٠٧)]

أما الشقيق الأصغر فخر الدين فقد خلع العمامة ولبس زى الامراء ونادم الملك الكامل وتخلى عن دوره الفقهى ... [(١٠٨)]

- الفقهاء والمماليك :

ورث المماليك عن الايوبيين مذهب الأشعرى فى العقيدة والشافعى فى الفقة الذى فرضهما السلطان صلاح الدين على المصريين بعد تصفية الوجود الشيعى فيها ... [(١٠٩)]

وفى سنة (٦٦٥هـ) أصدر الملك الظاهر بيبرس مرسوماً بقصر التعامل فى مجال الفتوى على أحد المذاهب الأربعة وفى مجال العقيدة على مذهب الأشعرى .. [(١١٠)]

ولما كان حكام المماليك أصولهم من الرقيق كانت حاجتهم إلى الشرعية أشد من حاجة غيرهم من الحكام فمن ثم قد احتضنوا الفقهاء وقربوهم وأنعموا عليهم بالمناصب والعطاء فأصبحوا ظلهم الدائم لا يقطعوا أمراً دونهم ..

وكان فقهاء الشافعية هم الأقرب دوماً من السلطان وأكثر المتولين لمناصب القضاء على مستوى مصر والشام دائرة حكم المماليك ..

وكان حكام المماليك يمارسون سنة الأيوبيين والعباسيين من قبلهم فى اختيار السلطان ومبايعته بشهادة الفقهاء ومباركتهم ..

مصر والقاهرة لأبى المحاسن جـ٦ ، وخطط المقريزى جـ٢ .

(١٠٧) انظر الفخرى فى الاداب السلطانية وخطط المقريزى جـ٢ ، والسلوك فى معركة دول الملوك جـ٢ .

(١٠٨) انظر مفرج الكروب جـ٥ والسلوك جـ١..

(١٠٩) اصدر صلاح الدين من قبل قراره بوجوب اعتناق مذهب الشافعى فى الفقة والأشعرى فى

ويحدثنا التاريخ أن الفقهاء وحكام المماليك كانوا فى حالة وئام وتعايش ولم تبرز حالة صدام واحدة بين الطرفين رغم وجود شبهات شرعية حول تولى الرقيق أمر المسلمين ورغم أن الطرف الحاكم كان شديد التعسف والظلم للرعية .. [١١١]

وحين سقطت الدولة العباسية على يد التتار عمل الظاهر بيبرس على إحياء الخلافة العباسية فى مصر فاستقدم أحد أبناء العباسيين وهو أحمد بن الخليفة الظاهر بن الخليفة الناصر والذى كان قد فر هارباً من وجه التتر ...

وخرج الظاهر بنفسه ومعه وزيره وقاضى القضاه تاج الدين بن بنت الأعز والفقهاء والأمراء لاستقباله وأسكنه قلعة الجبل ثم أشهد قاضى القضاة والفقهاء بأن نسبه يتصل بالعباس بن عبد المطلب وأقر بذلك القضاة والفقهاء ، فقام السلطان بيبرس فبايعه وتبعه القضاة والفقهاء ولقب بالمستنصر بالله .. [١١٢]

ولم تكن فكرة نقل الخلافة العباسية إلى مصر سوى واجهة لحكام المماليك يستمدون منها الشرعية التى افتقدوها بسبب انتسابهم إلى الرق .

ففى نفس العام الذى وصل فيه المستنصر العباسى إلى مصر وهو عام (٦٥٩هـ) قام بيبرس بجمع القضاة والفقهاء وجاء بالمستنصر ليخلع عليه خلعة السلطنة ويقلده حكم البلاد وتم ذلك فى حفل كبير .. [١١٣]

وكان الخليفة العباسى فى ظل حكم المماليك لا يملك من الأمر شئ فهو ليس إلا مجرد صورة وتنحصر مهمته فى تقليد سلاطين المماليك وتفويضهم لحكم البلاد ، واذا ما بدرت منه بادرة أثارت ريب السلطان فإنه لا يترد فى عزله وحبسه أو قتله وتولية الخلافة لمن يشاء من أبناء العباسيين فى مصر .. [١١٤]

وقد عايش الفقهاء هذا الوضع المتناقض والمخالف لقواعد الفقة والاعتقاد التى ورثوها عن طريق السلف والروايات .. [١١٥]

العقيدة وأن من لا يلتزم بذلك حل دمه . انظر خطط المقريزى . وانظر لنا الشيعة فى مصر ..

(١١٠) انظر خطط المقريزى ..

(١١١) طال هذا الظلم والتعسف الفقهاء أنفسهم . ويذكر أن هناك حالة واحدة لصدام وقع بين الفقهاء وحكام المماليك وهى حالة سلطان العلماء الشيخ العز بن عبد السلام وتصديه للرسوم المالية التى كان يفرضها المماليك على الناس كما طالب ببيع المماليك في الأسواق ثم تحريرهم ..

(١١٢) انظر تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ، والمقريزى السلوك جـ١ وبدائع الزهور والنجوم الزاهرة

(١١٣) انظر المراجع السابقة وتاريخ الخلفاء ..

وحين برز ابن تيمية واصطدم بفقهاء عصره بسبب أفكاره الشاذة فى مسألة صفات الله وزيارة القبور والطلاق وغيرها من المسائل انحاز إليه بعض أمراء المماليك وعاداة الطرف الآخر، ورغم العلاقة التى كانت تربطه بالسلطان محمد بن قلاوون إلا أنه ضحى به فى النهاية تحت ضغط الفقهاء والقضاة وحبسه حتى مات فى الحبس .. (١١٦)

وفى عصر السلطان الناصر فرج الذى حفل بالمظالم والاضطربات وسفك الدماء دخل فرج فى صدامات مع الأمراء الخارجين عليه فى الشام ولحقت به الهزيمة النكراء فاستدعى الفقهاء والقضاة وحثهم على نصرته والقيام معه فأجابوه .. (١١٧)

وحين أطيح بالناصر فرج واستبد الأمراء بالحكم تحت ستار الخليفة المستعين ، وعاد فرج للمطالبة بالحكم بقوة عسكرية . كتب المستعين والقضاة والفقهاء محضراً يحكمون بمقتضاه على الناصر فرج بالخروج عن الدين واستباحة دمه .. (١١٨)

ولما سقط الناصر فرج فى قبضة الأمراء اجتمع المستعين والفقهاء من مصر والشام وقرروا جميعاً الحكم باراقة دمه ، فقتل فى صفر عام (٨١٥ هـ) .. (١١٩)

ثم أن القضاة الأربعة - الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى - اجتمعوا بعد ذلك بإشارة من كاتب سر السلطان المؤيد شيخ واتفقوا على خلع الخليفة المستعين .. (١٢٠)

وكان حكام المماليك إذا ما خرجوا للحرب يأخذون الفقهاء معهم ضمن عناصر الجيش (١٢١)

وقد عبر ابن حجر العسقلانى عن سعادته بانتصار المستعين على المماليك واسترداده لسلطاته قبل أن يطاح به من جديد - بقصيدة طويلة تقول :

الملك فينا ثابت الاساس … بالمستعين العادل العباسى

رجعت مكانة آل عم المصطفى … لمحلها من بعد طول تناسى

---

(١١٤) انظر المراجع السابقة وكتب التاريخ التى ترصد العصر المملوكى ..

(١١٥) تنص عقيدة الفقهاء وقواعد الفقه على أن الخليفة يجب أن يكون قرشياً وهو ما أشارت به الروايات ..

(١١٦) انظر ترجمة ابن تيمية فى الدور الكامنة ..وانظر تفصيل هذا الأمر فى فصل مدافع ابن تيمية ..

(١١٧) انظر النجوم الزاهرة جـ١٣ والمقريزى وكتب التاريخ .

(١١٨) انظر المراجع السابقة ، وحسن المحاضرة للسيوطى جـ٢ ، ويذكر أن المستعين قام بعزل جلال الدين البلقينى قاضى الشافعية لتحالفه مع الناصر فرج . وكان للبلقينى دور بعد ذلك فى التآمر على

فرع نما من هاشم فى روضــــــة	زاكى المنابت طيب الاغـــراس
من أسرة أسروا الخطوب وطهروا	مما يغيرهم من الأدنــــــــاس
مثل الكوكب نوره مـــا بينهم	كالبدر أشرق فى دجى الاغلاس
فالحمــد لله المعــز لدينــــه	من بعد ما قد كان من ابــلاس
ومناقب العباسى لم تجمع سوى	لحفيده مـــلك الـــورى العبــاسى
لا تنـــكروا للمستعـين رئـاسة	فى الملك من بعد الجحود النـــاس
مولاى عبدك قد أتى لك راجياً	منك القبول فلا يرى من بـــــاس
فـأدام رب الناس عـزك دائمــــاً	بالحق مـحـروساً بـرب النــــــــاس.

(١٢٢)

ويقول السيوطى مباركاً هذه الفترة : واعلم أن مصر حين صارت دار الخلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الاسلام فيها ، وعلت فيها السنة ، وعفت عنها البدعة ، وصارت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء ، وهذا سر من أسرار الله أودعه فى الخلافة النبوية حيث ما كانت يكون معها الايمان والكتاب .. (١٢٣)

- الفقهاء والعثمانيين :

وضع العثمانيون حجر الاساس لأول مؤسسة دينية حكومية تخضع لإشراف الحكم فى تاريخ المسلمين ، وقبلهم كان الحكام يتعاملون مع الفقهاء وفق الحاجة والمصلحة .

فتاوة يقربون الشافعية ..

وتارة ينقمون عليهم ...

وتارة يقربون المالكية ..

وتارة ينقمون عليهم ..

وكان من الممكن للحاكم أن يتعامل مع فقهاء المذاهب الأربعة فى وقت واحد . كما كان الفقهاء والقضاة يدينون بالطاعة والولاء للحاكم ولكنهم لم يكونوا ينطقون جميعهم بلسانه

المستعين ..

(١١٩) انظر المرجعين السابقين وتاريخ الخلفاء ..

(١٢٠) انظر بدائع الزهور جـ١ وخطط المقريزى جـ٢ والنجوم جـ ١٣ . وانظر تاريخ الخلفاء ..

(١٢١) انظر المراجع السابقة ..

ويعتمدون فى أرزاقهم عليه ..

إلاأن العثمانيين بإعلانهم مؤسسة شيخ الاسلام قد حكروا الدين فى دائرة هذه المؤسسة التى منحت الشرعية وفق مذهب الاحناف الذى تبنته الدولة العثمانية بينما أخرجت المذاهب والاتجاهات الأخرى من دائرة الحماية الحكومية لتتحول إلى أنشطة فقهية أهلية لا تملك القدرة على التأثير فى الجماهير والانتشار على ساحة الواقع بل أصبحت محل رصد السلطة وتحيط بها الشبهات وتوضع أمامها العراقيل .. (١٢٤)

وتحول الفقهاء إلى موظفين فى الدولة فأصبحوا ينتظرون تعليماتها وينطقون بلسانها ويفتون لصالحها ..

ومن باب حماية هذه المراكز الوظيفية والامتيازات التى ترتبط بها اتخذ فقهاء الدولة موقف العداء الصريح من الفقهاء والأنشطة والتيارات التى لا تخضع لهم وتنازعهم دورهم وتهدد نفوذهم وتوقع بينهم وبين الحاكم ...

وبداية من هذه الفترة ظهرت طبقتان من الفقهاء :

طبقة حكومية .

وطبقة شعبية ..

وبين الطبقتين صراع قائم ومستمر كثيراً ما يسهم الحاكم فى زيادة حدته من باب سياسة فرق تسد ومن باب شغل الجميع ببعضهم ..

ولقد استقبل الفقهاء العثمانيين كفاتحين مسلمين جاءوا لتحريرهم من استعمار المماليك واعترفوا بهم كخلفاء شرعيين .

يقول ابن العماد عن سليم الأول العثمانى : هو من بيت رفع الله على قواعده فسطاط السلطنة الاسلامية ، ومن قوم أبرز الله تعالى لهم ما ادخره من الاستيلاء على المدائن الايمانية رفعوا عماد الاسلام وأعلوا مناره وتواصوا باتباع السنة المطهرة وعرفوا للشرع الشريف مقداره وصاحب الترجمة منهم - أي سليم - هو الذى ملك بلاد العرب واستخلصها من أيدى

(١٢٢)تاريخ الخلفاء . وابن حجر من أعيان القرن التاسع ومن كبار فقهاء أهل السنة وهو الذى تصدى لشرح البخارى بكتاب أسماه فتح البارى شرح صحيح البخارى وضع له مقدمة طويلة تحت عنوان هدى السارى دافع فيها عن الطعون التى وجهت للبخارى والقصيدة تزيد على الأربعين بيتاً وقد اخترنا منها هذه الابيات العشرة ..

الجراكسة - المماليك - بعد ما شتت جمعهم ... (١٢٥)

ويقول الشيخ مرعى الحنبلى مثنياً على سليم الأول لتصديه لإسماعيل الصفوى الشيعى مؤسس الدولة الصفوية فى ايران : وفى أيامه تزايد ظهور شأن اسماعيل شاه واستولى على سائر ملوك العجم وقتل العلماء وأحرق كتبهم ونبش قبور المشايخ من أهل السنة ، فلما بلغ السلطان سليم ذلك تحركت همته لقتاله وعد ذلك من افضل الجهاد .. (١٢٦)

وعندما دخل سليم الأول حلب وحضر صلاة الجمعة فيها خطب الخطيب باسمه ونعته بخادم الحرمين الشريفين فسجد لله شكراً ثم ارتحل إلى الشام وأمر بعماره قبة على الشيخ محى الدين بن عربى بصالحية دمشق .. (١٢٧)

وعندما دخل سليم الأول مصر ودانت له استقبله الفقهاء والقضاة فقام بتولية القضاة الأربع وهم كمال الدين الشافعى ونور الدين على الطرابلس الحنفى والدميرى المالكى وشهاب الدين بن النجار الحنبلى ... (١٢٨)

وكان القاضى بن ظهيره الشافعى قاضى مكة قد حبس بمصر بأمر من السلطان الغورى ثم أطلقه طومان باى بعد مصرع الغورى فى وقعة مرج دابق ، ولما جاء سليم الأول مصر جاء إليه بن ظهيره فأكرمه وعظمه وخلع عليه وجهزه إلى مكة معززاً مكرماً مع الاحسان إليه وجعله نائبه فى تفريق الصدقات السليمية .. (١٢٩)

ولما دخل السلطان سليم الأول إلي مدينة تبريز لقتال شاه اسماعيل الصفوى أخذ معه إلى بلاد الروم الفقية ظهير الدين الاردبيلي الحنفى الشهير بقاضى زاده وعين له كل يوم ثمانين درهما .. (١٣٠)

وفى سنة (٩٥٦هـ) جلس المولى عبد الكريم الملقب بمفتى شيخ الرومى الحنفى بقسطنطينية مشتغلاً بالارشاد والفقة حتي أتقن مسائلة وعين له السلطان سليمان كل يوم مائة عثمانى

(١٢٣) حسن المحاضرة ..

(١٢٤) تحقق للمذهب الحنفى أول انتشار عالمى فى تاريخه على أيدى العثمانيين إذ أصبح المذهب الرسمى لكثير من الدول حتى اليوم ، ولا زال المذهب الرسمى للأزهر .

(١٢٥) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى جـ ١٤٣/٨ احداث عام ٩٢٦ هـ ..

(١٢٦) شذرات الذهب جـ ٨ /١٤٤ . أحداث عام ٩٢٦هـ ..

(١٢٧) المرجع السابق صـ ١٤٥.. ويذكر أن سليم الأول كان قد استصدر فتوى من الفقهاء تبيح له غزو مصر ومحاربة المسلمين . كما أن سليم الثانى استصدر فتوى عام ١٥٧٠ م تبيح له نقض العهود والمواثيق مع أهل البندقية والعدوان عليهم ..

ونصبه مفتياً فأفتى وظهرت مهارته في الفقة ... [١٣١]

ولم يكن حكم الاتراك العثمانيين يختلف في شئ عن حكم الأمويين والعباسيين وغيرهم من الدول الجائرة المستبدة التي كان الدين بالنسبة لها مجرد شعار ولا تطبق أحكامه إلا على الرعية ..

وقد أحدث السلطان مراد الأول منصب قاضي العسكر الذي كان صاحب سلطة مطلقة تجاوزت الحدود العسكرية إلى السيطرة على القضاة والفقهاء والموظفين .. [١٣٢]

وخضت الهيئات الدينية والقضائية بعد عهد سليم الأول لمفتي استانبول أو ما أطلق عليه مفتي التخت السلطاني أو شيخ الاسلام ، وعمل السلطان محمد الثاني وسليمان الأول على ودعم مركز شيخ الاسلام وتقوية شوكته ورفعه إلى أعلى المناصب الإدراية في الدولة.. [١٣٣]

ومع بروز الحركة الوهابية الحنبلية في جزيرة العرب واعلانها الحرب على دولة الخلافة العثمانية ، استثمر العثمانيون الفقهاء في مواجهتها وابطال دعواها ..

إلا أن الحركة الوهابية رغم الضربات القاتلة التي وجهت لها على يد محمد على حاكم مصر وقواته تمكنت من الانتصار على العثمانيين في النهاية والاستقلال بجزيرة العرب وذلك بدعم آل سعود وقوى أجنبية أخرى معادية للعثمانيين على رأسهم الانجليز ... [١٣٤]

والعجيب أن الأفكار الحنبلية التي تبنتها تلك الحركة لا تنص على فكرة الخروج على الحاكم تحت أي دعوى ، وأن نصوص أمام الحنابلة صريحة في ذلك .. [١٣٥]

والاكثر عجباً أن الوهابيين اقاموا نظام حكم في جزيرة العرب لا يمت بصلة إلى نظام الخلافة وكان أسوا بكثير من نظام حكم العثمانيين ..

وتعايش الفقهاء مع حكم آل سعود في داخل الجزيرة وفي خارجها رغم أن عقيدة أهل السنة تنص على عدم جواز البيعة والطاعة لإمامين في وقت واحد بل توجب قتل الامام الثاني

---

(١٢٨) المرجع السابق صـ١٤٦.

(١٢٩) المرجع السابق صـ ١٤٨ ..

(١٣٠) المرجع السابق صـ ١٧٣ احداث عام ٩٣٠هـ ..

(١٣١) المرجع السابق صـ٣١٠..

(١٣٢) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية لبر وكلمان ..

(١٣٣) المرجع السابق ..

(١٣٤) انظر فصل مدافع محمد بن عبد الوهاب ومدافع ابن باز ..

بحكم خروجه على الامام الأول وحسب نص الحديث .. (١٣٦)

ثم استولى آل سعود على الحرمين واخضعوهما لسياستهم وبارك الفقهاء هذا الوضع رغم ما يحمل من نتائج سلبية تنعكس على ممارسة الشعائر فى هذين المكانين حيث اخضع الوهابيون الحرمين لأفكارهم الحنبلية المتشددة ومنعوا أية ممارسات ترتبط بالمذاهب الأخرى خاصة فيما يتعلق بزيارة قبر الرسول وآثار النبى وآل البيت .. (١٣٧)

وقد أكثر الفقهاء من البكاء والعويل على دولة الخلافة الزائلة وانزال اللعنات على مصطفى كمال اتاتورك والحكم بكفره ، ثم ما لبثوا أن وجدوا بديلا يعطى بلا حساب فاتجهوا نحوه بقلوبهم وألسنتهم وهو الحكم السعودى ، فهو من منظورهم الحكم الوحيد الباقى على وجه الأرض الذى يرفع راية الاسلام ويطبق شرع الله .. (١٣٨)

والحق أن نظام الحكم السعودى ليس إلا امتداداً للحكم الاموى والعباسى والأيوبى والمملوكى والعثمانى والاسلام عنده ليس سوى شعار والشرع عنده خاص بالرعية .. (١٣٩)

- الأزهر والحكام :

ومع بداية ضعف الدولة العثمانية واستقلال الولايات التابعة لها عنها بدأت المؤسسات الدينية فى تلك الولايات فى الاستقلال عن المؤسسة الأم فى الاستانة .

وقامت الحكومات فى تلك الولايات خاصة فى مصر والشام بدعم المؤسسة الدينية فيها بهدف تطويق نظام الخلافة العثمانية ..

من هنا برز دور الأزهر كمؤسسة دينية استثمرتها الحكومات فى اضفاء المشروعية على نظام الحكم فى مصر ، بل أن هذه المؤسسة أسهمت بدور كبير فى محاولة نقل مقر الخلافة الاسلامية إلى مصر وتنصيب فؤاد الأول خليفة للمسلمين وذلك بعدإعلان سقوط الدولة

(١٣٥) انظر نصوص الفقهاء فى الحكام فيما بعد . وانظر فصل مدافع ابن حنبل ..

(١٣٦) هناك رواية شهيرة حول هذه القضية تقول : إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما .. انظر مسلم كتاب الإمارة . وانظر كتب السنن . وانظر نصوص الفقهاء حول الحكام .ويلاحظ هنا أن آل سعود لا ينتمون إلى قريش بل إلى نجد ..

(١٣٧) انظر مدافع ابن عبد الوهاب وابن باز ، وقد دمر الوهابيون آثار الرسول (ص) فى مكة وقاموا بسد غار حراء وهدموا قبور آل البيت فى البقيع وعزلوا المقبرة عن الناس . كذلك باعدوا بين الناس وبين قبر الرسول (ص) .

(١٣٨) انظر لنا كتاب فقهاء النفط ، وكتاب ابن باز فقية آل سعود .

(١٣٩) انظر المرجعين السابقين ..

(١٤٠) انظر بيان شيخ الأزهر محمد مأمون الشناوى فى عيد ميلاد الملك فاروق وهو بيان يحمل

العثمانية عام (١٩٢٤ م)..(١٤٠)

وبارك الأزهر مواقف وممارسات الملك فؤاد ومن بعده الملك فاروق وتغاضى عن الانحرافات والمفاسد التى ارتبطت بعصرهما ..

وفى العصر الجمهورى ارتبط الأزهر بالحكم بصورة أكبر حتى تحول إلى مؤسسة من مؤسسات الدولة وقد تمثل موقفه المداهن للحكم الشديد الارتباط به فى انحيازه الكامل إلى صف عبد الناصر ضد الاخوان المسلمين واصداره الفتاوى المتطرفة والعدائية ضدهم ثم تبلور أكثر فى تبنيه الخط الاشتراكى الذى تبناه عبد الناصر والخط السياسى المعادى لاسرائيل والغرب الذى انتهجته الدولة فى فترة الستينيات ..(١٤١)

وفى فترة السبعينيات انقلب موقف الأزهر سيراً مع الاتجاه الجديد للحكم الذى اعلن المصالحة مع الأخوان المسلمين والاعتراف بالكيان الصهيونى فى فلسطين والارتباط بالغرب وتم توظيفه ليلعب دوراً ضد الشيوعية والعلمانية .. (١٤٢)

وفى فترة الثمانينيات انقلب الأزهر على التيار الاسلامى وايران والشيعة سيراً مع التوجه الجديد لنظام الحكم ولا يزال على هذا الموقف ..(١٤٣)

ومن الملاحظ أن ارتباط الأزهر بنظام الحكم الجمهورى قد أغرقه فى السياسة وباعدبينه وبين دوره الفقهى ويعود السبب المباشر في ذلك إلى اندماجه وذوبانه داخل الدولة حتى أصبح المفتى وشيخ الأزهر كلاهما يعينان بقرار من رئيس الجمهورية .

ولم يعد لمفتى الجمهورية من دور سوى أن يرصد حركة الأهلة ليعلم الناس بقدوم شهر رمضان وعيد الفطر والأضحى بالإضافة إلى المهمة التشريعية التى شرفه بها القضاة وهى ابداء الرأى فى حالات الحكم بالاعدام على الاشخاص والنظر فى مدى مطابقتها لأحكام

المدح والثناء والتبجيل لفاروق ووالده والعائلة الحاكمة . ومن بين نصوص البيان قوله : وقد استجاب الله دعاء هذا الشعب المخلص لجلالته الوفى لعرشه . فتحققت للبلاد أمانيها واستكملت استقلالها وهبت نشطة بفضل توجيه الفاروق العظيم . انظر مجلة الأزهر أعداد رمضان وجمادى الأولى عام ١٣٦٨هـ . واحتفل الأزهر أيضاً بعيد جلوس فاروق على العرش الموافق ١٩٤٩/٥/٦ وكذلك ذكرى رحيل الملك فؤاد . انظر اعداد الأزهر فى تلك الفترة .

(١٤١) انظر موقف الأزهر من الحركة الإسلامية ونماذج من منشورات الأزهر المعادية للإخوان فى تلك الفترة فى كتابنا الحركة الإسلامية فى مصر..

(١٤٢) انظر المرجع السابق ، وقد أعلن الأزهر موافقته على الصلح مع إسرائيل .

لشرع واعتراضه على هذه الاحكام لا يغير من الأمر شئ .. (١٤٤)

وأصبح هذا هو حال المفتى - موظف الدولة - فى جميع بلاد المسلمين سيراً مع السنة التى سنها العثمانيين ...

كذلك الحال بالنسبة لشيخ الأزهر فهو أشبه بمدير جامعة إلا أن المكانة التاريخية للأزهر قد أضفت عليه قداسة فى قلوب المسلمين فى كل مكان مما جعلهم يطلقون عليه اسم الامام الأكبر ..

لكن ظهور النفط فى جزيرة العرب قد مكن آل سعود من أن يلعبوا دوراً فى المحيط الاسلامى - بالاضافة إلى سيطرتهم على الحرمين - نافسوا به الأزهر بل تفوقوا عليه فى مواطن كثيرة اذ تمكنوا من استقطاب الرموز والهيئات الاسلامية التى سخروها لنشر الفكر الوهابى وتعميمه فى كل مكان ليصبح المذهب الحنبلى مذهباً عالمياً لأول مرة فى تاريخه وكان قبل ذلك يقبع فى زواية مظلمة من زوايا التاريخ .. (١٤٥)

وقد تجاوز الأمر هذا الحد بأن تمكن السعوديون من اختراق الأزهر واستقاب رموزه إلى صف الدعوة الوهابية المعادية له كمؤسسة تتبنى الخط الحنفى وتتعايش مع الخط الصوفى والشيعى وكلا الخطين خصمين عنيدين للوهابية ..

وإذا كان السعوديون قد تمكنوا من دفع الأزهر إلى معاداة الشيعة واعلان الحرب على ايران إلا أنهم لم يتمكنوا من دفعة نحو محاربة الطرق الصوفية ويعود السبب فى ذلك إلى سياسة الدولة المعادية للشيعة وايران والتى فتحت الباب امام الأزهر ليَلعب هذا الدور ضد الشيعة وايران ولم تفتحه فى مواجهة الطرق الصوفية المتحالفة معها والتى تلعب دوراً فى وسط المسلمين هو أكبر بكثير من دور الأزهر ..

- نصوص الفقهاء فى الحكام :

اعتمد الفقهاء اعتماداً كبيراً على النص المنسوب للرسول (ص) الذى يقول : الأئمة من

---

(١٤٣) انظر المرجع السابق ، ومنشورات الأزهر ضد الجماعات وبياناته ضد الشيعة وايران والتى لا زالت تصدر حتى الآن ، وانظر لنا كتاب الشيعة فى مصر ..

(١٤٤) برزت للمفتى فى الفترة الأخيرة فتاوى تتعلق بالبنوك ونقل الأعضاء وغير ذلك إلا أن هذه الفتاوى لم تكن ملزمة . خاصة وانه قد برز منافسون له فى هذه الميدان يحظون بشعبية ووزن لا يتمتع

قريش ، واعتبروا أن هذا النص هو الذى حسم الخلاف والصراع الذى دار فى سقيفة بنى ساعده لاختيار الامام من بعد الرسول ..

قال البغدادى : قال أصحابنا أن الشرع قد ورد بتخصيص قريش بالإمامة ودلت الشريعة على أن قريشاً لا تخلوا ممن يصلح للإمامة ، فلا يجوز إقامة الامام للكافة من غيرهم .. (١٤٦)

واشترط الفقهاء فى الامام أربعة شروط :

الأول : العلم

الثانى : العدالة والورع ..

الثالث : السياسة وحسن التدبير ..

الرابع : النسب من قريش .. (١٤٧)

ومن الثابت تاريخياً أن أغلب الذين تولوا الحكم فى بلاد المسلمين بداية من العصر الاموى وحتى عصرنا هذا لم تكن تتوافر فيهم هذه الشروط اللهم إلا شرط القرشية الذى توافر فى الامويين والعباسيين ولم يتوافر فى السلاجقة الترك أو الايوبيين الأكراد ، أو المماليك الرقيق أو العثمانيين الترك ، ومع ذلك دان الفقهاء لهؤلاء الحكام وأقروا لهم بالسمع والطاعة وألزموا الرعية بذلك ..

وعندما قامت الدولة الفاطمية فى مصر وحكامها ينسبون إلى قريش رفضوها ورموها بالكفر والزندقة لأنها لا تلتزم عقيدتهم ولا تتبع نهجهم ورواياتهم فى الوقت الذى كانوا يدنيون فيه بالطاعة والولاء لحكام زنادقة سفاحين ضاق بهم العباد من الأمويين والعباسيين وغيرهم .. (١٤٨)

أما عن طريقة اختيار الامام أو الخليفة فقد اختلف الفقهاء فى هذا الأمر :

قال الأشعرى : إن الامامة تنعقد لمن يصلح لها بعقد رجل واحد من أهل الاجتهاد والورع إذا عقدها لمن يصلح لها. فإذا فعل ذلك وجب على الباقين طاعته .. (١٤٩)

به المفتى مثل الشيخ الشعرواى ..

(١٤٥) ضعف المذهب الحنبلى بعد سقوط الدولة العباسية التى كانت تدعمه بداية من عصر المتوكل ، وأصبح أقل المذاهب الإسلامية شأناً . ولم يظفر الحنابلة بدولة تدعمهم بعد ذلك ، كما هو حال المالكية فى دول بلاد المغرب . وحال الاحناف مع العثمانيين حتى ظهرت الحركة الوهابية وآل سعود عندئذ برز الحنابلة وادعوا تمثيل أهل السنة فى غيبة المذاهب الأخرى ..

(١٤٦) أصول الدين . ط بيروت .

(١٤٧) المرجع السابق . وانظر كتب الفقه ، وهناك شروط أخرى وضعها بعض الفقهاء مثل الحرية

وقال القلانسى : تنعقد الأمامة بعلماء الأمة (علماء بلد الامام) الذين يحضرون موضع الامام وليس لذلك عدد مخصوص ، فإن عقد الامامة واحد أو جماعة لواحد وعقدها آخرون لواحد آخر وكل واحد منهما يصلح لها صح العقد السابق ، فإن عقد فى وقت واحد ولم يعرف السابق منهما استؤنف العقد لأحدهما أو لغيرهما .. (١٥٠)

وقال ابن قدامة المقدسى ، ومن ولى الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وسمى أمير المؤمنين،وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.. (١٥١)

وقال ابن حنبل : من ولى الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به وغلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة . ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم .. (١٥٢)

وقال : ومن خرج على امام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأى وجه كان بالرضا أو بالغلبة ، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله (ص) فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية ، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس ، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق .. (١٥٣)

وقال : الخلافة فى قريش ما بقى من الناس اثنان ، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة ، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا ، لا يبطله جورجائر ولا عدل عادل ، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان ، وان لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء ، ودفع الخراج والفئ والصدقات والأعشار والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أم جاروا والانقياد إلى من ولاه الله أمركم ، لاتنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيفك وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع ضال مفارق للجماعة (١٥٤)

وقال الأشعرى : وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وعلى أن كل من ولى شيئاً من أمورهم عن رضى أو غلبه من بر وفاجر لا يلزمهم الخروج عليه بالسيف جار أو عدل وعلى أن يغزو معهم العدو ويحج معهم ، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها ، ويصلى خلفهم الجمع

والبلوغ والإسلام وهى تنضم إلى الشروط الأخرى التى لم تتحقق فى الحكام ..

(١٤٨) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى وكيف ترجم ليزيد بن معاوية الذى كفر من قبل بعض الفقهاء واعتبره خليفة وترجم للوليد بن يزيد الفاسق منتهك الحرمات الذى أراد الحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة واعتبره خليفة ثم ترجم للمماليك العبيد وخلفاء بنى العباسى فى مصر الذين كانوا لافتة وصورة لسلاطين المماليك هذا فى الوقت الذى لم يترجم لأحد من خلفاء الفاطميين لأن أمامتهم غير صحيحة فى نظره ، انظر المقدمة وآخر الكتاب .

(١٤٩) أصول الدين للبغدادى . وانظر مقالات الاسلاميين ..

والأعياد.. (١٥٥)

ويقول ابن تيمية : ويرون – أى أهل السنة – إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً .. (١٥٦)

وقال البربهارى : لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام براً كان أو فاجراً ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجى قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته جاهلية.

وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى ، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة ، أمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم ... (١٥٧)

وقال البيجورى : ولو تغلب عليها شخص – الامامة – قهراً انعقدت له وان لم يكن أهلاً كصبى وامرأة وفاسق . وتجب طاعته فيما أمر به أو نهى عنه .. (١٥٨)

ويقول أبو يعلى : والامامة تنعقد من وجهين . أحدهما :

باختيار أهل الحل والعقد ..

بعهد الامام من قبل ..

فأما انعقادها باختيار أهل الحل والعقد فلا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد .

ويجوز للامام أن يعهد إلى إمام بعده،ولا يحتاج فى ذلك إلى شهادة أهل الحل والعقد (١٥٩)

ويرى كثير من الفقهاء أن الامامة تنعقد بثلاثة أوجه هى :

الأول : العهد إليه من سابقة كما فعل أبو بكر مع عمر حين أوصى إليه بالخلافة بعده..

---

(١٥٠) المرجع السابق ..

(١٥١)لمعة الإعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد ..

(١٥٢) أصول السنة ط السعودية

(١٥٣)شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى حـ١/١٦١..

(١٥٤) رسالة السنة ذيل الرد على الجهمية والزنادقة .ط السعودية .

(١٥٥)أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر .ط القاهرة

الثانى : اتفاق أهل الحل والعقد ، وهم مجموعة معينة من الخليفة ..

الثالث : القهر ،والغلبة أى الاستيلاء على الحكم بالقوة و قد حدث هذا مع كثير من الحكام على مر تاريخ المسلمين .. [١٦٠]

وقال ابن حزم : عقد الامامة يصح بوجوه أولها وأفضلها وأصحها أن يعهد الامام الميت إلى انسان يختاره إماماً بعد موته وسواء فعل ذلك فى صحته أو فى مرضه وعند موته إذ لا نص ولا إجماع على المنع من أحد هذه الوجوه كما فعل الرسول (ص) بأبى بكر وكما فعل أبو بكر بعمر وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز وهذا هو الوجه الذى نختاره ونكره غيره لما فى هذا الوجه من اتصال الامامة وانتظام أمر الاسلام وأهله ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع فى غيره من بقاء الأمة فوضى ومن انتشار الأمر وارتفاع النفوس وحدوث الاطماع . فإن مات الامام ولم يعهد إلى انسان بعينه فوثب رجل يصلح للامامة فبايعه واحد فأكثر ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفه عين بعده فالحق حق الأول وسواء كان الثانى أفضل منه أو مثله أو دونه لقول الرسول (ص) : فوابيعة الأول فالأول فمن جاء ينازعه فاضربوا عنقه كائناً من كان .. [١٦١]

ويرى جمهورى أهل السنة أن الامام لا ينخلع بالفسق أو بالجور أو بغضب الأموال وضرب الأبشار وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويفه .. [١٦٢]

وقد استفزت علاقة الفقهاء بالحكام ابن الجوزى فى زمانه فكتب يقول :

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء مخالطتهم الامراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك ، وربما رخصوا لهم فيما لا رخصه لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه :

الأول : الأمير يقول لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه ، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى .

(١٥٦)العقيدة الواسطية وهى العقيدة الأساسية المعتمدة عند التيار الوهابى والجماعات ويلاحظ أن ابن تيميه كان معاصر الحكام المماليك ..

(١٥٧) أصول السنة ط السعودية ..

(١٥٨)شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفه المريد على جوهرة التوحيد . وهو مقرر على طلبة المعاهد الأزهرية ..

والثاني: العامى أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلاناً الفقية لا يبرح عنده .

والثالث : الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك ، وقد لبس ابليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول إنما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان

ومن تلبيس ابليس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك حق فيها . ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شئ وان كانت من شبهة فتركها أولى ، وان كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه إتفاقه فى إقامة الرعونة ، وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا مالا يستباح ، وقد لبس إبليس على قوم من العلماء ينقطعون على السلطان إقبالاً على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين : غيبة الناس ومدح النفس ، وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن فى أول الأمر ثم تتغير بإكرامهم وانعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الانكار عليهم ، وقد كان علماء السلف يبعدون عن الامراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدينا فتعلموا العلوم التى تصلح للأمراء .. (١٦٣)

---

(١٥٩) الأحكام السلطانية ..

(١٦٠)انظر المراجع السابقة ..

(١٦١)الفصل فى الملك والنحل حـ ٤/باب الكلام فى عقد الإمامة بماذا تصح ..

(١٦٢) انظر المراجع السابقة . والفقهاء إنما يتبنون هذا الموقف من الحكام على أساس الروايات .

مـــــــدافع ابـــــن حنبـــــــل

إمام المتطرفين ..

انظر التمهيد للباقلانى والاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للبيهقى..

تتلمذ أحمد بن حنبل على يد كثير من الفقهاء فى عصره ودرس الفقة والشريعة واللغة والحديث ثم طلق كل هذه العلوم وتفرغ للحديث وجعله موضع اهتمامه وبنى على أساسه عقيدته وتصوره ومواقفه طارحاً العقل والاجتهاد جانباً ..

(١٦٣) تلبيس إبليس . وابن الجوزى من أعيان القرن السادس الهجرى توفى عام ٥٩٧هـ ببغداد .

من هنا فإن الطبرى المؤرخ والمفسر والفقيه لم يعده فى زمره الفقهاء بل عده فى زمرة المحدثين من أهل الرواية حين صنف كتابة (اختلاف الفقهاء) واغفل ذكره مما أدى إلى ثورة الحنابلة عليه وقذفوه بالمحابر وأهاجوا عليه العامة واتهموه بالرفض - التشيع - وجعلوا يرمون بيته بالحجارة حتى حجبتها مما دفع بالشرطة إلى التدخل لحسم الأمر .. [١]

- من الاعتدال إلى التطرف :

استمر ابن حنبل يدرس الروايه ويحفظها وينقلها ويبثها بين الناس لم يكن يعترض سبيله أحد ، ولم يكن يصطدم بأحد ..

كانت الرواية هى حياته وشغله الشاغل وحيثما توجهه الرواية كان يتوجه حتي أنه اعتبر تبنى الرواية الضعيفة والأخذ بها خير من استخدام العقل واللجوء للرأى ..

وتشكلت شخصيته وعقيدته على أساس هذه الروايات التى كانت سلاحه الأول والأخير فى مواجهة المخالفين ..

وعندما تبنى المأمون نهج المعتزلة فى نهاية حكمة خرج ابن حنبل رافعاً لواء المعارضة لفكر المعتزلة الذى يرجح العقل على الرواية معتبراً أن هذا الاتجاه يشكل خطورة على عقيدة السلف وعلى الرواية ، وابن حنبل كان يشعر على الدوام بخطورة المعتزلة والاتجاهات الأخرى على طرحه وعلى الروايات إلا أنه لم يظهر العداء فى مواجهة هذه الاتجاهات لضعفها أمام تيار الرواية الذى كان سائداً آنذاك بالإضافة إلى تيار الفقهاء المدعوم من قبل الحكام .

ولقد شكل حدث تبنى المأمون نهج المعتزلة انقلاباً دينياً فى نظر ابن حنبل نقل المعتزلة من طور الاستضعاف إلى طور التمكن وفتح الابواب أمامهم ليسودوا على حساب أهل السنة ويهدموا صرح الرواية الذى أسهم فقهاء السلف فى تأسيسه منذ عشرات السنين ..

وهكذا أعلن ابن حنبل رفضه لفكرة خلق القرآن التى يتبناها المعتزلة ، وشكل هذا الرفض تحدياً لسلطة المأمون الذى أمر بالقبض عليه ، فأحضر مكبلاً بالأغلال إليه فى طرسوس . لكن القدر انقذه من يد المأمون إذ جاءه الخبر بوفاته وهو فى الطريق إليه فأعيد إلى بغداد ووضع فى السجن ، ثم مثل أمام المعتصم الخليفة الجديد وجرت له محاكمة وأصر ابن حنبل على موقفه برفض القول بخلق القرآن فضرب بشدة وأعيد إلى السجن وأخلى سبيله بعد حوالى العامين فالتزم العزلة والانقطاع طوال عصر المعتصم وعصر الواثق من بعده ... [٢]

وهو من فقهاء الحنابلة غير أنه اصطدام بالحنابلة فى مسألة الصفات وقولهم بالتجسيم وكتب كتاباً

وعاش ابن حنبل فى مطاردات ومضايقات طوال عصر المعتصم والواثق حتى جاء المتوكل الذى أعلن تنبيه لنهج أهل السنة ورفضه لنهج المعتزلة وجمع المحدثين عام (٢٣٤هـ) للرد على الجهمية والمعتزلة ونصرة الرواية ..[٣]

فى ظل هذا العصر استأنف ابن حنبل نشاطة واتخذ المتوكل من يحيى ابن اكثم وزيراً بدلاً من أحمد بن داود المعتزلى الذى كان وزير المعتصم ... [٤]

وتقرب أحمد بن حنبل من المتوكل الذى دعاه إلى سامراء سنة (٢٣٧ هـ) لأجل إعطاء ولده المعتز دروساً فى الحديث ...[٥]

- المدفع الأول :

كان ابن حنبل ورعاً فى الفتيا والإجتهاد ، ولم يكن يجرؤ على التصدى لأية قضية دون أن يكون هناك نص صريح لديه يتمثل فى رواية منسوبة للرسول (ص) أو الصحابى أو فتوى منسوبه لصحابى أو لاحد من التابعين .

من هنا فقد رفض ابن حنبل أن يدون عنه شيئاً من رواياته أو مسائلة مخافة أن تختلط بالكتاب والسنة ..

إلا أن ولديه عبد الله وصالح لم يلتزما بذلك بعد وفاته ، فقد قام عبد الله تبدوين روايات والده فيما سمى بمسند ابن حنبل وزاد عليه من عنده روايات أخرى كما أضاف إليه كتاب الزهد وزادت الروايات التى جمعها عبد الله فى مسند أبيه على ثمانية وعشرين ألف رواية.. [٦]

وقام تلامذته بتدوين مسائلة وردوده فى عدة كتب تم نشرها بين المسلمين .. [٧]

ويمكن تحديد نهج ابن حنبل ونوع مدافعة من خلال رسالتين من رسائلة كتب أولاهما فى السجن وهى رسالة : الرد على الزنادقة والجهمية ..

فى ذلك يرد فيه عليهم وهو كتاب : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه .ط القاهرة وقد هاجمه ابن تيمية فى كتابه نقد المنطق ..

(١) انظر سيرة الطبرى فى كتب التراجم وأحداث عام (٣١٠هـ) فى كتب التاريخ ..

والثانية هى رسالة السنة وسوف نعرض لها فيما بعد ..

وتعد رسالة الرد على الجهمية والزنادقة من أقوى مدافع ابن حنبل التى صوبها نحو المسلمين والاتجاهات الأخرى المخالفة له ، وعلى أساسها قامت مدراس واتجاهات عدوانية شديدة التطرف ضد العقل والآخرين حمل رايتها الحنابلة ومن سار على دربهم .

يقول ابن حنبل فى رسالته فى معرض ردوده على القائلين بفكرة خلق القرآن وهم فى تصوره الجهمية : ثم أن الجهمى ادعى أمراً وهو من المحال فقال : أخبرونا عن القرآن أهو الله تعالى أو غير ذلك ؟ فادعى فى القرآن أمراً يوهم الناس . فإذا سئل الجاهل عن القرآن هو الله أو غير الله ، فلا بد أن يقول بأحد القولين :

فإن قال هو الله ، قال له الجهمى كفرت .

وأن قال غير الله ، قال صدقت ، فلم لا يكون غير الله مخلوقاً.

فيقع فى نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمى .

وهذه المسألة من الجهمى هى من المغاليط .

والجواب للجهمى إذا سأل فقال أخبرونا عن القرآن هو الله أو غير الله ؟

قيل له : ان الله جل ثناؤه لم يقل فى القرآن أن القرآن أنا ولم يقل غيرى وقال هو كلامى فسميناه باسم سماه الله به فقلنا كلام الله ، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ومن سماه باسم من عنده كان عن الضالين ..

ثم أن الجهمى ادعى أمراً آخر ، فقال : أخبرونا عن القرآن هو شئ ؟

فقلنا : نعم هو شئ .

فقال إن الله خالق كل شئ ، فلم لا يكون القرآن من الأشياء المخلوقة وقد أقررتم أنه شئ فلعمرى لقد ادعى أمراً أمكنه فيه الدعوى ولبس على الناس بما ادعى.

فقلنا أن الله سبحانه لم يسم كلامه فى القرآن شيئا . إنما سمى شيئاً الذى كان بقوله . ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى (**إنما قولنا لشئ**) فالشئ ليس هو قوله إنما الشئ الذى كان يقوله ، وقال فى أية أخرى(**إنما أمره إذا أراد شيئاً**) فالشئ ليس هو أمره وأنما الشئ الذى كان يأمره ، فكذلك إذا قال (**خالق كل شئ**) لا يعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء

(٢) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى . وترجمة ابن حنبل فى تاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب

المخلوقة .. ففي هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله عز وجل ، فرحم الله من فكر ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة ولم يقل على الله إلا الحق ، وقد حرم الله أن يقال عليه الكذب وقد قال **(ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة)** أعاذنا الله وإياكم من فتن المضلين وقد ذكر الله كلامه فى غير موضع من القرآن فسماه كلاماً ولم يسمه خلقاً قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وقال **(قد كان فريق منهم يسمعون كلام الله)** وقال **(كلم الله موسى تكليماً)** وقال **(يريدون أن يبدلوا كلام الله)** وقال **(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)** ولم يقل حتى يسمع خلق الله ..

ثم أن الجهمى ادعى أمراً آخر فقال أنا أجد آية فى كتاب الله على أن القرآن مخلوق ،

فقلنا فى أى آية .. ؟

فقال قول الله تبارك وتعالى : **(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)**

فزعم أن الله قال للقرآن محدث ، وكل محدث مخلوق ، فلعمرى لقد شبه على الناس بهذا وهى آية من المتشابة فقلنا فى ذلك قولاً واستعنا بالله ونظرنا فى كتاب الله ولا حوله ولا قوة إلا بالله..

ثم أن الجهمى ادعى أمراً فقال إنا وجدنا آية فى كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق .

فقلنا أى آية ..؟

فقال : قول الله تعالى **(إنما المسيح عيس بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم)** وعيسى مخلوق ..

فقلنا إن الله منعك الفهم فى القرآن ..

ثم إن الجهمى ادعى أمراً فقال إن الله يقول **(خلق السموات والأرض وما بينهما فى سته أيام)** فزعم أن القرآن لا يخلوا أن يكون فى السماء أو فى الأرض أو فيما بينهما .

فشبه على الناس ولبس عليهم .

فقلنا له : أليس إنما أوقع الله جل ثناوه الخلق على المخلوقين ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما فقالوا نعم ، فقلنا : هل فوق السموات شئ مخلوق ؟

قالوا : نعم .

فقلنا : فإنه لم يجعل ما فوق السموات مع الأشياء المخلوقة ..

أحداث عام (٢٤١هـ) ..

إن الله تبارك وتعالى يقول **(وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق)** والحق الذى خلق به السموات والأرض هو قوله إن الله يقول الحق،(ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) فالحق الذى خلق به السموات والأرض قد كان قبل السموات والأرض ، والحق قوله وليس قوله مخلوقاً ..

وفى باب آخر من أبواب الرسالة تحت عنوان : باب بيان ما جحدت الجهمية من قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

قال لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم ؟

فقالوا : لا ينبغى لأحد أن ينظر إلى ربه لأن المنظور إليه معدود موصوف إنما ترى الأشياء بفعله فقلنا : إن الله يقول **(إلى ربها ناظرة)**

فقالوا : معناها إلى ربها ناظرة تنتظر الثواب من ربها ، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته..

فقلنا : إنها مع ما تنتظر الثواب هى ترى ربها ، وقد قال النبى(ص):انكم سترون ربكم ..

فأيهما أولى أن نتبع النبى حين قال سترون ربكم، أم قول الجهمى حين قال لا ترون ربكم ؟

والأحاديث فى أيدى أهل العلم عن النبى(ص)أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيها أهل العلم ..

ثم أنكر ابن حنبل فى باب أخر قول الجهمية أن يكون الله سبحانه فى كل مكان مؤكداً أن الله فى السماء فوق العرش مستنداً إلى عدد من النصوص القرآنية والروايات المنسوبة إلى الرسول (ص) مهاجماً الجهمية عاملاً على إبطال استدلالاتهم من القرآن ..

يقول ابن حنبل : إذا أردت أن تعلم أن الجهمى كاذب على الله حين زعم أن الله فى كل مكان ولا يكون فى مكان دون مكان . فقل أليس الله كان ولا شئ ؟

فيقول : نعم ..

فقل له حين خلق الشئ خلقه فى نفسه أو خارج من نفسه ؟

(٣) انظر تاريخ الخلفاء ترجمة المتوكل وكتب التاريخ الأخرى ..

فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال واحد منها :

إن زعم أن الله خلق الخلق فى نفسه كفر حين زعم أنه خلق الجن والأنس والشياطين فى نفسه ..

وإن قال خلقهم خارجاً عن نفسه ثم دخل فيهم كان هذا أيضاً كفر حين زعم أنه دخل فى مكان رجس قذر ردئ ..

وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة..

ورد ابن حنبل على ما استندت إليه الجهمية من الروايات على أن القرآن مخلوق وعلى رأسها رواية تقول : أن القرأن يجئ فى صورة الشاب الشاحب فيأتى صاحبه فيقول هل تعرفنى ؟

فيقول : من أنت ؟

فيقول : أنا القرآن الذى أظمئت نهارك وأسهرت ليلك .. الخ .

فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث ، فقلنا لهم القرآن لا يجيئ الا بمعنى أنه قد جاء من قرأ (قل هو الله أحد) فله كذا وكذا ، ألا ترون أن من قرأ قل هو الله أحد لا تجيئه بم يجيئ ثوابه لأنا نقرأ القرآن فيقول يا رب ويجيئ ثواب القرآن وكلام الله لا يجيئ ولا يتغير من حال إلى حال ، وانما معنى أن القرآن يجيئ إنما يجيئ ثواب القرآن فيقول يا رب.. ويستمر ابن حنبل فى إطلاق مدافعة وإنزال لعناته على الجهمية ومن سار على دربهم ويختتم رسالته بقوله:قلنا للجهمية حين زعموا أن الله فى كل مكان لا يخلوا منه مكان: أخبرونا عن قوله جل ثناؤه (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) لم تجلى للجبل إن كان فيه عمكم . فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن يتجلى لشئ هو فيه ، ولكن الله جل ثناؤه على العرش وتجلى ولم يكن فيه ورأى الجبل شيئا لم يكن رآه قبل ذلك .

وقلنا للجهم الله نور . فقال هو نور كله .

فقلنا فالله قال (**وأشرقت الأرض بنور ربها**) فقد أخبر الله جل ثناؤه أن له نوراً ، أخبرونا حين زعمتم أن الله تعالى فى كل مكان وهو نور فلم لا يضئ البيت المظلم من النور الذى هو فيه إذ زعمتم أن الله فى كل مكان . وما بال السراج إذا ادخل البيت يضئ ، فعند ذلك تبين

للناس كذبهم على الله فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة وقال بقول العلماء وهو قول المهاجرين والانصار وترك دين الشيطان ودين جهم وشيعته ..

ويلاحظ من خلال ما تم عرضه من هذه الرسالة أن خصوم ابن حنبل من الجهمية وغيرهم يستندون إلى الكتاب والسنة التى يستند عليها ابن حنبل . فمن ثم هم مسلمون مثلما هو مسلم فإذا كان الأمر كذلك فلما كل هذه الحرب من قبل ابن حنبل عليهم ..؟

أن المسالة فى مضمونها هى صراع بين اتجاهين متناقضين :

اتجاه ابن حنبل الذى يرفض العقل والرأى ويتبنى الروايات ..

واتجاه الآخرين الذين يؤمنون بالعقل والرأى ..

وقد لاقى اتجاه ابن حنبل منذ عصر المتوكل دعماً متواصلا من حكام بنى العباسى . بينما اعتبر الاتجاه الآخر مرفوضاً ومجرماً ومزندقاً ..

حتى أن اتجاه الاشعرى الذى برز بعد مرحلة ابن حنبل تأثر به وتبنى الكثير من مقولاته فتلقفته حكومات السلاجقة والأيوبيين والمماليك واعتبروه النهج المعبر عن أهل السنة ومنذ ذلك الحين عاشت الاتجاهات الأخرى فى ركن مظلم معزولة عن الواقع مستضعفة تلاحقها السيوف تارة ، وفتاوى التكفير والزندقة تارة أخرى ، وذلك على أساس ما وضع ابن حنبل من قواعد وعقائد ومفاهيم ..

- المدفع الثانى :

وتشكل رسالة السنة التى سوف نعرض لها هنا الاطار العقائدى والأساس الذى بنيت عليه المواقف والممارسات المتطرفة التى تبناها الحنابلة وغيرهم ،وتبناها كذلك الحكام فى مواجهة المسلمين المخالفين .

لقد اهدى ابن حنبل الأمة تراثاً هو عبارة عن مجموعة من المدافع الثقيلة الشديدة على العقل والاتجاهات الأخرى ، استثمره الحكام واستثمرته الجماعات المريضة فى تفتيت وحدة المسلمين وزرع الأرهاب بينهم وتفريغ عقولهم .

يقول ابن حنبل فى مقدمة الرسالة : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها . المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبى (ص) إلى يومنا

هذا وأدركت من أدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئامن هذه المذاهب أو طعن فيها أوعاب على قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ..

كانت هذه هى أولى طلقات هذا المدفع ..

ويواصل ابن حنبل قائلا : من زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له : أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا وجاءت بولد . هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد ؟ وهل مضى فى سابق علمه ؟

فإن قال : لا . فقد زعم أن مع الله خالقاً ، وهذا هو الشرك صراحاً .

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر فقد زعم أن هذا الانسان قادر على أن يأكل رزق غيره ، وهذا صراح قول المجوسية ..

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز وجل وأن ذلك بمشيئة من خلقه ، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله ، وأى كفر أوضح من هذا ؟

ويحدد ابن حنبل موقفه من الحكام صراحة بقوله :

ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته ، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ..

ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه فى النار لذنب عمله ولا لكبيرة اتاها إلا أن يكون ذلك فى حديث كما جاء على ما روى فنصدقه ، والكف عن أهل القبلة ولا تكفر أحداً منهم بذنب ولا تخرجه من الاسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء وكما روى وتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك ، أو ايبتدع بدعة ينسب إلى صاحبها الكفر والخروج من الاسلام فاتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه ، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقوله الله عز وجل **(كل شئ هالك إلا وجهه)** وبنحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له : كل شئ مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدينا ، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ، ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت ، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل ، ولله عز وجل عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، والله عز وجل على عرشه يتحرك ويتكلم وينظر ويبصر ويضحك ويفرح ويحب

ويكره ويبغض ويرضى .وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء ، وقلوب الرحمن بين إصبعين من أصابع الرحمن بقلبها كيف يشاء ، ويوعيها ما أراد ، وخلق آدم بيده على صورته ، والسموات والأرض يوم القيامة فى كفه، ويضع قدمه فى النار تنزوى ، ويخرج قوماً من النار بيده ، وينظر أهل الجنة إلى وجهه يرونه فيكرمهم ، ويتجلى لهم فيعطيهم ، والقرآن كلام الله ، تكلم به ليس بمخلوق ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمى كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من قول الأول ، ومن زعم أن ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقه والقرآن كلام الله فهو جهمى ، ومن لم يكفر هؤلاء القوم كلهم فهو مثلهم ، ومن سب أصحاب رسول الله (ص) أو احداً منهم ، أو تنقصهم أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضى خبيث مخالف . لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ..

وخير الأمة بعد النبى (ص) أبو بكر وعمر وعثمان وعلى بعد عثمان ، وهم خلفاء راشد مهديون ثم اصحاب رسول بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم . ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ويستتيبه ، فإن تاب قبل منه ، وأن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلده الحبس حتى يموت أو يرجع ...

والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضاً ، حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله (ص) وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار ، لا يعرفون بدعة ولا يطعن فيهم بكذب ، ولا يرمون بخلاف ، وليسو بأصحاب قياس ولا رأى لأن القياس فى الدين باطل ، والرأى كذلك أبطل منه،وأصحاب الرأى والقياس فى الدين مبتدعة ضلال ، إلا أن يكون فى ذلك أثر عمن سلف من الأئمة الثقات .

ومن زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحداً : فهو قول فاسق عند الله ورسوله (ص) إنما يريد بذلك إبطال الأثر وتعطيل العلم والسنة ، والتفرد بالرأى والكلام والبدعة والخلاف . وهذه المذاهب والأقاويل التى وصفت مذهب أهل السنة والجماعة والآثار وأصحاب الروايات وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن وكانوا أئمة معروفين ثقات أصحاب صدق يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أصحاب بدعة ولا خلاف ولا تخليط

وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم ، فتمسكوا بذلك رحمكم الله وتعلموه وعلموه..

ثم حدد ابن حنبل فى نهاية رسالته أصحاب البدع والضلال فى تصوره بقوله : ولأصحاب البدع ألقاب وأسماء لا تشبه اسماء الصالحين ولا العلماء من أمة محمد (ص) ..

فمن أسمائهم المرجئة وهم الذين يزعمون أن الايمان قول بلا عمل ..

والقدرية وهم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة ..

والمعتزلة والجهمية والرافضة والزيدية والخوارج ثم أصحاب الرأى الذين أطلق عليهم آخر قذائفه بقوله : وأصحاب الرأى وهم مبتدعة ضلال أعداء للسنة والأثر يبطلون الحديث ويردون على الرسول (ص) ويتخذون أبا حنيفة ومن قال بقوله إماماً ، ويدينون بدينهم ، وأى ضلاله أبين ممن قال بهذا أو ترك قول الرسول وأصحابه ، فكفى بهذا غياً مردياً وطغياناً ..

فمن قال بشئ من هذه الأقاويل - أقوال الاتجاهات الأخرى - أو صوبها أو رضيها أو أحبها فقد خالف السنة وخرج من الجماعة ، وترك الأثر ، وقال بالخلاف ، ودخل فى البدعة ، وزال عن الطريق .

ويبدو أن الاتجاهات الأخرى لم تستسلم لمدافع ابن حنبل بل درت عليه وهاجمته وطعنت فى عقيدته وتصوره مما دفع به إلى أن يسلط عليهم مدافعه فى نهاية رسالته بقوله : وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السنة يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم والوقيعة فيهم والازراء بهم عند السفهاء والجهال ..

فأما المرجئة فإنهم يسمون أهل السنة شكاكاً وكذبت المرجئة ..

وإما القدرية فيسمونهم المجبرة وكذبت القدرية ..

وأما الجهمية فيسمونهم المشبهة وكذبت الجهمية أعداء الله ..

وإما الرافضة فيسمونهم الناصبة وكذبت الرافضة ..

وأما الخوراج فيسمونهم مرجئة وكذبت الخوراج ..

وأما أصحاب الرأى فيسمونهم حشوية وكذب أصحاب الرأى أعداء الله ، بل هم الحشوية تركوا آثار الرسول وحديثه وقالوا بالرأى وقاسوا الدين بالاستحسان ، وحكموا بخلاف الكتاب والسنة وهم أصحاب بدعة جهلة ضلال وطلاب دنيا بالكذب والبهتان ..

اللهم أدحض باطل المرجئة وأوهن كيد القدرية وأذل دولة الرافضة وامحق شبه أصحاب

الرأى ، واكفنا مؤنة الخارجية - الخوراج - وعجل الانتقام من الجهمية .

ونخرج من هذا العرض لرسالة السنة أن قذائفها أشد فتكاً من سابقتها ، وأن ابن حنبل قد أعلن عن وجهته صراحة من خلالها ..

فهو قد أعلن أن هذه الرسالة تمثل عقيدة السلف من الصحابة والتابعين ..

وأعلن أن الخارج عن حدودها والمخالف لها مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل الحق . نسب الظلم إلى الله سبحانه حين ربط الزنا والسرقة والخمر والقتل بمشيئة الله وارادته وربط الحكم بصلاح المسلم ونجاته من النار بالرواية وليس بالقرآن .

وأعلن أن الخارج عن السلطان مبتدع مخالف مفارق للجماعة ..

وأعلن أن الله فى السماء فوق العرش يتحرك ويتكلم ويضحك ويفرح وينزل إلى الدنيا وخلق آدم على صورته ويضع قدمه فى النار .. الخ هذه الصفات التى جاءت بها الروايات ولم يأت بها القرآن والتى تضع ابن حنبل ومن سار فى ركاب هذه الروايات فى دائرة التجسيم

وأعلن تكفير الجهمية لقولهم بخلق القرآن ودخل معهم فى دائرة التكفير الشيعة والمعتزلة الذين يتبنون نفس الفكرة ..

وتطرف ابن حنبل فى موقفه اكثر فكفر الذين يقولون بأن القرآن كلام الله وكفى .والذين يقولون بأن الالفاظ والتلاوة مخلوقة ، وان من لم يكفر هؤلاء فهو مثلهم ..

وأخرج من دائرة الاسلام الذين يتبنون مواقف من الصحابة كالشيعة والمعتزلة والخوراج وغيرهم الذين لا يعترفون بمعاوية ويهاجمونه ويتبنون نفس الموقف من عمرو بن العاص أو المغيرة بن شبعة أو عثمان أو أبو هريرة وغيرهم من الصحابة الذين ارتبطوا بالفتن والخلافات التى وقعت بعد وفاة الرسول (ص) .

وتجاوز هذا الحد بأن حرض الحاكم عليهم وأفتاه بجواز تأديبهم وحبسهم وقتلهم ..

وحدد الدين في دائرة الكتاب والسنة والسلف ، أى ربط الرواية والرجال بالقرآن فكأن من نبذ الرواية والرجال نبذ القرآن وخرج من الاسلام ، وهو بهذا قد أضفى القداسة على الرواية والرجال وأرهب المسلمين من المساس بهما ..

وفى رسالة أخرى لابن حنبل تحت عنوان (**كتاب الصلاة**) أعلن ابن حنبل تكفير تارك الصلاةوعدم جواز الصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين ..

ويظهر لنا من خلال أفكار ابن حنبل أنها استمدت جميعها من الروايات وأقوال الرجال أي السنة والأثر فمن ثم فهو رجل تقليدى يتعبد بنصوص التراث كما هى ولا يعطى لا تباعه فرصة إعمال العقل فيها كما لا يعطى لخصومه فرصه نقدها ..

ولعل تمسك ابن حنبل بالروايات وأقوال السلف هو الذى جعل له شعبية وسط العامة الذين تجذبهم الروايات بدافع عشقهم للرسول (ص) وجيله ، فقول الرسول أو الصحابى يجذب الناس ويستقطبهم أما الرأى فله خواصه من الناس ..

وعندما توفى ابن حنبل أصبح قبره مزاراً تحتشد الناس من حوله ووضعت الحراسات عليه، وقام الخليفة المستضئ بوضع بناء عليه نقش فيه مدحاً وتمجيداً له وذلك فى عام ٥٧٤ هـ ثم جاء فيضان دجلة فأزال القبر فاتجة الناس نحو قبر ولده عبد الله وأضفوا عليه القداسة التى كانوا يضفونها على قبر أبيه .. (٨)

- المدفع الثالث :

وقد حمل تراث ابن حنبل جيل من الحنابلة يساندهم قطاع من عوام بغداد انطلق يرهب الناس والمخالفين ويرفع راية التكفير والزندقة في مواجهتهم ..

وإذا كان الاستاذ الامام بهذا القدر من التطرف فكيف يكون حال تلاميذه ؟

لا شك أن حجم مدافعهم سوف تكون أكبر وطلقاتهم سوف تكون أشد ..

وهذا ما تشهد به وقائع التاريخ ، فيما أطلق عليه المؤرخون فتن الحنابلة وهى حوادث وقعت فى فترات متفرقة ضمن حدود بغداد موطن الحنابلة ، كان ضحيتها المخالفين على الدوام فقهاء وعوام من السنة والشيعة ..

وكان الحنابلة قد قويت شوكتهم بدعم من المتوكل العباسي ومن بعده من خلفاء بنى العباس الذين عملوا على استثمارهم فى تقوية نظام حكمهم وتصفية المعارضين لهم ..

ومنذ ذلك الحين كثرت اعتداءاتهم على العامة والنساء فى الطرقات والتفريق بينهما فى الاسواق ومهاجمة الاسواق لمنع الاختلاط ومقاومة البدع ..

---

(٨) انظر البداية والنهاية لابن كثير حـ١٢ . ومناقب ابن حنبل لابن الجوزى حـ/ ١ وطبقات الحنابلة لأبن رجب حـ/ ١ .وإذا كان هذا هو حال قبر ابن حنبل وقبر ولده فمن أين أتى الحنابلة بفكرة مقاومة القبور واعتبار زيارتها والاهتمام بها وتعليتها شرك ..

ودخلوا فى صدامات دموية مع الشيعة والأشاعرة والشافعية والأحناف والمعتزلة ..

يروى الذهبى عن أحداث عام (٣٩٨ هـ). أن فى هذه السنة وقعت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنة فى بغداد وكاد أن يقتل الشيخ أبو حامد الاسفراينى ، فأنفذ الخليفة القادر الفرسان لمعاونة أهل السنة وقمع الشيعة.. [٩]

ومثل هذه المدافع التى حملها الحنابلة فى مواجهة الناس والمخالفين والتى هى من صناعة إمامهم ابن حنبل لم توجه فى يوم من الأيام إلى الحكام ، وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على أن عقيدة الحنابلة فى مضمونها عقيدة حكومية فى صالح الحاكم لا فى صالح الجماهير.. وهو يدل من جانب آخر على أن هذه العقيدة قد فرضت على المسلمين بضغط الحكام ولو قدر لها أن تسلك السبيل المعتاد فى الدعوة الذى سلكته الشيعة والخوراج من بعد الامام على والمعتزلة والمذاهب الأخرى لما قدر لها البقاء والانتشار ، والبرهان على ذلك أن مذهب الحنابلة سقط وتوارى بعد سقوط الدولة العباسية . واتجهت الدول التى ظهرت بعدها نحو الاشاعرة والشافعية ..

وجاء ابن تيمية فى القرن الثامن فحمل مدافع الحنابلة وأطلق نيرانه على المسلمين فقمعه الفقهاء والحكام وحبس حتى مات فى الحبس وحبس معه تلميذه ابن القيم .. ولم يقدر للحنابلة البروز بعد ذلك حتى جاء محمد بن عبد الوهاب وحمل مدافعهم من جديد ثم تسلمت الجماعات راية الحنابلة من الوهابيين وحملت مدافعهم فى مواجهة المسلمين وغير المسلمين لتعود فتن الحنابلة إلى البروز على ساحة الواقع من جديد .. [١٠]

---

(٩) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير . وتاريخ الإسلام للذهبى . وتاريخ الخلفاء للسيوطى . وانظر لنا أهل السنة شعب الله المختار . والكلمة والسيف ..

(١٠) انظر فصل مدافع محمد بن عبدالوهاب ..

مدافع ابن حزم

متطرف راح ضحية المتطرفين ..

نشأ ابن حزم فى الاندلس وتربى فى بلاط الحكم حيث كان أباه وزيراً فى الدولة العامرية وجده الاكبر كان نصرانياً ..

ومرت عائلة ابن حزم بمحن كثيرة بعد الاطاحة بالأسرة العامرية فى دائرة الصراعات التى كانت قائمة بين ملوك الاندلس آنذاك والتى كانت أشبه بالحروب الأهلية ..

واستوزره المرتضى خليفة مدينة بلنسية ، ثم استوزره الخليفة عبد الرحمن الخامس الملقب بالمستظهر فى قرطبه عام (٤١٤هـ) ، ثم قتل عبد الرحمن بعد ذلك بمدة قصيرة وقبض على ابن حزم ووضع فى السجن ثم افرج عنه بعد ذلك ..

ويروى أنه وزر مرة ثالثة لهشام المعتد إلا أنه اعتزل السياسة بعد ذلك وتفرغ للعلم والتأليف حتى أصبح من أشهر علماء الاندلس وأكثرهم ذكراً فى مجالس الرؤساء وعلى ألسنة العلماء وقد حمل ابن حزم نوعين من المدافع الثقيلة :

الأولى : مدافع خاصة بالمسلمين ..

الثانية : مدافع خاصة بغير المسلمين ..

- المدفع الأول :

كان عصر ابن حزم عصر دسائس وفتن وصراعات بين ملوك الطوائف وبعضهم وبين الفقهاء الذين ساروا فى ركاب هؤلاء الملوك وبعضهم ..

ويبدوا أن هذه الحالة السياسية والدينية قد انعكست على شخصية ابن حزم فأصابتها بالحيرة والانفعال الذى نراه بوضوح فى آرائه ومواقفه من الآخرين فقد أعلن الحرب على فقهاء عصره وشتى الاتجاهات الاسلامية الأخرى مما أدى إلى بغض الجميع له وتربصهم به ..

ثم تبنى ابن حزم المذهب الظاهرى وأخذ يدعوا له ولاقى فى سبيل ذلك مواجهة عنيفة من الحكام والفقهاء الذين كانوا يتبنون المذهب المالكى ويتعصبون له ، وصدر قرار فقهى بمنع ابن حزم من الفتوى وحبس المترددين عليه والمستمعين له ..

وقد اطلق ابن حزم أول مدافعة على فقهاء عصره بقوله : أن هؤلاء القوم ليسوا من أهل الفقة ولا من أهل الكلام ولا يحسنون شيئاً غير التناغى والقول الفاسد .. ولا يغرنكم الفساق المنتسبون إلى الفقة اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم الناصرون لهم على فسقهم[1]

وكان فقهاء عصر ابن حزم كما يعبر ابن حبان المعاصر له يمشون فى ركاب الملوك بين آكل من حلوائهم وخابط فى أهوائهم ..

ويواصل ابن حزم اطلاق مدافعة على فقهاء وحكام عصره بقوله : والله لو علموا أن فى عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها فنحن نراهم يستنجدون بالنصارى ويمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم ويحملونهم أسارى إلى بلادهم ، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً ، فأخلوها من الاسلام وعمروها بالنواقيس ، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه ..

ويصف ابن حزم حالة الانهيار الاجتماعى وتفشى الفساد وسيادة الحرام فى عصره حتى أصبح كأنه ليس للفقهاء دور بقوله : إنا لا نعلم لا أنا ولا غيرى بالأندلس درهماً حلالاً ولا ديناراً طيبة يقطع على أنه حلال .. [(٢)]

وكان من نتيجة هذا الموقف المتشدد من قبل ابن حزم تجاه الفقهاء ومذهبهم المالكى وأنصارهم أن حرض الفقهاء الحكام عليه وسعوا لدى المعتضد بن عباد حاكم أشبيلية الذى أمر بجمع كتب ابن حزم وإحراقها علانية ..

ورد ابن حزم على هذه الحادثة شعراً يقول :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى ... تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى

يسير معى حيث استقلت ركائبى ... وينزل أن أنزل ويدفن فى قبرى

دعونى من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى [(٣)]

وقد استمر ابن حزم فى موقفه المعادى للمخالفين من الاتجاهات الأخرى ولم تؤثر فيه تلك المدافع ذات القذائف الثقيلة التي أطلقها عليه خصومه ..

يقول ابن حزم : إنا لما تدبرنا أمر طائفتين ممن شاهدنا فى زماننا هذا وجدناهما قد تفاقم الداء بهما ..

فأما إحداهما فقد حلت المصيبة فيها وبها ، وهم قوم افتتحوا عنوان أفهامهم وابتدأ دخولهم إلى المعارف بتعلم علم العدد وبرهانه وتخطية إلى تعديد الكواكب وهيئة الافلاك ، وكيفية قطع الشمس والقمر وانتقالها من الاجرام العلوية وأعظامها وأبعادها والطبيعة وعوارض الجو ومطالعة شئ من كتب الأوائل وحدودها . فلم تلق هذه الطائفة المذكورة من حملة الدين إلا قوماً لا عناية لهم بشئ وإنما عنيت من الشريعة بأحد ثلاثة أشياء .

---

(١) انظر الرد على ابن الغريله اليهودى ط بيروت تحقيق الدكتور إحسان عباس

(٢) رسالة التلخيص لوجوه التخليص وهى ملحقة بالكتاب السابق ذكره .

إما بألفاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها ولا يهتمون بتفهمها ..

وإما بمسائل من الأحكام لا يشتغلون بدلائلها ومبعثها وإنما حسبهم منها ما أقاموا به جاههم وحالهم ..

وإما انحرافات منقولة عن كل ضعيف وكذاب وساقط لم يهتبلوا قط بمعرفة صحيح منها من سقيم ولا مرسل من سند ولا ما نقل عن النبى (ص) .

وأما الطائفة الثانية فهم قوم ابتدءوا الطلب لحديث النبى (ص) فلم يزيدوا على طلب علوم السند والغرائب دون أن يهتموا بشئ مما كتبوا ولا يعلمون به وانما يحملونه حملاً لا يزيدون على قراءته دون تدبير معانيه ودون أن يعلموا أنهم المخاطبون به وأنه لم يأت مهملاً ولا قاله (ص) عبثاً ، بل أمرنا بالتفقة فيه والعمل به ، وأكثر هذه الطائفة لا عمل عندهم الا بما جاء عن طريق مقاتل بن سليمان والضحاك بن مزاحم وكتاب البزدوى التى إنما هى خرافات موضوعة وأكاذيب مستعملة ولدها الزنادقة تدليساً على الاسلام وأهله .. [٤]

وعلى الرغم من أن موقف ابن حزم من الفقهاء وممارساتهم تحمل جانباً كبيراً من الصحة إلا أن حدتها افقدتها موضوعيتها وجنت عليه فى النهاية .

وقد قيل أن قلم ابن حزم كان فى مضاء سيف الحجاج ، وكان ينهال على رجال محل تقدير السواد الأعظم من المسلمين بالتحقير والازدراء كالأشعرى ومالك وأبى حنيفة .. [٥]

واعترف ابن حزم أن حدته كانت ترجع إلى مرض كان يلازمه .. [٦]

ثم تصدى فقهاء المالكية فيما بعد لمصنفات ابن حزم خاصة كتابة (المحلى) وأصدروا ردودهم عليه ..

-المدفع الثانى :

وهو من اخطر مدافعة وأشدها ويتمثل فى كتابة (الفصل فى الملل والنحل) والذى أطلق من خلاله قذائفه على جميع الاتجاهات مسلمين وغير مسلمين ..

يقول ابن حزم فى الفصل : أهل السنة أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة ، فإنهم الصحابة وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها ، وقد تسمى باسم

(٣) انظر الأصول والفروع لابن حزم جـ٢/٢١٥ وما بعدها . ط القاهرة

(٤) انظر الذخيرة لابن بسام جـ١ ..

الاسلام من أجمع جميع فرق الاسلام على أنه ليس مسلماً مثل طوائف الخوراج ، وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة وآخرون كانوا من أهل السنة كالحلاج وغيره وطوائف من الشيعة ، وكل هذه الفرق لا تتعلق بحجة أصلاً وليس بأيديهم إلا دعوى الالهام والقحة والمجاهرة بالكذب ولا يلتفتون إلى مناظرة ويكفى من الرد عليهم أن يقال لهم ما الفرق بينكم وبين من ادعى أنه ألهم بطلان قولكم ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا ،وأيضا فإن جميع فرق الاسلام متبرئة منهم مكفرة لهم مجمعون على أنهم على غيرالاسلام..

والأصل فى اكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس أظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله (ص) واستشناع ظلم على (رضى الله عنه) ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الاسلام فقوم منهم أدخلوهم إلى القول بأن رجلاً ينتظر يدعى المهدى عنده حقيقة الدين ، وقد أوضحنا شنع جميع هذه الفرق فى كتاب لنا اسمه النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع المعتزلة والمرجئة والخوراج والشيع . فإياكم وكل قول لم يبين سبيله ولا وضح دليله ولا تعوجا عما مضى نبيكم (ص) وأصحابه .. (٧)

أن الاسلام عند ابن حزم هو أهل السنة الذين ينطق بلسانهم ويحاكم الاتجاهات الأخرى على أساس عقائدهم ورواياتهم ، وكتابة (الفصل) كما هو حال كتب الفرق الأخرى إنما يتحدث بلسان الاتجاه السائد اتجاه أهل السنة لا بلسان النص والعقل والرأى لأن كل ذلك مجرم فى مذهب أهل السنة الذين تقوم عقائدهم ومذهبهم على أساس الروايات وأقوال الرجال ونبذ الرأى والعقل ..

ويبدو لنا من خلال كلام ابن حزم أنه يتحدث بمنطق الاستعلاء على الاتجاهات الأخرى وهو المنطق السائد لدى أهل السنة فى تعاملهم مع الآخرين كما هو منطق كتب الفرق جميعها التى كتبت بأقلام رجال أهل السنة وجارت على الاتجاهات الأخرى وزندقتها ..

والإتجاهات الأخرى فى منظور ابن حزم ومذهبه بين خيارين :

إما أن تلتزم بنهج الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث والفقهاء وتتبنى رواياتهم ..

وإما أن تسلك سبيل المعارضة وهى بهذا تكون قد دخلت دائرة البدعة والزندقة ووضعت نفسها فى دائرة الاستحلال من قبل الحكام والفقهاء وحتى عوام الناس .

(٥) المرجع السابق .

والعجيب فى كلام ابن حزم أنه اعتبر أن جميع الفرق والاتجاهات التى كفرها وزندقها تتبرأ منها جميع فرق الاسلام وتكفرها وتجمع على أنها على غير الاسلام ، فكيف يستقيم هذا الكلام . ؟

هل هذا يعنى أن هناك فرق أخرى غير الفرق المعروفة يعترف بها ابن حزم ولا يزندقها أهل السنة تشاركهم هذا الموقف تجاه هذه الفرق المزعومة ؟

ويظهر لنا من كلام ابن حزم الجزم بتسطيح الآخرين وتبنى الافكار الساذجة فى مواجهتهم وبدا وكأنه يصور لنا الاتجاهات الأخرى أنها لا تحوى رصيداً من الفكر والوعى والنصوص ولا تقوم بأمرها عناصر فقيهة ، بل أنها تحوى أهل السفة والجهالة وأصحاب الاهواء ، وهذا الموقف لا يتفرد به ابن حزم أنما هو موقف الفقهاء عموماً من خصومهم شيعة ومعتزلة ومرجئة وقدرية وغيرهم ، أن العلم والحق والرفعة والطهارة فى جانبهم أما الجانب الآخر فهو يحوى الجهل والضلال والزندقة والبدعة وغير ذلك من التسميات التى اطلقوها على الخصوم

ومن الأفكار الساذجة التى يتبناها ابن حزم والفقهاء تجاه الاتجاهات الأخرى تحميل الفرس مسئولية ما نشأ وسط المسلمين من اتجاهات وتيارات خالفت الخط السائد وخاصمت أهل السنة ، وكان المفروض أن يكون الأمر عكس ذلك أى أن العرب هم الذين يتحملون مسئولية تأسيس هذه الاتجاهات والتيارات وتوطينها بين الفرس بحكم أنهم الشعب المغلوب ، إلا أن القوم عكسوا الآية وجعلوا الغالب يدخل فى دين المغلوب ، وهم بهذا يستخفون بالعرب أكبراً استخفاف ويؤكدون أن الاسلام لم يوطن فى نفوسهم وأن التزامهم به كان التزاماً قشرياً ..

ولقد كان الهدف من وراء فكرة ربط الفرس بالتيارات الاسلامية ضرب الشيعة على وجه الخصوص واثارة الشبهات من حولهم ، والتأكيد على أن الفرس تستروا بهم وبثوا أفكارهم المجوسية من خلال بعث فكرة آل البيت وجمع المسلمين من حولهم ..

إلا أن الحقيقة أن فكرة آل البيت فكرة شرعية لها ما يدعمها من نصوص الكتاب والسنة وكذلك بقية أفكار الشيعة ومعتقداتهم .. (٨)

ونفس الحال ينطبق على أفكار المعتزلة والمرجئة والجهمية وحتى الخوراج فجميع هذه الاتجاهات تتسلح بالكتاب والسنة ولديها من البراهين والأسانيد ما تدعم به أفكارها ومعتقداتها ..

---

(٦) انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ١ ..

اذا كان هذا هو الحال فلماذا يصر الفقهاء على تتبنى نهج التسطيح والتسفيه فى مواجهة الآخرين؟

ولماذا يصرون على تبنى الافكار الساذجة والمهزوزة فى مواجهتهم ؟

إن تلك الافكار السطحية والساذجة التى يتبناها الفقهاء فى مواجهة الخصوم ما كان لها أن تدوم ويكتب لها البقاء لولا مساندة الحكام لها ..

ولو قدر لهؤلاء الفقهاء أن يدخلوا فى مناظرة حرة مع أى من هذه الاتجاهات لانهزموا شر هزيمة ، لكن اللغة التي كانت سائدة هي لغة الطرف الواحد لغة الفقهاء ..

والذين يتبنون دعوى فارسية التشيع الأولى لهم أن يتبنوا فارسية التسنن لأن رجال الفقة والرواية الذين قامت على اكتافهم عقيدة أهل السنة هم من بلاد فارس بينما عقيدة الشيعة ومذهبهم قام على أساس فقه وروايات أهل البيت الهاشمى بداية من الرسول (ص) وثم الامام على وأولاده .. (٩)

وقد أوقع ابن حزم نفسه فى حرج كبير حين ادعى أن فكرة المهدى هى من اختراع الفرس وهم الذين أوحوابها إلى الشيعة ، وكأنه بهذا يعلن جهلة بعشرات النصوص التى يتبناها أهل السنة والتى تؤكد أن المهدى شخصية حقيقية تنبأ بها الرسول(ص) وحدد ملامحها ودورها ... (١٠)

- المدفع الثالث :

ثم يقوم ابن حزم بعد هذا كله بتوجيه مدفعه الحكومى على الرعية والخصوم بقوله بجواز الصلاة وراء الحاكم الفاسق والجهاد والحج معه ودفع الزكاة إليه وإنفاذ أحكامه من الأقضية والحدود وغير ذلك ..

يقول ابن حزم : ذهبت طائفة إلى أنه لا يجوز الصلاة إلا خلف الفاضل - أى الحاكم التقى الافضل والأولى بالحكم - وهو قول الخوراج والزيدية والروافض وجمهور المعتزلة وبعض أهل السنة وذهبت طائفة الصحابة كلهم دون خلاف من أحد منهم وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من أحد منهم وأكثر من بعدهم وجمهور أصحاب الحديث وهو قول أحمد بن حنبل والشافعى وأبى حنيفة وداود وغيرهم إلى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمعة وغيرها وبهذا نقول ،وخلاف هذا القول بدعة محدثة ، فما تأخر قط أحد من الصحابة الذين أدركوا المختار

(٧) انظر دائرة المعارف . وانظر رسالة الاخلاق لابن حزم ..

(٨) إنظر مسلم كتاب الفضائل باب فضل آل البيت . وانظر كتب السنن الأخرى . وهناك الكثير من

بن عبيد والحجاج وعبيد الله بن زياد وحبيش بن دلجة وغيرهم عن الصلاة خلفهم ، وهؤلاء أفسق الفساق وأما المختار فكان متهماً في دينه مظنوناً به الكفر .. [١١]

ويريد ابن حزم أن يؤكد لنا من خلال هذا المدفع الحكومى أن مذهبه ومذهب الفقهاء بل إن الدين الحق يجب أن يقوم على الرجال لا على النص أو العقل ، فما دام الصحابة والتابعين وأهل الحديث قد اعترفوا بشرعية الحكام الفسقة وصلوا خلفهم فيجب علينا أن نمتثل لذلك حتى لا نكون من المبتدعة الزائغين من الروافض والخوراج والمعتزلة والزيدية الذين أبت عقولهم ونفوسهم أن تهضم هذا الوضع وتقر به .

وليس لابن حزم من سند فى هذا سوى هواه والروايات التى نسبت للرسول بخصوص الحكام أما أصحاب العقول الذين لا يدينون بمثل هذه الروايات ويشكون فيها فهم فى نظر ابن حزم وغيره من فقهاء البلاط أصحاب البدعة المحدثة المخالفة لنهج السلف الصالح .

ثم من أين لابن حزم هذه اليقين بالاجماع المطلق للصحابة والتابعين والفقهاء على هذه القضية ؟ وكيف يصح مثل هذا الادعاء مع قوله أن هناك طائفة من أهل السنة توافق القائلين بعدم جواز هذه الصلاة .. ؟

وليتأمل القارئ موقف ابن حزم هذا وما ينقله عن الفقهاء ، ثم يتأمل موقف ابن حنبل من صاحب البدعة لبدعته حيث يقول بعدم جواز الصلاة خلفه وعدم قبول شهادته هجراً له وزجراً لينكف ضرر بدعته عن المسلمين .. [١٢]

لقد أجاز الفقهاء الصلاة وراء الحاكم الفاسق الذى تقطر يده بدماء المسلمين بينما حرموها وراء المخالف لهم من الاتجاهات الأخرى بحكم أنهم من أهل البدع فى منظورهم .

إن الفقهاء أمثال ابن حنبل وابن حزم اعتبروا أنفسهم أوصياء على الدين وحفظه المسلمين من شرور المخالفين فمن ثم سلكوا جميع الوسائل والسبل من أجل عزلهم والقضاء عليهم بداية من تحريض الحكام عليهم ونهاية بتكفيرهم ..

الكتب التى اصدرها فقهاء السنة عن آل البيت. انظرلنا موسوعة آل البيت

(٩) انظر تراجم رجال الحديث وأشهر الفقهاء فى كتب التاريخ .وانظر لنا كتاب مصر وايران ..

مـــــدافـع البغـــــدادى

النجاة لنا والهلاك للآخرين ..

البغدادى هوأبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى المتوفى عام (٤٢٩ هـ) وقد صنف البغدادى عدة مصنفات هى بمثابة مدافع مسلطة على المسلمين استثمرها الفقهاء فى مواجهة خصومهم من التيارات الأخرى ..

وعلى رأس هذه المصنفات كتابه الفرق بين الفرق.وكتابه أصول الدين ، وهذان الكتابان من أخطر ما صنف فى مواجهة الآخرين . وقد اعتمد عليهما مذهب أهل السنة فى تبرير تطرفه وعدواته للمخالفين لمذهبهم ..

- الفرق بين الفرق :

وقد اعتمد البغدادى فى كتابة هذا على رواية منسوبة للرسول (ص) تنص على أن الأمة سوف تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة .

وقام على أساس هذه الرواية بتبيين الاتجاهات المخالفة وإلقاء الضوء عليها مؤكداً أنها تنتسب إلى الاسلام بينما هى ليست منه فى شئ .

وخصص فصلاً لما أسماه فضائح هذه الاتجاهات باعتبارها من فرق الأهواء الضالة والكتاب من أوله إلى آخره يفتح النار على المخالفين لنهج أهل السنة الذين حصر الحق فى دائرتهم وحكم بالضلال والبوار والخلود فى النار على مخالفيهم ، فأهل السنة فى منظوره هم الفرقة الوحيدة الناجية من النار يوم القيامة فمن سار على دربهم واتبع طريقهم وتبنى عقائدهم فقد نجا ، ومن حاد عن هذا الدرب وتبنى عقائد واتجاهات الآخرين فقد حاد عن الطريق القويم وسلك سبيل الضالين أهل النار ..

يقول البغدادى : إن أمة الاسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعة وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفى التشبيه عنه ، وبنبوة محمد (ص) ورسالته إلى الكافة وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هى القبلة التى تجب الصلاة إليها فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدى إلى الكفر فهو السنى الموحد ، وإن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نظر فإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوراج أو الرافضة الامامية - الشيعة - أو الزيدية أو الجهمية أو المجسمة فهو من الأمة فى بعض الأحكام وهو جواز دفنه فى مقابر المسلمين وألا يمنع حظة من الفئ والغنيمة إن غزا مع المسلمين وألا يمنع من الصلاة فى المساجد ، وليس فى الأمة فى أحكام سواها وذلك ألا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لأمرأة سنية ، ولا يحل للسنى أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم ..

ومثل هذا الكلام لا يعنى إلا شيئاً واحداً وهو أن أصحاب المذاهب والاتجاهات الأخرى غير أهل السنة بين أمرين لا ثالث لهما :

الأول : أن يتنازلوا عن معتقداتهم وأفكارهم ويدينوا بمذهب أهل السنة ..

الثانى : أن يكونوا فى دائرة المبتدعة الضالين ويعاملوا على هذا الأساس فى الحياة الدنيا من قبل أهل السنة فتفرض عليهم العزلة ويعاملوا كمواطنين من الدرجة الثانية ويتقبلوا ما سوف يلاقونه من اضطهاد واستحلال لأموالهم ودمائهم ..

وإذا كان جميع المسلمين يقرون بما ذكر البغدادى فما هو المبرر لهذا التصنيف واتخاذ مثل هذا الموقف المتطرف من المخالفين .. ؟

وهل هناك من ينكر وحدانية الله ونبوة محمد (ص) ورسالته والشريعة التى جاء بها على لسان القرآن ويرفض الاعتراف بالكعبة قبلة للمسلمين ..؟

واذا كانت الاجابة بالنفى ، فما هو مبرر هذا الكلام .وماهو ضرورته ؟

إن القضية باختصار هى أن الاقرار بمثل هذه الأمور لا يكفى وحده للحكم بصحة اسلام الفرد فى نظر أهل السنة . وإنما يجب مع ذلك الاقرار أن يتبنى عقائدهم ورواياتهم ..

عقائدهم التى تنص على موالاة الحكام ووجوب السمع والطاعة لهم وان كانوا فسقة وفجارا ، ووجوب الصلاة والحج والجهاد معهم .

وتنص على عدالة جميع الصحابة وأن كل من رأى الرسول (ص) ولو ساعة أو ولد فى حياته أو سلم عليه فهو صحابى عدل يجب أن تضفى عليه القداسة ..

وتنص على أن الله سبحانه له يد ورجل وعين ويهبط ويصعد ويضحك ويفرح وأن جميع الصفات الورادة له سبحانه فى القرآن هى حقيقه لا مجاز .. [(١)]

أما رواياتهم فهى سبب شقاء الأمة وفرقتها ..

وهى التى شوهت صورة الاسلام ..

وهى التى منحت الفقهاء الحق فى ضرب المخالفين وتصفيتهم ..

وهى التى قامت على أساسها تلك العقائد الباطلة من وجوب طاعة الحكام والاستسلام لهم وإن كانوا فجاراً وتحريم الخروج عليهم ..

(١) انظر كتب العقائد مثل كتاب العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية وانظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار ، وكتاب دفاع عن الرسول ..

وهى التى قامت على أساسها فكرة عدالة الصحابى ووجوب التغطية على تلك الانحرافات والتجاوزات التى ارتبطت بالصحابة .

وهى التى قامت على أساسها فكرة التجسيم والتشبيه فيما يتعلق بصفات الله سبحانه..

إن القارئ لكتب السنن خاصة كتابى البخارى ومسلم سوف يجد مئات الروايات التى تمجد الحكام وتضفى القداسة على الصحابة وتصف الله سبحانه بما لا يجب أن يوصف به وتدعوا إلى التطرف وتنتهك الحقوق والحرمات والعقول .. (٢)

ويحدد البغدادى معالم مذهب أهل السنة فيما يلى :

* الاحاطة بأبواب التوحيد والنبوة والأحكام ..

* التبرءو من التشبيه والتعطيل ..

* التبرءو من الاتجاهات الأخرى ..

* تبنى رؤية الله تعالى ..

* تبنى عذاب القبر ..

* تبنى إمامة أبو بكر وعمر وعثمان ..

* الثناء على السلف ..

* تبنى صلاة الجمعة خلف الحكام والأئمة ..

* تبنى استنباط الاحكام من الكتاب والسنة واجماع الصحابة ..

* تبنى جواز المسح على الخفين ..

* تبنى وقوع الطلاق الثلاث فى مكان واحد وفى لفظ واحد ..

* تبنى تحريم زواج المتعة ..

* وجوب طاعة السلطان ..

وهذه المعالم على ما يبدو تعد من القضايا الخلافية وهى للفقه أقرب من كونها أصول وإذا كانت الاتجاهات الاخرى تختلف حول هذه القضايا فهى لا تختلف حول أصول الدين وإنما تختلف مع مذهب أهل السنة .

(٢) انظر البخارى كتاب التوحيد . ومسلم كتاب الإمارة ، وأبواب فضائل الصحابة فى كتب السنن ..

ومكمن المشكلة أن أهل السنة اعتبروا أنفسهم هم الاسلام ، وهم الجهة الوحيدة التى لها الحق فى النطق بلسانه ، وقد نتج هذا الاعتقاد لديهم بسبب دعم الحكام لهم وفتح الابواب أمامهم كى يسودوا وينتشروا بين المسلمين حتى أصبحوا هم الأغلبية فتصوروا أن الحق معهم لكثرتهم والباطل مع غيرهم لقلتهم وعدم شهرتهم ..

والنصوص القرانية صريحة فى كون الكثرة ليست معيار الحق ولا دليلاً عليه .. (٣)

يقول البغدادى : ومن مال إلى الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة ولا كان قوله حجة فى اللغة والنحو والحديث والفقة وخلافه . .

ثم حسم البغدادى الأمر فى نهاية كتابة بإطلاق قذيفة قاتلة أبادت الاتجاهات الأخرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وهى أن الفرقة الناجية الوحيدة هى أهل السنة وأن جميع الاتجاهات الآخرى هالكة ومثواها النار ..

-أصول الدين :

وقد حدد البغدادى أصول الدين فى منظورة فيما يلى :

* الروايات ..
* الاجماع ..
* أسماء الله وصفاته ..
* معرفة الانبياء ..
* المعجزات والكرامات ..
* الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج ..
* الأحكام والتكاليف ..

وفيما يتعلق بالروايات فقد شن حرباً شعواء وأطلق قذائفه على منكرى الروايات جملة والذين ينكرون أحاديث الآحاد خاصة .

---

(٣) انظر قوله تعالى (وقليل ما هم) وقوله (وقليل من عبادى الشكور) وقوله (وما آمن معه إلا

ومن المعروف أن غالبية الروايات المنسوبة للرسول (ص) هى روايات آحاد .. (٤)

ثم أطلق قذائفه على منكرى الاجماع والمشككين فيه .

ولم تستثنى قذائفه بالطبع أولئك الذين يتبنون رؤية فى أسماء الله وصفاته لا تعتمد على الروايات ..

فالذين ينكرون رواية أن الله خلق أدم على صورته ..

ورواية أن الله يضع قدمه فى النار حتى تقول قط قط ..

ورواية أن الله ينزل إلى السماء كل ليلة ..

ورواية أن الله فى السماء ..

ورواية أن الله يرى فى الآخرة ..

وغيرها من الروايات التى تشير إلى أن الله سبحانه له يد ورجل وعين ويضحك ويحزن والتى أنكرتها الاتجاهات المخالفة لأهل السنة من باب دفع التشبيه والتجسيم وتنزيه الله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته ..

الذين ينكرون مثل هذه الروايات أو يشككون فيها هم من أهل الز يغ والضلال فى نظر البغدادى ومن على شاكلته من الفقهاء .

وليس من بين المسلمين من ينكر النبوات والانبياء والشهادتين وسائر أركان الإسلام أو الأحكام والتكاليف إلا أن التسليم بمثل هذه الأمور لا يكفى فى نظر البغدادى وأمثاله فلا بد حتى يكمل الايمان ويسلم الانسان أن يدين بمذهب أهل السنة ..

من هنا فقد أعلن البغدادى فى كتابة أن من أكل لحم الخنزير من غير ضرورة ولا خوف أو أظهر زى الكفار فى بلاد المسلمين وما جرى مجرى ذلك من علامات الكفر وإن لم يكن فى نفسه كفر أجرينا عليه حكم أهل الكفر وإن لم نعلم كفره باطناً ، وأن الدار - المجتمع -لا يحكم بكونها دار إسلام إلا إذا أنفذ فيها حكم المسلمين على أهل الذمة وكانت الغلبة فيها لأهل السنة على أهل البدعة ..

قليل)

(٤) يقسم فقهاء الرواية الأحاديث إلى متواتر وآحاد . والمتواتر قلة قليلة تعد على الأصابع ويعتبرون

ومعنى هذا الكلام الحكم بالكفر على المجتمعات المعاصرة واعتبار الزى (الافرنجى) الذى يرتديه المسلمون اليوم وشتى الممارسات التى يمارسونها من ألعاب وصناعات ووسائل ترفيه وما شابهها هى صورة من صور الكفر ، على أساس الرواية التى تقول : من تشبه بقوم فهو منهم ..

وقد عقد البغدادى فى كتابه أكثر من عشرة فصول عن الامامة ووجوبها وشروطها مسلطاً قذائفه على الاتجاهات الاخرى التى تتبنى رؤية مختلفة فى الامامة لا تنطبق على الحكام الذين اعتبرهم البغدادى وأصحابه أئمة المسلمين وعلى رأسهم معاوية وولده يزيد وذلك سيراً مع الروايات المنسوبة للرسول (ص) المتعلقة بالامامة والتى لا تدين الاتجاهات بها الأخرى ..

ثم ختم البغدادى كتابة باطلاق قذيفة مدوية على الخصوم أعداء الدين تمثلت فيما يلى :

* وجوب قتل المرتدين ..
* كفر الاتجاهات الأخرى (أهل البدع والأهواء) ووجوب قتالهم ..
* عدم جواز أكل ذبائح أهل الأهواء والبدع وحرمة مواريثهم ..
* عدم جواز نكاح المسلمة منهم ..
* الشاك فى كفر أهل الأهواء كافر ..

درجتها درجة القرآن بمعنى أن منكرها كافر أما الآحاد فهى الروايات التى رويت عن طريق شخص واحد

مـــــــــدافع الطحـــــــــاوى

الآخرون ضلال وأردياء..

أو شخصين من الصحابة ..

صاحب هذا المدفع هو أحمد بن محمد بن سلامة الازدى المصرى الحنفى المعروف بالطحاوى (٢٣٧:٣٢١هـ) وقد أطلق على مدفعه هذا اسم العقيدة السلفية وعرف فيما بعد بالعقيدة الطحاوية .

وجاء من بعده القاضى صدر الدين على بن محمد بن العز الحنفى (٧٣١:٧٩٢هـ) فقام بشرح هذه العقيدة وأضاف قذائف جديدة إلى قذائف الطحاوى ..

- مدافع ضد العقل /

يوجه الشارح أول مدافعه نحو أصحاب الرأى من أهل الكلام أى أهل الجدل والفلسفة والمنطق بنقل مقاله لأبى يوسف صاحب أبو حنيفة فيهم هذا نصها : العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم . وإذا صار الرجل رأساً فى الكلام قيل زنديق أو رمى بالزندقة ومن طلب العلم بالكلام تزندق ..

ونقل عن الشافعى قوله فيهم : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ..

ثم يوجه مدفعه الثانى نحو الاتجاهات المخالفة لعقيدة الفقهاء فيما يتعلق بصفات الله تعالى التى تقوم على الروايات وأقوال السلف ، تلك الاتجاهات التى أنكرت رؤية الله وأن كلامه سبحانه غير مخلوق ورفضت التشبيه والتجسيم الذى تشير إليه الروايات ونسبة الظلم إلى الله برفض فكرة إرادة الله للشر والكفر وأنهما يتمان بمشيئته ، وهى ما يعرف بفكرة خلق أفعال العباد التى يدين بها الفقهاء ..

أما مدفعه الثالث فقد سلطه على العقل واعتبر أنه إذا اصطدم العقل مع النقل وجب تقديم النقل أى الرواية لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين وتقديم العقل ممتنع والواجب التسليم للرواية وتلقيها بالقبول والتصديق دون معارضة بخيال باطل نسميه معقولاً ..

ويؤكد الطحاوى أن جميع ما ورد عن الرسول (ص) من الروايات التى يعتبرها الفقهاء صحيحة من الشرع والبيان كله حق .

وشن الشارح حرباً شعواء على الفلسفة والفلاسفة وأن حقيقة أقوالهم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه . مؤكداً أن أهل السنة لا يعدلون عن الرواية ولا يعارضوها بمعقول أو بقول أحد من أهل البدع والأهواء .

وهاجم الشارح الاتجاهات الأخرى التى تستند إلى قوله تعالى (ليس كمثله شئ) فى نقص الروايات المنسوبة للرسول (ص) بخصوص صفات الله تعالى والتى تصطدم اصطداماً صريحاً بهذا النص القرآنى ..

والشارح بموقفه هذا يكون قد مال إلى صف الرواية فى مواجهة النص القرآنى ، بل اعتبر خصومه يحرفون الكلم عن مواضعه ويلبسون على الناس دينهم وفهموا من أخبار الصفات مالم يرده الله ولا رسوله ولا فهمه أحد من الفقهاء ..

- فى خدمة الحكام /

يقول الطحاوى : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم . ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة مالم يأمروا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة ..

وحشد الشارح عشرات الروايات التى توجب على المسلمين طاعة الحكام وان كانوا فجاراً فسقة شعارهم ظلم العباد ونهب البلاد ..

وعلى رأس هذه الروايات رواية تقول : من رأى من أميرة شيئاً فليصبر ..

ورواية تقول : أطع الأمير وإن جلد ظهرك وأخذ مالك ..

ورواية تقول : من فارق الجماعة - أى شق عصا الطاعة على الحكم - فقد خلع ربقة الاسلام من عنقة أو مات ميتة جاهلية كما تنص روايات أخرى ..

يقول الشارح : وأما لزوم طاعتهم وان جاروا فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم ، بل فى الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور . فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل فعلينا الاجتهاد بالاستغفار والتوبة وإصلاح العمل ، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم .

وهذا الكلام هو محل إجماع الفقهاء سلفاً وخلفاً بل هو من معتقدات أهل السنة التى

اعتبرت من أساسيات الدين الواجب على المسلمين الالتزام بها ومن أخل بها فهو ضال زائغ يدخل فى زمرة أهل البدع والأهواء ..

وقد أجاز الفقهاء قتل الخارج على الحكام المفارق للجماعة على أساس رواية تقول : لا يحل دم امرئ مسلم إلابإحدى ثلاث : الشيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة..

هذا هو نهج الفقهاء والسلف الذين سخروا الدين فى خدمة الحكام وألزموا الأمة بالسير على هذا النهج الذى حدد الشارح أن اتباعه هدى وخلافه ضلال ..

يقول الطحاوى : والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلها شئ ولا ينقضها .

ثم يتجه الطحاوى من بعد ومعه الشارح إلى تصويب مدافعهم على المخالفين لعقائد الفقهاء فى الحكام والصحابة والسلف معلنين أن حب هؤلاء من الايمان وبغضهم من النفاق وأن الواجب الشرعى يحتم بغض من يبغضهم والبراءة منه وإحسان القول فيهم بلا استثناء .

يقول الطحاوى : ومن أحسن القول فى أصحاب الرسول (ص) وأزواجه فقد برئ من النفاق وعلماء السلف أهل الخير والأثر وأهل الفقة والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل ولا نصدق من يدعى شيئاً يخالف الكتاب والسنة واجماع الأمة

هذا ديننا وإعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذى ذكرناه وبيناه ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم برآء وهم عند ضلال وأردياء ..

ويقول الشارح : وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن الصراط المستقيم الذى أمرنا الله باتباعه .

والشارح بقوله هذا يريد أن يؤكد أن صراط الفقهاء والحكام والسلف هو الصراط المستقيم الذى أمرنا الله باتباعه .وهو الصراط الذى حدد معالمه الطحاوى فى ختام كتابه بقوله : هذا ديننا واعتقادنا .

وهذا الكلام يؤكد المقولات السابقة من أن أهل السنة هم أهل الحق وأصحاب الجنة وغيرهم

من الاتجاهات الأخرى هم أهل الباطل وأصحاب النار ..

ويطالب الشارح الحكام بالتدخل للقضاء على المخالفين من جميع الاتجاهات وأهل اللعب واللهو والفنون بقوله : والواجب على ولى الأمر وكل قادر أن يسعى إلى إزالة المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والقالات ومنعهم من الجلوس فى الحوانيت والطرقات أو يدخلوا على الناس فى منازلهم وقد ثبت عن الرسول (ص) قوله : إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه ..

وهو بهذه الفتوى لم يمنح الحاكم فقط سلطة مقاومة المنكر بل منح أفراد الرعية أيضاً هذه السلطة لمقاومة مثل هذه الانشطة والممارسات ..

وبالطبع فإن مقاومة أصحاب الرأى والاتجاهات المخالفة هى مقدمة على ذلك بل هى أولى فى منظور الفقهاء ..

وهكذا نرى مدافع الفقهاء تتدوال فيما بينهم عبر العصور يسلمها كل فقيه لمن بعده ولا مانع أن تسلم هذه المدافع للحكام أيضاً ولأفراد الرعية إذا حتمت الضرورة ذلك وتهدد نفوذ الفقهاء والحكام..

مدافع بن تيميه

أكذوبة شيخ الإسلام ..

ابن تيمية الحراني من فقهاء القرن الثامن التزم المذهب الحنبلي وتعصب له وجرت له بسبب ذلك محن كثيرة ... [(١)]

وقد اتخذ من الشام مقراً له في عصر سلاطين المماليك وكثرت مشاغباته مع الفقهاء من أصحاب المذاهب الأخرى ومع الاتجاهات الفلسفية والصوفية والشيعية في عصره . الا أنه رغم محاولاته إحياء نهج الحنابلة وتصانيفه الكثيرة ، لم يحصل على رضا فقهاء عصره من الحنابلة أو من غيرهم ..

وكان ابن تيمية عنيداً سليط اللسان عجولاً في إلقاء التهم على الخصوم متسرعاً في أحكامه كثيراً المراوغة معجباً بنفسه .. [(٢)]

يروى أن القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي أرسلوا إليه مرات فامتنع عن الحضور إليهم ولما أحضر ووقع البحث مع بعض الفقهاء كتب عليه محضر بأنه قال أنا أشعري... [(٣)]

- مدافع ضد الفقهاء :

يروى أنه تكلم في حق مشايخ الصوفية - أي سبهم وهاجمهم - وقال لا يستغاث بالنبي (ص) فقبض عليه وحبس ، ثم نقل أن جماعة يترددون عليه في السجن وأنه يتكلم في نحو ما تقدم فأمر بنقله من محبسه .. [(٤)]

يقول عنه الذهبي أحد تلاميذه : تعتريه حدة في البحث وشظف للخصم تزرع له عدواة في النفوس ، أي أنه حاد في حواراته عصبي يظن أن الحق معه ويسخر من الخصم ولا يحترمه والناس في نظره جهال .. [(٥)]

وأطلق ابن تيمية مدافعة علي سيبوية العالم النحوي عندما ذكر أمامه على لسان ابن حبان صاحبه مما أدي إلى مقاطعة ابن حبان له وصير ذلك ذنباً لا يغفر وأصبح لا يذكره بخير .. [(٦)]

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الحنابلة ووفيات الأعيان لابن خلكان .. والدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر . وانظر تاريخ مدينة حوران في معجم البلدان لياقوت الحموي ..

(٢) الدر الكامنة جـ١..

(٣) المرجع السابق ..

(٤) المرجع السابق ..

(٥) تاريخ الإسلام ، وانظر الدرر..

(٦) الدرر الكامنة ..

وكان ابن تيمية قد قال فى سيبويه : ما كان سيبويه نبى النحو ولا كان معصوماً ، بل اخطأ فى (الكتاب) فى ثمانين موضعاً ما تفهمها انت - يقصد ابن حبان - ... (٧)

وقد نسب إلى أصحاب ابن تيمية الحنابلة الغلوفيه - أى الايمان الشديد المتطرف به - واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتى زها على أبناء جنسه واستشعر أنه مجتهد ، فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى إلى عمر بن الخطاب فخطأة فى شئ فبلغ ذلك الشيخ ابراهيم فانكر عليه ... (٨)

وكان كثير الوقوع فى الأشاعر حتى أنه سب أبو حامد الغزالى فقام عليه قوم وكادوا يقتلونه وكانت له وقائع شهير واذا حوقق - نوقش فأفحم وقام عليه الدليل وألزم -يقول لم أر هذا ، وإنما أردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً ... (٩)

ويروى أنه أفتى يوما فى مسألة وأفتى فقيه آخر بخلافة ، فرد عليه ابن تيمية قائلاً : من قال هذا فهو كالحمار الذى فى داره ..

ولم يسلم أحد ممن هو خارج دائرة ابن تيمية وتلاميذ وأتباعه من مدافعه ، حتى فقهاء الحنابلة الآخرين أوذوا منه وخشوا على المذهب من أفكاره وفتاويه ..

ويروى أن كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والصالحين كرهوا له التفرد ببعض المسائل التى أنكرها السلف على من شذ بها ،حتى أن بعض قضاة العدل الحنابلة منعه من الافتاء.(١٠)

وعندما قال ابن تيمية بانكار المجاز نسب إليه التجسيم حيث اعتبرت جميع صفات الله الورادة فى القرآن والروايات حقيقة، وأن الله سبحانه له يدوعين ورجل ويصعد ويهبط وما شابه ذلك.. (١١)

وقام الفقهاء على ابن تيمية وعقدوا له مجلس محاكمة ومنع من الكلام ، وحدثت فتنه بين اتباعه وبين الشافعية فى دمشق ولحق الأذى باتباع ابن تيمية مما اضطره إلى الرجوع عن

---

(٧) المرجع السابق ..والكتاب هو مصنف ضخم يحمل هذا الاسم فى النحو واللغة ..

(٨) المرجع السابق

(٩) المرجع السابق ..

(١٠) طبقات الحنابلة جـ٢..

(١١) انظر الفتوى الحموية والعقيدة الواسطية والرسالة المدنية فى تحقيق المجاز والحقيقة فى صفات الله سبحانه لابن تيمية . وانظر الدرر ..

مقالتـه ، ثم ارتد مرة أخرى فصدر مرسوم أن من يتكلم فى العقائد فعل به كذا وكذا ، ونودى فى دمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله .. (١٢)

ثم جمع الحنابلة الصالحية وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الامام الشافعى. (١٣)

واطلق ابن تيميه مدافعه نحو ابن عربى فكفره ونسب الالحاد إليه والى أصحابه . ونسب الشرك إلى من توسل بالنبى واستغاث به وانكر زيارة قبر النبى (ص) .. (١٤)

ونتيجة لهذا كله انقسم الناس فى مواجهة ابن تيمية أربعة أقسام :

- منهم من نسبة إلى الكفر والزندقة ..

ومنهم من نسبه إلى النفاق ..

ومنهم من نسبه إلى السعى للإمامة ..

وفوق هذا هناك من طالب بقتله ..

-ابن تيمية والحكام :

عاش ابن تيمية عصر المماليك البحرية وحاز شهرة بسبب مشاغباته فى الشام ومصر حتى تمكن من استمالة محمد بن قلاوون إلى صفه ، كذلك الأمير سلار نائب السلطنة فى عصر بيبرس الجاشنكير الذى أطاح بابن قلاوون من الحكم .

وكان نظام حكم المماليك يعتمد على الفقهاء فى استمالة العامة وتحقيق الأمن والاستقرار للحكم، فلم تكن هناك فى هذا العصر مؤسسة دينية محددة مرتبطة بالحكم ..

ولم يستطع ابن تيمية أن يأخذ مكانه بين كبار الفقهاء القريبين من السلطة إلا أنه تمكن من كسب عطف بعض أمراء المماليك الذين كان لهم دورهم البارز فى التخفيف عليه فى حبسه الذى تكرر عدة مرات ..

وكان بيبرس الجاشنكير ضد ابن تيمية وله ميول صوفية . وحين أمر بحبسه كان " سلار " يهرب له الاقلام والقراطيس ويدخل عليه أصحابه ، فكان ابن تيمية يكتب ويفتى ويراسل أمه

(١٢) الدرر الكامنة ..

(١٣) المرجع السابق ..

(١٤) المرجع السابق . وانظر سيرته فى تاريخ الإسلام وشذرات الذهب ..

ويوجه أتباعه وهو داخل الحبس وحين حبس بمصر كانوا ينقلونه إلى قلعة الإسكندرية صيفا . وقلعة القاهرة شتاء ..

ولما جاء محمد بن قلاوون إلى السلطة استقبل ابن تيمية بالأحضان وأطلق يده فانطلق هو وأتباعه فى الأسواق يعتدون على العامة ويكسرون الحانات ويعتدون على زَوار القبور مما اقلق ابن قلاوون فقرر الحد من نشاطه . فكتب ابن تيمية له كتابا اسمه (الجواب الباهر فى زوار المقابر) يثبت فيه بطلان زيارات القبور وما يجرى فيها [١٥]..

ولم يكن ابن تيمية ضد الحكام ، وإنما كان ضد المسلمين . فهو لم يتصد لمنكرات المماليك وفساد وانحرافات الحكم فى عصره ، وإنما تصدى للصوفية والأشاعرة والشيعة وعوام الناس .

- ابن تيمية والعقل /

وجه ابن تيمية مدافعه نحو العقل كما هو شأن الحنابلة . كما حارب المنطق والفلسفة ..

وكانت أول مدافعه فى هذا الميدان قد وجهت نحو الخلف والاتجاهات الإسلامية من الشيعة والمعتزلة الذين تبنوا نهج التأويل فى مواجهة النصوص الخاصة بصفات الله ، وفسروا قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) على أن اليد تعنى القدرة ، وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) ، أى بواسطة ، وقوله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أى منتظرة .. وقوله (ولتصنع على عينى) أى برعايتى .. وقوله (أأمنتم من فى السماء) بنفى تحديد مكان الله فى السماء ..

واعتبر ابن تيمية مثل ذلك ضربا من الضلال والانحراف عن نهج السلف والأحاديث النبوية فهو لا يريد إعمال العقل فى هذه النصوص ، ويريد أن تؤخذ على ظاهرها والإقرار بأن الله سبحانه له يد وعين ويتكلم بلا واسطة وسوفى يراه الناس ، وان مكانه فى السماء .. [١٦]

ولابن تيمية كتاب يسمى (نقد المنطق) نص فيه على ما يلى :

* عمدة كل زنديق ومنافق إبطال أحاديث رسول الله (ﷺ) والطعن فيها ..

* أهل الحديث (الروايات) عندهم من العلم والمعرفة واليقين ما ليس عند ائمة المتفلسفة المتكلمين .

---

(١٥) المرجع السابق

* أن المعظمين للفلسفة والكلام (علم الكلام) ومنهم واصل ابن عطاء والغزالى والشافعى وفخر الرازى إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس .

*كل من زعم أن طائفة غير أهل الحديث أدركوا من حقائق الأمور أكثر مما أدركوا فهو منافق جاهل ..

* المنطق لا يأمر بالتوحيد وعبادة الله بل يأمر بالشرك وعبادة الكواكب ..

ولم يكن ابن تيمية يريد للعقل أن يأخذ مكانه ويؤدى دوره فى هذا الكم الهائل من الروايات المنسوبة للرسول (ﷺ) والتى تضر بالإسلام وتشوه صورته .

- نماذج من فتاوى ابن تيمية /

فتاوى ابن تيمية أكثر من أن تحصى ، وهى تشكل تراثه الفكرى .. فالرجل لم يدون كتبا بالمعنى المألوف ، وإنما كتب رسائل وردوداً وأصدر فتاوى جمعت فيما بعد من قبل اتباعه وتلاميذه .. وقد انتقينا هنا بعض الفتاوى الخاصة بالخصوم والمعارضين والتى تعكس مدى تطرفه وعدوانيته على الآخرين -:

- أجاز ابن تيمية قتل الداعية إلى البدعة المخالفة للكتاب والسنة ، وهى فى منظوره تشمل المعتزلة والشيعة والصوفية وغيرهم من المخالفين .

- من قامت عليه الحجة من أهل البدع استحق العقوبة .

- أن الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها وهى أولى بذلك من آلات اللهو والمعازف وإتلاف أنية الخمر ، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه .

- جواز قتل معطلى الشرائع من المسلمين وقتالهم ."فتوى الياسق ".

- وحول ابن الفارض وابن سبعين وابن حمويه الذين اتهمهم بالقول بوحدة الوجود والحلول أفتى بقوله : من يعاونهم وينصرهم على أهل الإيمان -ابن تيمية واتباعه - فهو شر ممن ينصر النصارى على المسلمين ، فإن هؤلاء شر من قول النصارى ، بل هم شر ممن ينصر المشركين على المسلمين .

- الراد على أهل البدع مجاهد .

- أفتى ابن تيمية عام ٧٠٤ هـ باستباحة دماء الشيعة وأقنع السلطان محمد بن قلاوون بتسيير حملة اشتراك فيها ابن تيمية لمقاتلة الشيعة فى جبال كسروان بلبنان .

(١٦) انظر الفتوى الحموية والعقيدة الواسطية ..

وكانت نتيجة هذه الحملة أن خربت كسروان وقتل النساء والشيوخ والأطفال ..

ولم يقصر ابن تيمية فتاواه على المسلمين بل تعداهم إلى المسيحيين ، وأفتى بوجوب هدم الكنائس فى مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد ونحوها من الأمصار سواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثه [١٧] ..

" مثل هذه الفتاوى وغيرها يوجد منها الكثير فى كتب ابن تيمية مثل الفتاوى الكبرى ونقد المنطق .. ودرء تناقض العقل والنقل ".

- مرجع الجماعات المتطرفة /

هل بعد حبس ابن تيمية وموته سكتت مدافعه ؟

الإجابة : أن بعض تلامذته مثل ابن قيم وابن كثير حاولا تسليط هذه المدافع نحو المسلمين إلا أن مصيرهما كان كمصير إمامهما أن ضربا وضيق عليهما ولحق بهما الأذى فاتجها نحو الكتابة والتصنيف .

ومنذ ذلك الحين أسدل الستار على ابن تيمية وعطلت مدافعه وحل بها الخراب حتى ظهر محمد ابن عبد الوهاب فى جزيرة العرب ، فكشف عنها ، وقام بتنظيفها وتجهيزها ثم سلطها مرة أخرى على المسلمين ، وقدر الله أن ينصره ابن سعود لتقوم لأول مرة فى التاريخ دولة للحنابلة ويصبح ابن تيمية شيخ الإسلام بعد أن كان منبوذاً.

وببركات النفط أصبحت له هيئات وجامعات ورموز تنشر فكرة وترضعه للمسلمين فى كل مكان .

وعن طريق هذه المؤسسات والجامعات والرموز اخترقت التيارات والجماعات الإسلامية وتشبعت بفكر ابن تيمية وتقمصت شخصيته حتى بدا وكأنه لا يوجد فقهاء فى تاريخ المسلمين سواه .

وأصبحت كتب ابن تيمية التى لم يكن يسمع عنها أحد تطبع وتوزع مجانا ، وتهدى ولا تباع ، بل توزع فتاواه (٣٧ مجلدا) مجاناً على المساجد والمؤسسات والأفراد [١٨] .

ومن هنا حملت الجماعات الإسلامية مدافع ابن تيمية من جديد وأخذت توجهها نحو المسلمين وأيضا المسيحيين .

- مدفع الفرقان

وفى كتابه الفرقان بين الحق والباطل الذى صنفه فى سجن دمشق قال فى مقدمته :

إن الله بين فى كتابه الفرقان بين الحق والباطل وكذلك نبيه فمن كان أعظم اتباعاً لكتابه الذى أنزله ونبيه الذى أرسله كان أعظم فرقاناً .

ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان واشتبه عليه الحق بالباطل كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان والنبى الصادق بالمتبنى الكاذب وآيات النبيين بشبهات الكذابين حتى اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق .

وهذا الكلام الذى يدين به فقهاء الحنابلة إنما اخترع لإرهاب المخالفين لنهج الرواية والرجال وذلك بربط الرواية بالقرآن . وهدى الله بهدى الرسول (ص) . بمعنى أن الذين يرفضون الروايات ويشككون فيها يكونوا بهذا التصور يرفضون القرآن ويشككون فى نصوصه . وهو ما تم توكيده فى الشعار الدائم الذى لا زال يرفع حتى اليوم وهو شعار : الكتاب والسنة حيث أصبح الإسلام هو الكتاب والسنة . بينما الحقيقة أن الإسلام هو الكتاب . فهو المصدر الوحيد المعصوم المنزل من قبل الله سبحانه ليكون حجة على البشر ..

ولقد أصبحت الروايات بمرور الزمن وبتوجيه الحكام هى الناطق بلسان الإسلام والمعبر عنه ونتج عن هذا أن هيمنت الروايات على القرآن مما أدى إلى استفزاز أصحاب العقول وتصديهم للروايات والفقهاء الذين يدعمونها .

وابن تيمية هنا إنما يردد تهديدات من سبقه من فقهاء السلف من الحنابله وغيرهم لارهاب الإتجاهات الأخرى وعزل المسلمين عنها ..

ويؤكد ابن تيمية أن اتباع رجال السلف ومعرفة أقوالهم فى العلم والدين وأعمالهم خيراً وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم . أقوال السلف وأعمالهم فى جميع علوم الدين كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والاخلاق والجهاد وغير ذلك . فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم . ومعرفة إجماعهم ونزاعهم فى العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم . وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً .واذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم . فيمكن طلب الحق فى بعض أقاويلهم ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه .

(١٧) انظر ملاحق الكتاب .

ويواصل ابن تيمية إطلاق مدافعه على المخالفين بقوله : وكل من خالف ماجاء به الرسول (ص) لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل . بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن وما تهوى الأنفس ..

ثم يسلط مدفعه على أصحاب الرأى بقوله : وكل الأصول العقلية التى ابتدعها هؤلاء باطلة فى العقل والشرع ..

والمقصود بهذا الكلام الاتجاهات الرافضة للروايات المتعلقة بصفات الله المأولة لهذه الصفات المتبنية لنهج العقل والمنطق والفلسفة أو ما سمى بعلم الكلام أو العقليات ..

فجميع ذلك مرفوض عند ابن تيمية وسلفه من الحنابلة الذين يعتقدون بأن الله سبحانه له يد وعين ورجل ويرى ويهبط ويصعد ومكانه فوق العرش وأنه أراد الشر واختاره كما نص على ذلك أمامهم ابن حنبل ..

وهؤلاء الرافضين هم أهل الهوى والزيغ والضلال ..

(١٨) تم طبع فتاوى ابن تيمية على نفقة خادم الحرمين ..

مدافع ابن القيم

تلميذ بن تيمية وحامل مدافعه ..

حمل ابن القيم راية الحنابلة من بعد وفاة استاذه ابن تيمية واطلق مدافعه على الخصوم وسار على سنة استاذة إلا أنه لم يصمد طويلاً وسلك سبيل التأليف بعيداً عن الصدام والمواجهة بعدما نال من الاضطهاد والمحن على يد الفقهاء من أصحاب المذاهب الأخرى وحلفائهم من حكام المماليك .. [١]

وقام ابن القيم بتطوير مدفع امامه ابن حنبل المسمى (**الرد على الجهمية والزنادقة**) وأعده وجهزه ليواجه أهل زمانه من المسلمين المخالفين أو الزنادقة المارقين وأسماه (**اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية**)

وسلك ابن القيم نفس سبل إمامه ابن حنبل واستاذه ابن تيمية فى مواجهة المعارضين معتمداً على الروايات وأقوال سلفة وشعاراتهم التى رفعوها وبدا وكأنه صورة طبق الأصل من ابن حنبل وابن تيمية..

ثم تجاوز ابن القيم هذا الدور واجتهد فى تصنيف المخالفين واصدار الأحكام فيهم ..

يقول ابن القيم : وأما أهل البدع الموافقون لأهل الاسلام ولكنهم مخالفون فى بعض الاصول - كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم - فهؤلاء أقسام :

أحدها : الجاهل المقلد الذى لا بصيرة له ، فهذا لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته ، إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفوا غفوراً..

القسم الثانى : المتمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق ، ولكن يترك ذلك اشتغالا بدنياه ورياسته ولذته ومعاشه وغير ذلك ، فهذا مفرط مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته ، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركى بعض الواجبات فإن غلب مافيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى ردت شهادته ، وأن غلب ما فيه من السنة والهدى قبلت شهادته ..

القسم الثالث : أن يسأل فيطلب ويتبين له الهدى ، ويتركه تقليداً أو تعصباً أو بغضاً أو معاداة لأصحابه فهذا أقل درجاته : أن يكون فاسقا ، وتكفيره ، محل اجتهاد وتفصيل ، فإن

كان معلناً داعية ردت شهادته وفتاويه وأحكامه مع القدرة على ذلك ، ولم تقبل له شهادة ولا فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة كحال غلبه هؤلاء واستيلائهم ، وكون القضاء والمفتين والشهود منهم، ففي رد شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير ولا يمكن ذلك فتقبل للضرورة.. [٢]

وقام ابن القيم باعداد مدفع آخر أسماه (**أحكام أهل الذمة**) سلطة على غير المسلمين وحشاه بشتى أنواع القذائف الثقيلة ..

وأول هذه القذائف ذلك الكم من الروايات التى حشدها فى كتابة :

وأول هذه الروايات رواية تقول : **لاخصاء فى الاسلام ولا كنيسة ..**

وهذه الرواية منسوبة للرسول (ص) ..

وثانى هذه الروايات منسوبة لابن عباس قال : أيما مصر مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه ولا يضربوا فيه ناقوساً ولا يشربوا فيه خمراً ولا يتخذوا فيه خنزير ، وايما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فنزلوا فيه فإن للعجم ما فى عهدهم وعلى العرب أن يوفوا بعهدهم ولا يكلفوهم فوق طاقتهم .

وثالث هذه الروايات منسوبة لعمر بن عبد العزيز أن عمر كتب أمراً بهدم الكنائس التى فى أمصار المسلمين ..

ورابع هذه الروايات عن الحسن تقول:من السنة أن تهدم الكنائس التى بالأمصار القديمة والحديثة..

وخامس هذه الروايات تقول : سئل ابن حنبل عن البيعة والكنيسة تحدث - أى تبنى من جديد- فقال : يرفع أمرها إلى السلطان ، أى ليأمر بهدمها ..

وسادس هذه الروايات رواية منسوبة للرسول (ص) تقول : **لا تكون قبلتان فى بلد واحد..** وأخرى تقول : **لا تبنى كنيسة في الاسلام ولا يجدد ما خرب منها ..**

وهذه الروايات وغيرها مما تكتظ به كتب السنن فيما يتعلق بأصحاب الديانات الأخرى موضع شك فقهاء الحديث ، ورغم ذلك يسترشد بها الفقهاء . كما أن هذه الروايات جميعها رويت عن طريق أحمد بن حنبل ..

(١)حبس ابن القيم بسبب فتوى له بتحريم زيارة مسجد يقال له مسجد إبراهيم انظرترجمته فى

ثم حشد ابن القيم بعد هذه الروايات كماً من فتاوى الفقهاء التى ترتكز على هذه الروايات وغيرها من الروايات التى تتعلق بالموضوع ..

وجميع هذه الفتاوى تتركز فى دائرة منع بناء الكنائس ومنع ترميمها والعلاقة بين الحاكم والذمي وأورد ابن القيم فى كتابه الشروط التى يلتزم بها أهل الذمة فى ديار الاسلام وهى :

* ألا يحدثوا فى مدينتهم ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا صومعه راهب ولايجددوا ماخرب ..

* أن لا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ..

* أن لا يؤووا جاسوساً ولا يغشوا المسلمين ولا يمنعوا ذوى قراباتهم من الاسلام إن أرادوا..

* أن يوقروا المسلمين وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس ..

* أن لا يتشبهوا بالمسلمين فى شئ من لباسهم وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ..

* أن لا يتقلدوا سيفاً ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم فى شئ من طريق المسلمين ..

* أن لا يرفعوا أصواتهم بالقراءة فى كنائسهم ..

* أن لا يعلموا أولادهم القران ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم ..

* أن لا يجاوروا المسلمين بموتاهم وأن يجزوا مقادم رؤوسهم ..

فإن خالفوا شيئاً مما شرطوه فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق.

قال ابن القيم وشهرة هذه الشروط تغنى عن اسنادها -أى محاولة اثبات صحتها من حيث السند - فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها فى كتبهم واحتجوا بها ولم يزل ذكر الشروط العمرية - نسبة إلى عمر بن الخطاب صاحب الشروط السابقة - على ألسنتهم وفى كتبهم وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها ..

وقسم ابن القيم فى كتابه البلاد التى تحوى أصحاب الديانات الأخرى إلى ثلاثة أقسام :

الاول : بلاد أنشأها المسلمون فى الاسلام ..

الدررالكامنة حـ٣ترجمة رقم ١٠٦٧..

الثانى : بلاد أنشئت قبل الاسلام فافتتحها المسلمون عنوة وملكوا أرضها وساكنيها .

الثالث : بلاد أنشئت قبل الاسلام وفتحها المسلمون صلحاً..

والقسم الأول الثانى لا يجوز أن تبنى كنيسة ولا بيع فيه وما بنى يهدم ويلزم بالشروط السابق ذكرها ،

أما القسم الثالث فيقر على حاله وما بنى بعد الصلح يهدم ..

يقول ابن القيم : وهذا الذى جاءت به النصوص والآثار هو مقتضى أصول الشرع وقواعده فإن إحداث هذه الأمور إحداث لشعائر الكفر وهو أغلظ من إحداث الخمارات والمواخير ، فإن تلك شعار الكفر وهذه شعار الفسق ، ولا يجوز للإمام أن يصالحهم فى دار الاسلام على إحداث شعائر المعاصى والفسوق ، فكيف إحداث مواضع الكفر والشرك ..[٣]

ومثل هذه الروايات التى استند عليها ابن القيم والفتاوى التى استحضرها هى التى ارتكز عليها حنابلة العصر من الجماعات الاسلامية واستباحوا دماء وأموال النصارى على أساسها مرتكزين على أن المجتمع المعاصر يعد حسب المفهوم الفقهى الذى وضعه الفقهاء : دار حرب لا يوجد فيها امام ولا توجد بين المسلمين والنصارى عقود ذمة تحفظ على أساسها أموالهم ودمائهم فمن ثم هم عرضه للاستحلال من قبل هذه الجماعات التى جعلت من نفسها قيماً على الدين ومعبراً عنه وناطقة بلسانه وقد منحتها هذه الصلاحيات عقيدة أهل السنة ونصوص الفقهاء ، وعجز فقهاء العصر وتحالفهم مع الحكام من جانب آخر ...

مثل هذا الفقه المتطرف الذى بنى على روايات ضعيفة وعلى الأعراف وقرارات الحكام يجب أن يعاد ضبطه مع القرآن ، وهو لن ينضبط معه بحال ، فالقرآن لم ينص على شئ من هذا تجاه الديانات الأخرى ..

هذا الفقه إنما هو وليد مرحلة سياسية خاصة هى مرحلة الحروب والغزوات وليس وليد النصوص .

(٢)الطرق الحكمية صـ ٢٠٣..

مدافع ابن حجر الهيتمى

إمامى معاوية ..

(٣) انظر ملاحق الكتاب ..

ولد ابن الحجر الهيتمى فى محلة أبى الهيتم من أعمال الغربية بمصر سنة (٩٠٩ هـ) ثم انتقل للإقامة بمكة سنة (٩٤٠هـ) وتوفى بها سنة (٩٧٤هـ) ...[١]

وقد استفز ابن حجر تيار الشيعة فقرر أن يطلق مدافعه عليه . تلك المدافع التى تمثلت فى كتابين شهيرين له :

الأول هو كتاب (**الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة**) .

والثانى هو (**تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بثلب معاوية بن ابى سفيان**).

- مدفع الصواعق :

يقول ابن حجر فى مقدمه كتابه هذا : سئلت قديماً فى تأليف كتاب يبين حقية خلافة الصديق وامارة ابن الخطاب فأجبت إلى ذلك مسارعة فى خدمة هذا الجناب . ثم سئلت فى اقرائه فى رمضان سنة خمسين وتسعمائة بالمسجد الحرام لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة فأجبت إلى ذلك رجاء لهداية بعض من زل به قدمه عن أوضح المسالك ،

ويصف ابن حجر كتابه بقوله : فجاء كتاباً فى فنه حافلاً ومطلباً فى حلل الرصانة والتحقيق رافلاً ومهنداً قاصماً لحجج المبطلين وأعناق شرار المبتدعة الضالين ..

وحشد ابن حجر فى مقدمته كما من الروايات التى ترهب المخالفين من المبتدعة الضالين المنسوبة لرسول رب العالمين (ص) ..

الأولي رواية تقول : أهل البدع شر الخلق والخليقة ..

والثانية تقول : أصحاب البدع كلاب النار ..

والثالثة تقول : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ..

والرابعة تقول: إذا مات صاحب بدعة فقد فتح فى الاسلام فتح ..

والخامسة تقول: لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوماً ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين ..

وبالطبع المقصود بأصحاب البدعة هم المخالفون للفقهاء والنهج السائد من أصحاب

لاتجاهات الأخرى من داخل أهل السنة ومن خارجهم ..

وقد حشد ابن حجر بعد ذلك كماً هائلاً من الروايات التى تهاجم المخالفين والناظرين بعقولهم فى حركة الصحابة وما جرى بعد وفاة الرسول (ص) من خلافات وصدامات مؤكداً من خلال هذه الروايات أن فترة الصحابة فترة مقدسة وأن ما جرى فيها لا يخرج عن كونه صورة من صور الاجتهاد المحمود شرعاً ، وان الناقدين لتلك الفترة سواء كانوا من الشيعة أو من غيرهم هم مبتدعة زنادقة كما حدد ذلك مسبقاً على غلاف كتابه ..

يقول ابن حجر : وإنما أفتتحت هذا الكتاب بالصحابة وختمته بهم ، إشارة إلى أن المقصود بالذات من تأليفه تبرئتهم من جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم من غلبت عليهم الشقاوة وترددوا بأردية الحماقة والغباوة ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين وركبوا متن عمياء وخبطوا خبط عشواء فباؤا من الله بعظيم النكال ووقعوا فى أهوية الوبال والضلال مالم يدراكهم الله بالتوبة وألرحمة ..

ومن الواضح مدى تطرف هذا الكلام فى حق المخالفين تجاه قضية محيطها الرجال وهى ليست أصلاً من أصول الدين ، لكن المسألة فى الاساس ليست مسألة صحابة وإنما هى مسألة حكام يتسترون بالصحابة ، ويعتبرون محاولة التشكيك فى الصحابة تعنى التشكيك فى شرعيتهم ..

أو بصورة أخرى المسألة فى أساسها تنحصر فى معاوية وتدور من حوله بمعنى أن التشكيك فى الصحابة سوف يقود إلى التشكيك فى معاوية . والتشكيك فى معاوية سوف يقود إلى التشكيك فى الحكام من بعده فجميع الحكام أمويين وعباسيين وغيرهم ساروا على سنة معاوية ...[٢]

يقول ابن حجر : إعلم أن الذى أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم ، والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم ، ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين على ومعاوية من الحروب لم يكن لمنازعة معاوية لعلى فى الخلافة ، فلم تهج الفتنة بسببها وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من على تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه ..

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ١ . وخلاصة الأثر جـ٢ . والبدر الطالع للشوكانى

ومن اعتقاد أهل السنة أن معاوية من المجتهدين له أجر على اجتهاده ، وأما ما يستبيحه بعض المبتدعة من سبه ولعنه فلا يلتفت إلى ذلك ولا يعول عليه فإنه لم يصدر إلا من قوم حمقى جهلاء أغبياء طغاة لا يبالى الله بهم بأى واد هلكوا ، فلعنهم الله وخذلهم أقبح اللعنة والخذلان ، وأقام على رؤوسهم من سيوف أهل السنة وحججهم المؤيدة بأوضح الدلائل والبرهان ما يقمعهم عن الخوض فى تنقيص أولئك الأئمة والأعيان ، ولقد استعمل معاوية عمر وعثمان وكفاه ذلك شرفاً أهـ ..

إن الدفاع عن معاوية فى نظر ابن حجر والفقهاء إنما هو دفاع عن الدين وقد استتبع هذا الدفاع دفاع عن ولده يزيد ، حيث أن الطعن فى يزيد طعن فى والده ..

يقول ابن حجر : ولا يجوز الطعن فى معاوية لأنه من كبار الصحابة ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فإنه من جملة المؤمنين وأمره إلى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ..[٣]

ونقل ابن حجر قول الغزالى : ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج على بعض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين ، فالطاعن فيهم مطعون طاعن فى نفسه ودينه ..

وروى ابن حجر قصة وقعت فى عام (٧٥٥هـ)أنه أحضر شخصاً بدمشق أتهم بسبب الشيخين(ابو بكر وعمر) فأخذ وسجن والاغلال فى عنقه ، ثم قدم للقاضى المالكى فضربه وهو مصر على قوله.

ثم تكرر ضربه واستتابته فلم يرجع عن قوله ، فاجتمع الفقهاء والقضاة للبحث فى كفره وعدم قبول توبته ، وحكم بقتله ..

وشنع السبكى على من قال أن هذا الرجل قتل بغير حق . وجزم بأنه قتل بحق لأنه كافر مصر على كفره ..

وقدم ابن حجر الروايات والفتاوى التى تؤيد كفره وجواز قتله وصواب الحكم الذى صدر فيه ...[٤]

والثابت أنه لا يوجد نص فى القرآن أو فى السنة يقول صراحة بقتل الذى يسب الرسول فضلاً عن الذى يسب صحابى ، والفقهاء فى حالة صاحب هذه القصة قد طبقوا عليه أحكام

(٢) المقصود بسنة معاوية ما سنه من ملكية الحكم ووراثته وفصل الدين عن الدولة والاستبداد والتعبد بالرواية وتقديس الصحابة الذين والوه وناصروه..

(٣) يلاحظ هنا أن ابن حجر وضع يزيد فى منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة فى صاحب الكبيرة

المرتد عن الدين ، وكأن الصحابة أصبحوا ركناً من أركان الاسلام ..

ويبدو أن ابن حجر لم يقنع بما أحدثه مدفعه المسمى بالصواعق من خسائر وأضرار في المسلمين وعقولهم ودينهم فشهر مدفعاً آخر ضد خصوم معاوية والطاعنين فيه كي يسكتهم إلى الأبد ..

يقول ابن حجر : فهذه وريقات ألفتها في فضل سيدنا معاوية بن ابى سيفان رضى الله عنه وأرضاه وفي مناقبه وحروبه . وفى الجواب عن بعض الشبه التى استباح سبه بسببها كثير من أهل البدع والاهواء جهلاً واستهتاراً بما جاء عن نبيهم (ص) من المبالغة الأكيدة فى التحذير عن سب أو نقص أحد من أصحابه ، لا سيما أصهاره وكتابه ومن بشر بأنه سيملك أمته ، ودعا له بأنه يكون هادياً مهدياً ..

دعاني إلى تأليفها الطلب الحثيث من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند وأصلحهم وأشدهم تمسكاً بالسنة الغراء ومحبة أهلها وما نسب إليه مما يخالف ذلك فبفرض وقوعه منه تنصل منه التنصل الدافع لكل ريبة وتهمة ، كما يقطع بذلك التواتر عنه فى أواخر أمره كأوله بل حكى لى من هو فى رتبة مشايخ مشايخنا من بعض أكابر بنى الصديق عنه أنه مكث أربعين سنة لا ينظر إلى السماء حياء من الله تعالى . وأنه إنما يأكل من كسب يده ، وأن من قدم عليه من علماء أهل السنة بالغ فى تعظيمه بما لم يسمع عن غيره ككثرة التردد عليه ومع سعة ملكه وأبهة عسكره جالساً بين يديه على التراب كصغار طلبته مطلقاً عليه من الأرزاق والإنعام ما يلحقه بأكابر الأغنياء ، وسبب طلبه ذلك أنه نبغ فى بلاده قوم ينتقصون معاوية وينالون منه وينسبون إليه العظائم مما هو برئ منه لأنه لم يقدم على شئ مما صح عنه إلا بتأويل يمنعه من الإثم بل ويوجب له خطأً من الثواب ، فأجبته إلى ذلك ..

ولا يشك أحد أن معاوية من أكابرهم نسباً وقرباً منه (ص) وعلماً وحلماً فوجبت محبته لهذه الأمور التى اتصف بها بالاجماع ، فمنها شرف الاسلام وشرف الصحبة وشرف النسب وشرف مصاهرته له (ص) المستلزمة لموافقته له (ص) فى الجنة ولكونه معه فيها وشرف العلم والحلم والامارة ثم الخلافة ، وواحدة من هذه تتأكد المحبة لأجلها فكيف إذا اجتمعت ، وهذا كاف لمن فى قلبه أدنى إصغاء للحق وإذعان للصدق ..

وهذا الدفاع المستميت من ابن حجر عن معاوية يشوبه الضعف والخلل والتناقض . فهو أولاً قد حشد عشرات الروايات التى تمدح معاوية وتزكية على لسان الرسول (ص) وهى

،وكأنه بهذا قد أيد رؤيه المعتزلة التى يناهضها أهل السنة فى صاحب الكبيرة دون أن يدرى ..

جميعها روايات ضعيفة وموضوعة واجماع أئمته من أهل الفقة والرواية على أنه لم تصح فى معاوية منقبة وهذا ما شهد به البخارى وشارحه ابن حجر العسقلانى واسحاق بن راهوية استاذ البخارى .. (٥)

وقد تدارك ابن حجر الأمر وسد الباب أمام الشاكين فى هذه الروايات بقوله : فإن قلت هذا الحديث المذكور سنده ضعيف فكيف يحتج به ؟

قلت : الذى أطبق عليه أئمتنا الفقهاء والاصوليون والحفاظ أن الحديث الضعيف حجة فى المناقب..

هكذا حسم ابن حجر المسألة بكل بساطة مع ما تحمل من استخفاف بالعقل وبالدين فى آن واحد ومن الطبيعى أن يكون هذا توجه من جعل نفسه فى خدمة الحكام وسخر النصوص لدعمهم وإضفاء المشروعية عليهم ..

وتأمل ثناء ابن حجر على همايون الهندى الذى كتب كتابه فى معاوية بتوجيه منه وذلك لقمع الذين ينتقصون معاوية فى بلاده ، أى أن ابن حجر سلم مدفعاً لحاكم الهند ليسلطه على شعبه ، وهو قد صنع هذا المدفع تقرباً إلى الله ونصره لحاكم موالٍ لأهل السنة خصماً لأهل البدعة فمقياس الحاكم الصالح فى نظر الفقهاء أن يكون ملتزماً بمذهبهم ، ومقياس الفقيه الصالح فى نظر الحكام أن يكون مواليا لهم رهن إشارتهم باطشاً بخصومهم مكفراً لهم ..

ويسلط ابن حجر مدافعه على خصوم معاوية بقوله : أولئك كالانعام بل هم أضل سبيلاً فلا يتأهلون لخطاب ولا يوجه إليهم جواب لأنهم معاندون وعن الحق ناكثون بل أشبهوا كفار قريش فى العناد والبهتان حتى لم تنفع فيهم معجزة ولا قرآن ، وأنما النافع لهم القتل والجلاء عن الأوطان كيف وهم لا يرجعون لدليل وشفاء العليل منهم كالمستحيل ..

وهذا الكلام شديد التطرف من قبل ابن حجر تجاه خصوم معاوية هو بمثابة فتوى أو بمعنى أصح مدفع مسلط على المسلمين يناوله الفقهاء للحكام ليقمعوا به المعارضة التى يتزعمها المبتدعة والزنادقة ..

ويستمر ابن حجر فى اطلاق مدافعه على المخالفين بقوله : أحذر أيها الموفق أن تسترسل

---

(٤) انظر تفاصيل هذه القصة فى آخر كتاب الصواعق . وفى كتابنا الكلمة والسيف ..

مع مبتدع فى جدل أو خصام ، فإنك لو أقمت عليه الحجج القطعية والأدلة البرهانية والآيات القرآنيـة لم يصغ إليك واستمر على بهتانه وعناده لأن قلبه أشرب حب الزيغ عن سنن أهل السنة وخلفاء التوفيق والمنة اقتداء بكفار قريش الذين لم ينفع فيهم حجة ولا قرآن بل عاندوا إلى أن أفناهم العناد والسنان فكذا هؤلاء المبتدعة الكلام معهم عى..

وهكذا يطلق ابن حجر آخر مدافعه مدمراً جميع الوسائل السلمية من حوار ونقاش ومناظرة وعقل وتبادل رأى ومدمراً معها المخالفين من الزناذقة والمبتدعة فهم ككفار قريش لا يصلح معهم إلا السنان.

وابن حجر يريد بهذا أن يعفى المسلمون مؤنة النقاش والحوار واستخدام العقل مع الخصوم والمخالفين بقتلهم وافنائهم أو تشريدهم فى الأرض فهذا هو الحل الشرعى الذى أوجبته الروايات وفتاوى السلف أو بمعنى أكثر وضوحاً هو الحل الذى يحوز على رضا الحكام حماة أهل السنة شعب الله المختار الذين خلقهم الله ليكونوا سادة الأرض ومالكيها وحكامها بينما كتب الدمار والهلاك على مخالفيهم فى الدنيا والآخرة ..

(٥) انظر البخارى كتاب الفضائل . باب ذكر معاوية . وانظر شرح هذا الباب فى فتح البارى شرح

مدافع محمد بن عبد الوهاب

أنصاره يشبهونه بالرسول ..

لا ننكر أن فترة القرن الثامن عشر كانت تحتاج إلى صحوة إسلامية وتجديد فعلى للفكر الإسلامى، إلا أن ما فعله محمد بن عبد الوهاب وما دعا إليه لم يكن صحوة ولم يكن إصلاحاً لحال المسلمين ..

تعالوا بنا إذن نعرف الحكاية من أولها ..

- قرن الشيطان ..

ينتمى محمد بن عبد الوهاب إلى منطقة نجد وهى نفس منطقة آل سعود وقد ولد عام(١١١٥هـ -١٧٠٣م) فى بلدة العيينة شمال الرياض ..

وكاد حاد المزاج يعشق ابن تيمية ويتقمص شخصيته ..

درس على يد والده الفقه الحنبلى والتفسير والحديث ..

وتروى كتب الاحاديث أن رسول الله (ص) ذم نجد وأهلها وحذر المسلمين من شرهم ..

الرواية الأولى تقول : ألا أن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان وأشار إلى نجد..

والرواية الثانية تقول : الفتنة من قبل المشرق . حيث يطلع قرن الشيطان ..

والرواية الثالثة قول الرسول (ص) : اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا ..

قالوا : وفى نجدنا يا رسول الله : فكرروا ثلاثاً ورسول الله يدعو للشام واليمن ثم قال : تلك مواضع الزلازل والفتن ..[١]

إلا أن فقهاء الوهابية لم يتركوا هذه الروايات تمر مر الكرام خوفاً من أن يستثمرها خصومهم ، فعملوا على تأويلها وصرفها عن معناها مؤكدين أن المقصود بمواضع الزلازل والفتن هى العراق ..

وكان محمد بن عبد الوهاب قد تنقل فى البلاد طلباً للعلم وقد طاب له المقام بالبصرة إلا أن أهلها أخرجوه منها وطردوه حافياً بسبب دخوله فى صدام مع التيار الصوفى وانكاره عليهم زياراتهم لمقابر الأولياء والتوسل بهم فتوجه بعدها إلى الشام ولم يوفق فيها وعاد إلى نجد حيث لازم أباه وعكف على كتب ابن تيمية وتلميذة ابن القيم ..

ثم بدأ بعد ذلك فى الاحتكاك بالناس ودعوتهم إلى أفكاره فكان أن اصطدام به والده وشقيقه سليمان وحارباه ، ولم يستطيع الجهر بدعوته إلا بعد وفاة أبيه ، إلا أنه اجبر على

(١) البخارى ومسلم كتاب الفتن ..

الفرار من (حر يملا) بعد أن نجا من محاولة لقتله واتجه نحو (العيينة) مسقط رأسه واحتمى بحاكمها ودعاه إلى مذهبه فمال إليه ثم تراجع عن نصرته بعد أن أحسن بغضب حاكم الاحساء الذى أرسل يطلب رأس ابن عبد الوهاب ، فأمر بإخراجه من حريملا وأرسل معه فارس وكله بقتله فى الطريق ..[٢]

وتروى الكتب الوهابية أن هذا الفارس ارتعدت يداه ولم يتمكن من قتله .. ونزل ابن عبد الوهاب (الدرعية) وهناك تعرف عليه أميرها محمد بن سعود ..[٣]

- الدم .. الدم .والذهب .. الذهب .

وكان أن مال ابن سعود لدعوة ابن عبد الوهاب ..

ويروى أن ابن سعود دخل على ابن عبد الوهاب قائلاً : أبشر بالخير والعز والمنعة ..

وكان رد ابن عبد الوهاب ما يلي : وأنت أبشر باليمن والغلبة على جميع بلاد نجد ..

ورجاه أن يكون إماماً يجتمع عليه المسلمون ويكون له الملك والسيادة ومن بعده فى ذريته..

قال ابن سعود :أبشر بالنصر لما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد ولكنى اشترط عليك شرطين :

الأول : اذا نحن قمنا بنصرتك والجهاد فى سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلاد لا ترحل عنا ولا تستبد لنا بغيرنا ..

الثانى : أن لى على أهل الدرعية خراجاً آخذه منهم فى وقت اقتطاف الثمار فلا تمنعنى من استيفائه منهم ..

فقال ابن عبد الوهاب : أما الأولى فأمدد يدك لأبايعك فمدها له وقبض عليها الشيخ قائلاً : الدم بالدم والهدم بالهدم ..

وأما الثانية فلعل الله يفتح لنا الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها ..

وتم الاتفاق وبدأ ابن عبد الوهاب يخطط لدعوته ..

---

(٢) محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه . ط الجامعة الإسلامية بالمدينة يهدى ولا يباع .

(٣) انظر المرجع السابق . وانظر تاريخ الجزيرة العربية فى عصر محمد بن عبد الوهاب ..

وابن سعود يخطط لملكه ..

وهكذا تم تقسيم السلطات وتوزيع الاختصاصات ..

وهكذا أعمل السيف فى رقاب المسلمين فى جزيرة العرب المناهضين لدعوة التوحيد التى يرفع رايتها محمد بن عبد الوهاب ..

وأحلت لابن سعودالغنائم بفتوى ابن عبد الوهاب ..

وسار كلاهما فى طريق جانبه ذهب وجانبه الآخر دماء ..

وربح ابن سعود الملك والذهب ..

وربح ابن عبد الوهاب منصب شيخ الاسلام فى جزيرة العرب ..

وكان هذا الاتفاق بمثابة تأكيد لشرعية فصل الدين عن الدولة ..

- عقيدة ابن عبد الوهاب ..

هل جاء محمد بن عبد الوهاب بشئ جديد ؟

والإجابة أن عقيدة ابن عبد الوهاب هى عقيدة الحنابلة وابن تيمية على وجه الخصوص تلك العقيدة التى تقوم على مايلى :

* الروايات ..
* السلف الحنابلة ..
* تكفير المخالفين واستحلالهم ..

وعلى أساس الروايات وأقوال الحنابلة بنى ابن عبد الوهاب عقيدته التى أسماها (التوحيد).

وما دامت عقيدته هى عقيدة التوحيد فإن من يخالفه أو يناهضة فهو من المشركين المستباحين ..

من هنا فإن محمد بن عبد الوهاب نهض بسيف ابن سعود للقضاء على الشرك والضلال السائد فى جزيرة العرب والذى تحرسه دولة الخلافة فى الاستانة ..

نهض ابن عبد الوهاب ليدعوا إلى توحيد العبودية لله حيث أن الناس فى زمانه قد اشركوا فى عبادة الله الانبياء والاولياء والأشجار ونذروا لها وحلفوا بها وقدسوها ..

ويدعو إلى رفض التوسل بالأموات من الأنبياء والصالحين ..

ويدعو إلى منع شد الرحال إلى مساجد الانبياء والصالحين (الزيارة)

ويدعو إلى منع البناء على القبور وكسوتها وإنارتها ..

ويدعو إلى توحيد الاسماء والصفات أى وصف الله بما ورد فى الروايات من أن له يدوعين ورجل ويضحك ويغار ويفرح ويهبط ويصعد وما شابه ذلك ورفض تأويل هذه الروايات وصرفها عن معناها الظاهرى إلى معنى مجازى ..

وجاء ابن عبد الوهاب ليدعو إلى انكار البدع كالاحتفال بالموالد والصلاة على الرسول بعد الآذان والتلفظ بالنية وممارسات الصوفية ..

ويبدو من خلال هذه الأمور التى دعا إليها ابن عبد الوهاب أنه لم يأت بجديد ، وأن مثل هذه الأفكار طرحها من قبله ابن تيمية وتم ضربها وانتهت بموته فى الحبس ..

إلا أن الفارق بين ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، أن ابن تيمية لم يجد له نصيراً يدعمه بسيفه ، بينما تحقق لابن عبد الوهاب ذلك ..

من هنا يمكن القول أن عقيدة ابن عبدالوهاب فرضت على الناس بالسيف لا بالدعوة والحوار ..

ولو كانت دعوته تعتمد على الحوار والتبليغ لما كانت هناك حاجة لسيف ابن سعود ..

- دولة الحنابلة ..

دخل ابن سعود ومعه ابن عبد الوهاب فى حروب دينية دموية مع المعارضين لهما فى جزيرة العرب ...

واستمرت هذه الحروب سنوات طويلة تمكن ابن سعود وأولاده من بعده من السيطرة على قطاعات كثيرة من الجزيرة العربية وجعلوا من الدرعية عاصمة لهم ..

وتم فتح الرياض عام (١١٨٧ هـ) على يد عبد العزيز بن محمد بن سعود وأتسع ملك آل سعود وفوض ابن عبد الوهاب أمر الغنائم والأموال لعبد العزيز بينما تفرغ هو لإلقاء الدورس وتصنيف الردود على المخالفين ..

وفى عام (١١٧٩هـ) توفى محمد بن سعود وبويع عبد العزيز إماماً ودخل فى صراع

دموی مع خصومه ، وقام سعود ولده فی عام (١٢١٥ هـ) بغزو العراق والاستيلاء على مدينة كربلاء التى فيها مرقد الامام الحسين ، فقام بهدم المرقد وقبته واستولى على ما فى المسجد من الحلى والنفائس ثم أشعل النار فى المدينة وقتل المئات من النساء والاطفال وقدر عدد القتلى من أهل المدينة بألفى قتيل، وهناك فى الطريق تم تقسيم الغنائم على الفاتحين ثم عاد الجميع إلى الدرعية وهم يهتفون الله أكبر .. (٤)

وفى عام(١٢١٨هـ) تم اغتيال عبد العزيز على يد أحد العراقيين وبويع بعده بالإمامة سعود ولده.

وهكذا قامت للحنابلة أول دولة فى تاريخ المسلمين وتحقق حلم ابن تيمية على يد ابن عبد الوهاب ..

إلا أن هذا الصرح الحنبلى لم يدم طويلاً فقد جاء محمد على بقواته فهدمه ودخل عاصمتهم الدرعية وتشتت الوهابيون في أنحاء الجزيرة وذلك بعد مرور سبعين عاماً على توقيع الاتفاق بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود .. (٥)

- مصر موطن الشرك ..

ومنذ ذلك الحين اعتبر الوهابيون مصر الشيطان الأكبر ومحمد على طاغوتاً جاء بقواته ليهدم صرح التوحيد ويقتل الموحدين ..

منذ ذلك الحين تولدت لدى الوهابيين عقدة تجاه مصر والمصريين ، فأصبحوا يكرهون كل ما هو مصرى ، حتى أنهم كانوا يهاجمون المحمل المصرى ويحرقونه ، ذلك المحمل الذى كان يأتيهم كل عام بالخيرات وبكسوة الكعبة ..

وحين قام عبد العزيز آل سعود ببناء الدولة الوهابية الثانية بعد الحرب العالمية الأولى بالتحالف مع الانجليز وانضمت إليه جماعات (الاخوان) المتعصبة للوهابية وأصبحت سنده فى الحكم ، قرر عبد العزيز أن يعلنها مملكة منفتحة على الغرب والعصر وهنا أحس الوهابيون أن دورهم آخذ فى التلاشى وأن السياسة سوف تقضى عليهم فدخلوا فى صدام مع عبد العزيز وأخذوا يحرضون القبائل عليه ويثيرون الشبهات من حوله ..

---

(٤) المرجعين السابقين . وانظر تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ..

(٥) المرجعين السابقين وانظر تاريخ الجبرتى ..

وفى مقدمة هذه الشبهات :

استخدامه التليفون واللاسلكى وهو من عمل الشيطان

وركوبه سياره من صنع المشركين ..

وتقريبه لعناصر المشركين من المستشارين الانجليز ..

وإرساله ولده سعود ليدرس فى بلاد الشرك (مصر) ..

وقد اعتبرت مصر بلاد الشرك فى منظور الوهابيين لكثرة قبور الأولياء والصالحين فيها فهى بلدة مليئة بالأصنام التى تعبد من دون الله ..

ودخل عبد العزيز فى صدام دموى مع الأخوان وتمكن من سحقهم ببركة الانجليز وأعلن ميلاد الدولة السعودية الثانية عام ١٩٣٢ م .

والحق أنه يجب تسميتها بالدولة الأولى فقد كان أجداد عبد العزيز يعتبرون أنفسهم أئمة وليسوا ملوكا ، كما لم يجرءوا على تسمية الجزيرة العربية بإسمهم ..

ومن قيام دولة عبد العزيز آل سعود وحتى اليوم بدأ دور آل الشيخ من أبناء محمد عبد الوهاب الذين كانوا يتولون المناصب الدينية فى التلاشى بالتدريج حتى اختفوا من الساحة وكانت آخر مواقعهم هيئة كبار العلماء التى تسلمها من بعدهم عبد العزيز بن باز وتلاميذه..

- الرسول ومحمد بن عبد الوهاب ..

فتن الوهابيون بشيخهم كما فتن أنصار وتلامذة ابن تيمية بإمامهم من قبل . ورفعوه عالياً فوق مقام الأئمة والمصلحين حتى ساووه بالرسول (ص) ..

وإليكم التفاصيل :

يحدد أحد تلامذه الوهابية وجة المشابهة بين عصر الرسول (ص) وعصر محمد بن عبد الوهاب بقوله :

* عصر الرسول كان عصراً قد بلغ من فساد العقائد والعادات والأخلاق مبلغاً عظيماً وكان عصر ابن عبد الوهاب شبيها بهذا العصر ..

* بعث الرسول (ص) بعد فترة من الرسل والبشرية متعطشة إلى بعثته الكريمة .

وجاء محمد بن عبد الوهاب فى وقت كانت جزيرة العرب فى أمس الحاجة إلى مصلح يرجع بها إلى تعاليم الرسول .

* كما وفق نبينا فى الدعوة إلى الله وتوحيده ونبذ الشرك،وفق محمد بن عبد الوهاب فى دعوته.

* أخرج الرسول من مكة وأذوى من قريش وأجمعوا على قتله فهاجر ، وكذلك ابن عبد الوهاب أوذى وحاول البعض قتلة فهاجر إلى الدرعية ..

* كما جرى للرسول وهو فى طريقه نحو المدينة أن تبعه سراقة وحاول قتله كذلك جرى ذلك لابن عبد الوهاب حين أخرج من العيينة ...

* وكان ابن عبد الوهاب يعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل رسول الله ..

* ومثلما اعترض الرسول الخطر والكوارث والهلاك اعترضت حياة ابن عبد الوهاب الويلات والكوراث ..

* وكما كان الرسول يغزو بنفسه كان ابن عبد الوهاب يغزو بنفسه مع ابن سعود ..

* وكما كان الرسول يرسل الرسل إلى الملوك والحكام يدعوهم إلى دين التوحيد كان ابن عبد الوهاب يفعل نفس الشئ ..

* وكما أبتلى الرسول بأعداء أقوياء يتهمونه بالسحر والكذب ، أبتلى ابن عبد الوهاب أيضاً بأعداء أقوياء اتهموه بالكذب والسحر حتى أخوه سليمان كان عدواً لدوداً له .

* وكما انتصر الرسول على أعدائه وخضعوا له ، كذلك ابن عبد الوهاب انتصر على اعدائه وخضعوا له .. (٦)

ويعتبر الوهابيون أن الاتفاق الذى وقع بين ابن عبد الوهاب ومحمد بن سعود هو نفس الاتفاق الذى تم بين الرسول والانصار فى بيعة العقبة الثانية حتى أن ابن عبد الوهاب قال نفس ما قاله الرسول : الدم بالدم والهدم بالهدم .. (٧)

وكما آخى الرسول بين المهاجرين والإنصار آخى محمد بن عبد الوهاب بين المهاجرين إليه من مريديه وأهل الدرعية التى اتخذها مقراً لدعوته ..

---

(٦) محمد بن عبد الوهاب عقيدته ودعوته ..

(٧) المرجع السابق . وانظر سيرة ابن هشام .

- مؤلفات محمد بن عبد الوهاب ..

تدور مؤلفات ابن عبد الوهاب فى أغلبها حول قضايا الشرك والبدع التى قام لمناهضتها باعتبارها متناقضة مع التوحيد حسب منظوره ..

ومن هذه المؤلفات :

كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ..

وكتاب مسائل الجاهلية ..

وكتاب أصول الإيمان ..

وكتاب الكبائر ..

وكتاب مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد ..

وكتاب كشف الشبهات ،وهو الكتاب الذى فرضه آل سعود على أهل مكة حين سقطت فى أيديهم وأجبروا الناس على قراءته وتدريسه بالحرم المكى ..

ولأبناء محمد بن عبد الوهاب الكثير من الكتب التى تدور فى نفس الدائرة منها :

كتاب الكلمات النافعة فى المكفرات الواقعة .. (عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب)

وخمس رسائل فى التوحيد وأنواع الشرك وطروءه على المسلمين .. (عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب)

وثلاثة رسائل فى حكم السفر إلى بلاد الشرك ، وأوثق عرى الإيمان وحكم موالاة أهل الاشراك (سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب)

وفى رسالة حكم موالاة أهل الاشراك فتوى تنص على أن الذين يخطئون أهل التوحيد ويتبعون المشركين من (أهل القباب) ويشهدون أنهم على حق وينصرونهم هم كفار من أشد الناس عدواة لله ورسوله (ص) ..

وعلى أساس هذه الفتوى يصبح جميع المسلمين الذين لا يدينون بالوهابية ولا يتبعون مذهب محمد بن عبد الوهاب هم كفار حلال الدم والمال ..

وهو ما طبق بالفعل فى جزيرة العرب بسيوف البدو الأجلاف جنود ابن عبد الوهاب ، فقد تم ذبح الفقهاء والاشراف والعامة وكل الخصوم وإحراق كتبهم على الملأ .. (٨)

إن مؤلفات محمد بن عبد الوهاب وأولاده هى مدافع مصوبة نحو المسلمين ، وقد انتشرت اليوم بين أيدى الشباب بعد أن أغرقت بها أسواق الكتب وترجمت إلى جميع اللغات الحية على أيدى تلامذة الوهابية بقيادة ابن باز شيخ الوهابية المعاصر ..

(٨) انظر تفاصيل هذه المذابح فى كتاب خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام للزينى دحلان ..

مدافع ابن باز

فقيه الجماعات وممثل السلف ..

تسلم ابن باز مدافع ابن تيمية من إمامه محمد بن عبد الوهاب ومكمن الخطورة فى مدافع ابن باز أنها تضرب فى جميع الاتجاهات متخذة الحرم المكى مقراً لها ..

والأخطر من ذلك أنها لا قت قبولاً لدى الجماعات الاسلامية فحملتها نيابة عنه ..

وهكذا يمكن تحديد مسيرة هذه المدافع كما يلى :

من ابن تيمية إلى محمد بن عبد الوهاب ..

ومن محمد بن عبد الوهاب إلى ابن باز ..

ومن ابن باز إلى الجماعات الاسلامية ..

- من هو ابن باز ؟

يقول ابن باز عن نفسه: أنا عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز ، ولدت بمدينة الرياض فى ذى الحجة عام (١٣٣٠ هـ -١٩٠٩م) وكنت بصيراً فى أول الدراسة ثم أصابنى المرض فى عينى عام (١٣٤٦ هـ) فضعف بصرى بسبب ذلك ، ثم ذهب بالكلية فى مستهل محرم من عام ١٣٥٠هـ .. [١]

وقد بدأ ابن باز الدراسة صغيراً و ما أن بلغ حتى تسلمه فقهاء الوهابية من أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتربى على أيديهم ورضع منهم الفقه الحنبلى حتى صار علماً من أعلام الوهابية المعاصرة ..

وفى عام (١٣٥٧ هـ - ١٩٣٦ م) رشح للقضاء من قبل أحد ابناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذين تتلمذ على أيديهم ، ثم تولى مهمة التدريس فى علوم الفقة والحديث والتوحيد ثم عين نائباً لرئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وتولى رئاستها بعد ذلك فى عام (١٣٩٠هـ). ثم بعد ذلك بخمس سنوات صدر الأمر الملكى بتعيينه فى منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد برتبة (وزير) ولا يزال يقبض بزمام هذا المنصب حتى اليوم بالإضافة إلى مناصب أخرى كثيرة فى المحيط الدينى منها :

عضوية هيئة كبار العلماء ..

رئاسة المجلس الأعلى للمساجد ..

(١) انظر مجموع فتاوى ومقالات ابن باز جـ١..

رئاسة المجمع الفقهى ..

رئاسة المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى ..

عضوية الهيئة العليا للدعوة الاسلامية بالمملكة .. [٢]

ويلاحظ من خلال هذا العرض الموجز لحياة ابن باز أنه رجل نشأ نشأة تقليدية ، وتعلم بطريقة تقليدية ، وأن تعليمه لم يخرج عن الدائرة الحنبلية الوهابية ، وأنه لم يخرج عن محيط المملكة فمن ثم ليس فى حياته أو نشأته ما يلفت النظر .

والشئ الوحيد الملفت للنظر هو إمساكه بزمام هذه المناصب الدينية التى لا تتلائم مع قدراته..

- مؤلفاته :

واذا ما أردنا أن نتعرف على مدى ما يتحلى به الرجل من فقه وعلم فيجب علينا إلقاء الضوء على مؤلفاته التى سوف ننتقى منها ما يلى :

* التحذير من البدع : حكم الاحتفال بالمولد النبوى وليلة الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان..

* وجوب العمل بسنة رسول الله وكفر من أنكرها ..

* حكم السفور والحجاب ..

* نقد القومية العربية ..

* الجواب المفيد فى حكم التصوير ..

* حكم الاسلام فيمن طعن فى القرآن أو فى رسول الله (ص) ..

* محمد عبد الوهاب : دعوته وسيرته ..

* وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه ..

* الأدلة الحسية على جريان الشمس وسكون الأرض ..

* ما هكذا تعظم الآثار ..

* خطر مشاركة المرأة للرجل فى ميدان عمله ..

(٢) المرجع السابق ..

* وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة ..

* وجوب عدواة اليهود والمشركين وغيرهم من الكفار ..

* إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين ..

* نواقض الاسلام ..

* العقيدة الصحيحة وما يضادها..

وجميع هذه المؤلفات هى عبارة عن فتاوى ومحاضرات جمعها التلاميذوالاتباع وقاموا بنشرها وتوزيعها مجاناً على المسلمين فى كل مكان ..

وجميعها تكلفت بنشره وتوزيعه الجامعه الإسلامية في المدينة وإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد التى يهيمن عليها ابن باز تحت شعار يهدى ولا يباع ..

ويبدو من ظاهرها أنها تركز على قضايا ومفاهيم قشرية وهامشية لا تسهم إلا فى خلق الخلاف وتأخر المسلمين ..

ويبدو منها أيضاً أنها تحمل نزعة عدائية لكل من خرج عن دائرة الخط الوهابى الحنبلى..

- فتاوى ابن باز..

تكتظ الساحة الاسلامية اليوم بفتاوى ابن باز ، بعضها مكتوب ومنشور ، وبعضها يأتى عن طريق التليفون ، وبعضها يأتى عن طريق المراسلة ..

وإليكم نماذج من هذه الفتاوى :

* فتوى بالحكم بالشرك على من استغاث بالنبى (ص) أو الأولياء ..

* فتوى بكفر من حلف بغير الله ..

* فتوى بكفر الذين يأتون العرافين والمنجمين والسحرة وما شابههم ..

* فتوى بكفر الذين يتعاملون مع أبراج الحظ والطالع ..

* فتوى بوجوب إزالة الكنائس من دول الخليج العربى وغيرها من بلاد المسلمين ..

* فتوى بتحريم دراسة القوانين الوضعية أو تدريسها ..

* فتوى بحرمة حلق اللحية ..

* فتوى بحرمة الاحتفالات الدينية كالموالد والمناسبات الأخرى ..

* فتوى بوجوب التحاكم لشرع الله ونبذ ما خالفه ..

* حرمة الاسورة النحاسية التى يعالج بها مرض الروماتيزم ..

* كفر من أنكر سنة الرسول (ص) ..

* حرمة الاختلاط بأهل الكتاب أو التشبه بهم ..

* كفر من دعا أو طالب بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية .

* حرمة عمل المرأة ..

* حرمة قيادة المرأة السيارة ..

* حرمة تعظيم الاثار .. (تدمير بيت الرسول والسيدة خديجة بمكة وسد غار حراء)

* حرمة الاغانى والموسيقى ..

* حرمة الاحداد على الملوك والزعماء ..

* حرمة التمثيل ..

* حرمة الصور والمجلات المصورة ..

* حرمة ارتداء المرأة للساعة فى فترة العدة للمتوفى عنها زوجها ..

* حرمة بناء المساجد على القبور أو زيارتها والصلاة فيها ..

* عدم جواز الصلاة وراء المدخن أو مرتدى الملابس العصرية ..

* فتوى بجواز الصلح مع اسرائيل .

* فتوى بجواز الاستعانة بالمشركين (الامريكان) ..

* فتوى بثبوت الأرض وعدم دورانها وبطلان الادعاء بصعود القمر والكواكب ..

* فتوى بحرمة ذهاب المرأة إلى الكوافير ..[٣]

ويبدو من هذه الفتاوى أن الكثير منها صورة طبق الأصل من فتاوى ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب .

ويبدو أيضاً أنها فتاوى موجهة إلى المسلمين لردعهم عما هم فيه من غى وضلال وخروج

(٣) المرجع السابق ..

عن نهج التوحيد الذى يرفع رايته ابن باز ..

- عقيدة ابن باز ..

تعالوا بنا إذن نتعرف على عقيدة ابن باز التى بررت له ولا تباعه تصويب هذه المدافع على المسلمين وتهديد أمنهم ووحدتهم ..

إن عقيدة ابن باز هى عقيدة ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب ولا يوجد فارق بينهما سوى أن عقيدة ابن باز ضمت فى دائراتها البدع والمنكرات وصور الشرك العصرية التى لم يعايشها ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وهى بدع ومنكرات وشرك من منظور الحنابلة الوهابيين بالطبع..

يؤكد ابن باز أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقص التى تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً عن الإسلام ، ومن أخطر هذه النواقص وأكثرها وقوعاً نواقص عشرة ذكرها شيخة محمد بن عبد الوهاب وقام هو بشرحها وتبسيطها ليحذر منها المسلمين رجاء الاسلامة والعافية ..

وأول هذه النواقص الشرك فى عبادة الله ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم ..

وثانيها من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً ..

وثالثها من لم يكفر المشركين أو شك فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفر ..

ورابعها من اعتقد أن هدى غير النبى (ص) أكمل من هدية أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمة فهو كافر ..

وخامسها من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ولو عمل به فقد كفر ..

وسادسها من استهزأ بشئ من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر ..

وسابعها السحر فمن فعله أو رضى به كفر ..

وثامنها مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ..

وتاسعها من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد (ص) فهو كافر ..

---

(٤) المرجع السابق ..

وعاشرها الأعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به .. (٤)

ويعلق ابن باز على هذه النواقص بقوله : ولا فرق فى جميع هذه النواقص بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره .. (٥)

ومن خلال هذا العرض الموجز لعقيدة ابن باز يتبين لنا أن مدافع ابن باز جميعها مدافع تكفير تصيب المسلمين فى عقائدهم وتخرج بهم عن ملة الاسلام . ويؤكد ابن باز من خلال عقيدته كفر وضلال الذين يرفضون الروايات التى تؤدى إلى التجسيم والتشبيه فيما يتعلق بصفات الله تعالى والتى تشير أن الله سبحانه له يد ورجل وعين ويهبط ويصعد ومقره السماء فوق العرش ويغار ويضحك ويمكن رؤيته وغير ذلك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ..

يقول ابن باز وأما المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون على ضدها فهم أصناف كثيرة فمنهم عباد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن والأشجار والأحجار ..

ومن العقائد الكفرية ما يعتقده الملاحدة فى هذا العصر من أتباع ماركس ولينين وغيرهما من دعاة الالحاد والكفر سواء سموا ذلك اشتراكية أو شيوعية أو بعثية أو غير ذلك من الأسماء ..

ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده المتصوفة فى الأولياء وهذا من أقبح الشرك وهو شر من شرك الجاهلية .. (٦)

ولا يزال ابن باز يطلق مدافعه على الجهمية والمعتزلة والاشاعرة ومن سلك سبيلهم وتصدى للروايات التى تتعلق بصفات الله سبحانه وحاول أن يعطى للعقل دوراً فى مواجهتها .. (٧)

وهكذا يؤكد لنا ابن باز أنه يعيش بعقل الماضى عقل قدامى الحنابلة حيث لا زال يتصور أن الناس تعكف على القبور والاضرحة كما كان مشركو العرب يعكفون حول الاصنام .

ولا زال يتصور أن خصوم الحنابلة من الجهمية والمعتزلة والاشاعرة لازالوا يهددونهم ..

وهو يستخدم فى مواجهة جميع هؤلاء وغيرهم من التيارات الحديثة مصطلح أهل البدع ..

وينصح ابن باز المسلمين على الدوام بضرورة معرفة التوحيد الصحيح من خلال كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومن سار فى ركابهما فهؤلاء هم أهل الحق والفرقة الناجية من تخلف

---

(٥) المرجع السابق . .

(٦) المرجع السابق ..

(٧) المرجع السابق ..

عنهم ضل وهوى وكان من أهل النار ..

- بركات النفط ..

ولكن كيف أصبح لابن باز هذا الشيوع والانتشار بين المسلمين فى بقاع الأرض ..؟

والجواب ببساطة إنه النفط ..

النفط هو الذى أتاح لابن باز أن يفتح الأبواب المغلقة ويستقطب الرموز الاسلامية ويمول حركة النشر ويغرق سوق الكتاب بآلاف المطبوعات المجانية التى تمجد ابن باز والوهابية وخادم الحرمين ..

عن طريق دعم دور النشر السلفية وما أكثرها فى مصر وغيرها..

وعن طريق استقطاب الرموز الاسلامية وتياراتها ..

وعن طريق توزيع الهبات والعطايا على المؤسسات والمراكز الاسلامية فى العالم ..

أصبحت الوهابية هى الاسلام ..

وأصبح ابن باز هو شيخ الاسلام وكبير الفقهاء فى هذا الزمان ..

ابن باز أصبح كبير الفقهاء عندما تحول أهل الفقة وأرباب العلم إلى طلاب دنيا ..

ولو كان هناك سبب آخر مكن لابن باز ورفع من مقامه غير هذا لجزعنا وأنبنا وتبنا إلى الله توبة نصوح ..

وببركات النفط تمكن ابن باز من تجنيد الرموز والتيارات والجماعات الاسلامية للوقوف صفاً واحداً بجوار إخوانهم المجاهدين الموحدين فى افغاستان ..

وببركات النفط تمكن من تجنيدهم أيضاً للوقوف صفاً واحداً ضد ايران أثناء حربها مع العراق ..

وببركات النفط أيضاً تمكن من تجنيدهم للوقوف صفاً واحداً ضد صدام بعد غزوة الكويت..

وهو الان يسعى جاهداً ليختم حياته الحافلة بالفتاوى والمواقف الرجعية بجمع كلمة

٨) حسب عقيدة ابن باز التى تنص على أن مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين كفر فإن ابن بازا يكون قد كفر نفسه بمظاهرته الامريكان المشركين على المسلمين فى حرب الخليج واعترافه بالكيان الصهيونى فى فلسطين .. ولكن ربما يكون الرجل قد قصد بالمشركين المخالفين من الشيعة والصوفية وأصحاب الرأى

لمسلمين للوقوف صفاً واحداً مع أمريكا وإسرائيل .. [٨]

- جماعات ابن باز فقاعات النفط ..

واليوم لا يقف في مواجهة أصحاب العقل والرأى والفكر ابن باز ونفطه وحده إنما يقف في مواجهتهم أيضاً الحنابلة الجدد أو ما يمكن تسميته بفقاعات النفط من حداث الاسنان وسفهاء الاحلام الذين لا يجاوز القرآن حناجرهم يقتلون أهل الاسلام ويتركون أهل الأوثان يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية كما بشر بهم الرسول (ص) ، فلم أجد فئة فى تاريخ المسلمين تنطبق عليها مثل هذه الرواية سوى الخوارج وتيار الحنابلة الذى فرخ لنا ابن باز وجماعاته .. [٩]

هذه الجماعات التى أدارت ظهرها للواقع ورفضت التعايش معه ورفعت فى مواجهته لواء التكفير والاستحلال هى من نتاج مدرسة ابن باز والفقة النفطى الوهابى ..

تأملو هذا الكم الهائل من الكتب التى تسهم فى تخلف العقل المسلم وزرع الشقاق والخلاف بين المسلمين ..

وإشاعة الأمراض النفسية ..

وتقوية شوكه التطرف ..

وتهديد الاستقرار الوطنى ..

فسوف تجدونها جميعها من نتاج ابن باز وتلامذته مثل صالح بن عثيمين وصالح بن فوزان وأبو بكر الجزائراى وغيرهم ..

وسوف تجدون عشرات دور النشر التى تعمل فى النور وليس لها من هم سوى نشر هذه الكتب وتسويقها ..

(٩) أنظر مسلم باب ذكر الخوراج .كتاب الزكاة ..

مــــــــــدافع ابـــــــــن عـــــــــثيمين

خليفة ابن باز..

يعد صالح بن عثيمين من كبار تلامذة ابن باز السائرين على نهجه المستبسلين فى الدفاع عن الوهابية المتربصين بخصوصها وبأصحاب الرأي والاتجاهات المخالفة من المعاصرين الذين يتبنون رؤية نقدية للروايات ولنهج السلف الذين يتبنون أطروحات سياسية أو حزبية أو الذين يدينون بعقائد وتصورات مخالفة مثل الشيعة والصوفية أو الجماعات التى تدين بالاشتراكية أو القومية أو العلمانية وأصحاب المذاهب الاسلامية الأخرى التى لا تلتزم بمذهب ابن حنبل وذلك بالإضافة إلى أهل الذمة بالطبع من المسيحيين الذين يجب أن يعيشوا كمواطنين من الدرجة الثانية ويعطوا الجزية وهم صاغرون .. [1]

وجميع هؤلاء فى سلة واحدة فى نظر ابن عثيمين وفقهاء الوهابية المعاصرين والواجب الشرعى يحتم عليهم تسليط مدافعهم عليهم وقصفهم بأشد أنواع القذائف حتى يتم إبادتهم أو استسلامهم وتخليهم عن بدعهم وضلالاتهم ..

- مدافع متعددة :

وابن عثيمين حالة كحال استاذه ابن باز يحمل الكثير من المدافع الموجهة على المسلمين فى كل مكان . أما سبب كثرة هذه المدافع بين يديه ويدى استاذه فيعود إلى بركة النفط ودعم آل سعود ..

أما مدافع ابن عثيمين فهى أكثر من أن تحصى ويمكن تحديد أشهرها فيما يلى:

مدفع موجه نحو المدخنين ..

مدفع موجه نحو الصحف والمجلات ..

مدفع موجه نحو المرأة ..

مدفع موجه نحو البنوك ..

مدفع موجه نحو شتى صور الفنون ..

مدفع موجه نحو الصور والمصورين ..

مدفع موجه نحو غير المتلحين ..

---

(١) المقصود بأهل الذمة هنا هم النصارى لا اليهود بالطبع فهؤلاء لا ذكر لهم فى كتابات الوهابيين خاصة بعد أن اعترف ابن باز باسرائيل وأجاز الصلح مع اليهود .والنصارى يقصد بهم غير الامريكان

مدفع موجه نحو الملابس والأزياء ..

مدفع موجه نحو الشيعة ..

مدفع موجه نحو الصوفية ..

مدفع موجه نحو العلمانية ..

مدفع موجه نحو الاحزاب ..

مدفع موجه نحو القومية ..

فابن عثيمين يرى حرمة التدخين وعدم جواز الصلاة وراء المدخن . كما حرمة حلق اللحية وعدم جواز الصلاة خلف الحليق ومرتدى الملابس الافرنجية لأنها من أزياء المشركين الذين لا يجوز التشبه بهم .

ولا يجيز ابن عثيمين قراءة الصحف والمجلات لأنها تحتوى على صورة وموضوعات مخالفة للإسلام الحنبلى ، ولا يجيز إدخالها البيوت واطلاع النساء عليها لأن هذه الصحف والمجلات فتنة ..

ولا يجيز عمل المرأة أو خروجها من بيتها بدون محرم أو كشفها لوجها أو يديها ..

ولا يجيز التعامل مع البنوك أو تأجير المحلات لها ..

ولا يجيز التمثيل والرسم والتصوير ..

ولا يجيز التمثيل القبور والأضرحة وإقامة الاحتفالات والموالد والنذور ويعد كل ذلك من الشرك والضلال الذى يجب مقاومته وقمع أصحابه ..

وكما هو واضح أنه ليس من بين هذه المدافع ما هو مسلط على اليهود أو الامريكان أو حتى آل سعود لأن مدافع فقهاء الوهابية إنما صنعت لإبادة المسلمين فقط ..

- لمعة الاعتقاد :

ولم يكتفى ابن عثيمين بهذه المدافع الخاصة بأهل العصر بل اتجه - كما هو شأن الوهابية اليوم - إلى المدافع القديمة والعمل على بعثها من جديد وتسليطها على المسلمين . .

وكان أن اختار لمعة الاعتقاد لابن قدامة الحنبلى (٥٤١:٦٢٠هـ) وقام بشرحها وزيادة قذائفها .

ولمعة الاعتقاد تحتوى على نصوص من العقائد الحنبلية فيما يتعلق بصفات الله تعالى والموقف من الحكام وحكم أهل الأهواء والبدع ..

وهى نصوص تقوم فى أساسها على الروايات المنسوبة للرسول (ص) وأقوال الحنابلة فهى تؤكد لله سبحانه صفة الوجه واليدين والنزول والضحك والغضب والحب والمجئ وغير هذه الصفات التى تؤكدها الروايات فى صراحة ووضوح ..

وهى تؤكد طاعة الحكام ووجوب الحج والجهاد معهم والصلاة من خلفهم سواء كانا أبراراً أو فجاراً.

وهى من جانب آخر تبيض وجه معاوية بن ابى سفيان وتعتبره من كتاب الوحى وخال المؤمنين لأنه أخو أم حبيبه السيدة رملة بنت أبى سفيان زوجة النبى (ص) .

وهى تنص فى الختام على وجوب هجران أهل البدع ومباينتهم وترك النظر فى كتب المبتدعة والاصغاء إلى كلامهم وكل محدثه في الدين بدعة ..

وقد تصدى ابن عثيمين لشرح هذه المسألة وأفاض فيها فقال : المراد بهجران أهل البدع الابتعاد عنهم وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم ونحو ذلك ..

ومن هجر أهل البدع ترك النظر فى كتبهم خوفاً من الفتنة بها أو ترويجها بين الناس فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب ..

ولأهل البدع علامات منها :

* أنهم يتصفون بغير الاسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقيدية ..

* أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم .

* أنهم يكرهون أئمة الاسلام والدين .

والظاهر من هذا الكلام المتطرف أن جميع المسلمين الذين لا يدنيون بنهج الحنابلة الوهابين هم مبتدعة كفار خارجون عن الإسلام ..

والواجب عليهم حتى يخرجوا من دائرة الكفر وينجوا من النار أن يتبنوا الروايات وأقوال السلف وعقيدتهم ..

عليهم أن يجعلوا ابن حنبل وابن تيمية وان قدامة وابن حجر وابن القيم وابن باز وابن عثيمين أئمتهم ..

وعليهم أن يدينون بالسمع والطاعة والولاء للحكام بداية من معاوية وولده يزيد وحتى آل سعود .

وهؤلاء جميعا هم أئمة الإسلام والدين الواجب علينا حبهم فى عقيدة ابن عثيمين وفقهاء الوهابية..

إن تبنى الرفض لنهج الروايات والفقهاء والحكام والثبات على ذلك يعد رفضاً للدين فى منظور ابن عثيمين ..

ويعد من جانب آخر تعصباً للباطل وإصراراً عليه بعد أن أظهرت الروايات الحق على يد فقهاء السلف الأبرار ..

إن العيش بعقل الحاضر ونبذ عقل الماضى هو بدعة وضلال ..

وإن تبنى نهج القرآن والعقل هو زيغ وردة عن الإسلام ..

ولا نجاة للمسلمين من مدافع الوهابيين وقذائفهم إلا باللجوء إلى حصن التوحيد فى جزيرة العرب تحت حماية آل سعود .

مـــــــدافع المـــــــدخـــــــلى

فقاعة نفطية ..

برز هذا المدفع الحديث على يد أحد أساتذة الجامعة الإسلامية الوهابية النهج بالمدينة وهو الدكتور ربيع بن هادى المدخلى .

وقد حشا المدخلى مدفعه هذا بجميع أنواع القذائف السلفية التى صنعها الفقهاء لإبادة أصحاب الرأى والاتجاهات الأخرى المخالفة لأهل السنة .

وهو ما يبدو واضحاً من عنوان كتابه : منهج أهل السنة والجماعة فى نقد الرجال والكتب والطوائف ..

- قذائف المدفع /

أما القذائف التى احتواها هذا المدفع الخطير فهى :

* وجوب هجران أهل البدع ..
* أهل البدع مرضى القلوب ..
* لا يجوز ذكر محاسن أهل البدع ..
* الرد على أهل البدع والأهواء من أبواب الجهاد ..

وهذه القذائف السلفية إنما تم بعثها لمواجهة أهل العصر من أصحاب الرأى والاتجاهات المخالفة وهم بالتحديد العلمانيين والإشتراكيين والمسيحيين والسياسيين والحزبيين بالإضافة إلى الشيعة والصوفية وأصحاب الاتجاه الاسلامى التجديدى الذى يتبنى تصحيح التراث ونقد الروايات ..

هؤلاء جميعاً من أهل البدع الضالين خصوم الحق ، والتوحيد حسب تعبير فقهاء الوهابية من خلال سطور هذا الكتاب الذى أتى به صاحبنا ليهدد المسلمين ..

إن فقهاء الوهابية يعتبرون أنفسهم أهل السنة والتوحيد ومن دونهم فهم أهل الشرك والضلال المطلوب إبادتهم ، ويعتبرون آل سعود أئمة للمسلمين وحماه للتوحيد ، فمن ثم وضع

الفقهاء أنفسهم فى خدمتهم ، ووضع آل سعود سيوفهم فى نصرتهم وذبح خصومهم ..

وقد اعتمد صاحبنا فى كتابه هذا على مدافع ابن تيمية خاصة لكونه الشخصية الوحيدة من بين الفقهاء التى حملت راية الجهاد فيمواجهة المخالفين وعلى أساس أفكارها المتطرفة قامت الحركة الوهابية التى لا زالت تقذف المسلمين بقذائفه ..

يقول المدخلى : يا إخوتاه ؟ إن كنتم حقاً تحترمون المنهج السلفى وأهله فانشروا كتبهم ودرسوها ، واشحنوا كتاباتكم ومحاضراتكم ومقالاتكم بأقوالهم فى أهل البدع وتحذيرهم منهم ودرسوا الشباب مواقفهم من أهل البدع وحثوا الشباب على دراستها والاحتفاء بها والاعتزاز بها ، فبهذه الأساليب تحيا عقيدة ومنهج السلف ..

والكتب المقصودة هنا بالطبع هى كتب ابن تيمية وتلميذة ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب فهؤلاء هم سلفة وقدوته ، وهذه الكتب هى التى تم نشرها وتوزيعها مجاناً على المسلمين فى كل مكان ببركات آل سعود . والتى أسهمت ولا زالت فى دعم التطرف وتقوية شوكته ..

- قذائف أخرى :

ومن القذائف التى جاء بها المدخلى ليدعم بها موقفه ويوسع من دائرة الاصابات بين المسلمين ما يلى :

* أن الإسلام وأهله أتو من طوائف :

الأولى : طائفة ردت أحادث الصفات وكذبوا رواتها . فهؤلاء أشد ضرراً على الإسلام وأهله من الكفار ..

الثانية :طائفة قالوا بصحتها وقبولها ثم تأولوها،فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأولى..

الثالثة : طائفة جانبت القولين وادعت التنزية وهى كاذبة فأداهم ذلك إلى القولين الأولين وكانوا أعظم ضرراً من الطائفتين الأوليين ..

وواضح من هذا الكلام أن صاحب هذه القذيفة لا يستثنى أحداً من المسلمين إلا طائفته هو وهى طائفة الحنابلة بالطبع ، فهى الطائفة الوحيدة التى آمنت بالروايات الخاصة بصفات الله تعالى وجعلت لله سبحانه يد ورجل وعين ومكان وغير ذلك من الصفات التى تؤدى إلى التشبيه والتجسيم والتى فرت فيها الاتجاهات الأخرى وأنكرتها من باب تنزية الله سبحانه ، واتجه بعضها إلى حمل هذه الروايات على المجاز أى تأولت معناها . بينما اتجه آخرون إلى

سلوك السبيل الوسط تجاه هذه الروايات وهم من طائفة أهل من الاشاعرة وغيرهم ..

وهؤلاء جميعا مارقون فى نظر الحنابلة القدامى والمعاصرين من اتباع ابن عبد الوهاب وأشد خطراً على الاسلام من الكفار ..

فهل يعقل مثل هذا الكلام ؟

بالطبع لا . لكن فقهاء التطرف هم الذين لا يعقلون ..

* مبتدعة الاسلام أشد من الملحدين ..

* أهل الاهواء والبدع لا تقبل لهم شهادة فى الاسلام أبداً ، ويهجرون ويأدبون فإن تمادوا على بدعتهم استتيبوا منها .

وهذا الكلام حاله كحال الكلام السابق من أنه لا فرق بين المبتدعة وبين الكفار فى نظر الفقهاء ، وما دام الأمر قد دخل فى دائرة الاستتابة فهذا يعنى أن البدعة تعد ردة عن الإسلام هل هناك تطرف أكثر من هذا ؟

* فرقة النجاة – أهل السنة –مأمورون بعداوة أهل البدع والتشريد بهم ، والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه ..

نداءات ..

وكانت آخر قذائف المدخلى هى نداء صارخ للشباب يطالبه بإلغاء العقل والإسراع نحو الماضى والتحصن بالروايات وعقيدة السلف ..

يقول النداء : انتبه أيها السلفى الصادق ؟ وأحذر أن تقاد إلى نصرة أهل البدع والضلال والالحاد التى تضمها التنظيمات الحزبية والسياسية . فإن كثيراً من أدعياء السلفية لاهم لهم اليوم إلا نصرة أهل البدع المشكلة من أصناف الشيعة والصوفية القبورية أهل الحلول والاتحاد الذين يقول ابن تيمية فيهم : أن من ينصرهم شر ممن ينصر النصارى والمشركين ..

ولا تنس مناصرة أدعياء السلفية لأهل البدع فى أزمة الخليج ضد أهل التوحيد فى الجزيرة فإن كنت خدعت بهم وقتا ما ، فأفق . ولا يلدغ مؤمن من حجر مرتين ..

إن على الشباب السلفى أن يكون يقظاً لما يحاك ضده وضد عقيدته ومنهجه ، فلا يليق به أن ينساق وراء الشعارات الطنانة ، ولا وراء العواطف العمياء التى تؤدى إلى تضييع أعظم نعمة وأعظم أمانة فى عنقه وهى الثبات على منهج أهل الحديث والسنة وحمايته من غوائل

خصومه ومكايدهم وألاعيبهم التى ظهرت آثارها على كثير من الاساتذة وطلاب العلم والمثقفين الذين كان ينتظر منهم تربية الأجيال على منهج السلف وتثبيتهم عليه والاعتزاز برفع لوائه ..

إن هذا النداء المتطرف من قبل صاحبنا الوهابى لشباب العصر لم ينحصر فقط فى الدعوة لإلغاء العقل والارتباط بالماضى وإنما تجاوز هذا الحد ليدعوا إلى تسييس الشباب وفق النهج السعودى الأمريكى بدعوته لهم بمنابذة ومعاداة الذين وقفوا ضد آل سعود والتدخل الأمريكى فى أزمة الخليج . وهذا يعنى أنه يدعوهم صراحة إلى تأييد الفتوى النفطية الصادرة عن فقهاء آل سعود والتى تنص على جواز الاستعانة بالمشركين وتبرير وجود القواعد الأمريكية فى الخليج . وإذا كان هذا حاله ، فلماذا يحرم على الشباب الانتماءات السياسية والحزبية ويكفر أصحاب هذه النشاطات ويدعو إلى محاربتهم.. ؟

والجواب أن هذه الأنشطة لا تسير على نهج الروايات ولا تلتزم بعقيدة السلف التى تنص على موالاة الحكام وطاعتهم ولوكانوا فجاراً يتآمرون على الاسلام ويستعينون بأعداء الله على المسلمين..

ملاحق الكتاب

مدافع اخرى

يكتظ التراث الاسلامى بكثير من النماذج المتطرفة على مستوى الفقهاء والتيارات والأفراد ، وقد صدرت الكثير من الكتابات على مستوى الماضى والحاضر التى تدعم حالة التطرف وتزكيها وتزيد من هوة الفرقة والخلاف بين المسلمين وتزرع الطائفية والعدواة بين أبناء الوطن الواحد ..

ومن باب اتمام الفائدة سوف نعرض فى دائرة هذا الملحق لنماذج من هذه الكتابات التى ترتبط أغلبها بتيار الحنابلة القديم والمعاصر المتمثل فى المذهب الوهابى والجماعات الاسلامية المختلفة التى تربت ورضعت من هذا التيار ..

ومن نماذج هذه الكتابات التى سوف نعرض لها هنا :

أصول أهل السنة والجماعة للأشعرى ..

الأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى ..

الحكم الجديرة بالأذاعة لابن رجب الحنبلى ..

العواصم من القواصم لابى بكر بن العربى ..

تطهير الاعتقاد عن أدران الشرك والالحاد للصنعانى.

مختارات من أحكام العصاه لأئمة السلف ، منشور أزهرى .

الحسام الماحق لكل مشرك منافق للهلالى ..

تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع فى الدين .

- أصول أهل السنة والجماعة /

وهو مدفع شملت قذائفه جميع التيارات والاتجاهات المخالفة للخط السائد الذى فرض على الأمة من قبل الحكام والفقهاء الذين ساندوهم وتحالفوا معهم . ذلك الخط الذى فرض صورة محددة للدين تقوم على أساس الروايات وأقوال الرجال لاعلى أساس كتاب الله والنصوص الصريحة ..

وقد بدأت معالم هذا الخط فى البروز على يد معاوية وتم تقنينه على يد العباسيين والسلجوقيين والايوبيين والمماليك من بعدهم .

وعرف هذا الخط بمسمى أهل السنة الذى حمل رايته الحنابلة بداية من عصر المتوكل العباسى ، والأشعرى من بعدهم بداية من العصر السلجوقى التركى ..

ويمكن تحديد قذائف هذا المدفع فيما يلى :

* اعتبار صفات الله الورادة فى القرآن صفات حقيقية لا مجازية ..

* السمع والطاعة لأولى الأمر برهم وفاجرهم سواء تولوا أمر المسلمين برضاهم أو بالغلبة عليهم وتحريم الخروج عليهم ..

* تحريم ذكر الصحابة بسوء أوالمساس بهم وأن يظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب ..

* أن ما كان بين الصحابة من خلاف فى الأمور الدينية لا يسقط حقوقهم ..

* لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه . وعما اختلفوا فيه أو فى تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم ..

* ذم سائر أهل البدع والتبرى منهم وترك الاختلاط بهم ..

* وجوب الدعاء لأئمة المسلمين ..

ويظهر لنا من خلال هذه القذائف الثقيلة الحارقة أن البقاء لخط أهل السنة الذى يفرض على الأمة العيش بعقل الماضى والالتزام بعقيدة السلف وأقوال الرجال وموالاه الحكام الفجار والالتزام بطاعتهم. وبقاء أهل السنة يعنى فناء الاتجاهات والتيارات الأخرى وهو ما كان واقعاً فى ظل الدولة الأموية والعباسية والسلجوقية الأيوبية والمملوكية والعثمانية ، وهو ما يسعى التيار الوهابى الحنبلى إلى تحقيقه اليوم بدعم القوى النفطية ..

ومكن الخطورة فى هذه القذائف التى يحملها هذا المدفع فى كونها تحولت إلى عقائد يقاس الحق والباطل على أساسها فمن التزم بها كان فى دائرة الحق ومن خالفها كان فى دائرة الباطل وأصبح هناك مبرر لاستحلال ماله ودمه ، وهو ما وقع فى كثير من فترات التاريخ ..

-*العواصم من القواصم /*

وهذا المدفع صنع خصيصاً لتبرير الانحرافات والمصادمات التى وقعت بين الصحابة بعد وفاة الرسول (ص) ، فهو يهدف إلى التأكيد على أن هذه الاحداث لا تنقص من قدر أحد منهم وما هى إلا اجتهادات يثابون عليها ، ومن اعتقد غير هذا فهو على غير سبيل المسلمين والمقصود أن من طعن فى عثمان أو معاوية أو ولده يزيد مثلاً فهو ضال زائغ .

كذلك من مال إلى الامام على وانحراف عن الآخرين من الصحابة .

وقد اعتبر صاحب هذا المدفع أن هذا الطعن والميل يعتبر قاصمة ..

واعتبار أن الجميع مجتهد ومثاب وإحسان الظن فيهم يعتبر عاصمة ..

وبهذا يكون صاحب هذا المدفع قد عمل على تقويم أحداث التاريخ وتسطيح حركته مما يؤدى إلى افتقاد القدرة على تمييز الحق من الباطل واستلهام العبر والدلالات من خلال حركته وأحداثه ، وهو أمر مناف للعقل والفطرة وسننية الكون .

أن مثل هذا الكتاب إنما يهدف إلى الحجر على العقول وفرض الوصاية السلفية على الأمة كى لا تنحرف عن الخط المرسوم من قبل الحكام وفقهاء السلطة ..

وصاحب الكتاب بعد أن أبلى بلاءاً سيئاً لم يكن موفقاً فيه قد حشد العشرات من التبريرات الواهية والتأويلات الفاسدة التى يدافع بها عن الانحرافات التى وقعت بعد وفاة الرسول (ص) والتى تصطدم بروح الشرع والنصوص الصريحة ، وفى الحقيقة هو فى هذا كله لا يدافع عن الدين بل يدافع عن الرجال والحكام ..

يقول فى ختام كتابه مطلقا قذيفه قاتلة على المخالفين : إنما ذكرت لكم هذا - أى للمسلمين - لتحترزوا من الخلق وخاصة من المفسرين والمؤرخين وأهل الآداب فإنهم أهل جهالة بحرمات الدين أو على بدعة مصرين ..

فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل ولم تسمعوا فى خليفة ممن ينسب إليه مالا يليق ويذكر عنه ما لا يجوز نقله كنتم على منهج السلف سائرين وعن سبيل الباطل ناكبين ..

- الاحكام السلطانية /

ومن خلال هذا المدفع الحنبلى المسلط على الحكام والجماهير يحدد القاضى أبى يعلى شروط ومواصفات الحاكم والولايات . معلناً رضاه الكامل عن الطغاة والجبارين من الحكام من بنى أمية وبنى العباسى وغيرهم ، ومعلناً غضبه وسخطه ومنزلا لعناته على المأمون والمعتصم والواثق ليس لشئ إلا سيراً على نهج الحنابلة وإمامهم أحمد بن حنبل الذين غضبوا على هؤلاء الحكام الثلاثة بسبب موقفهم من ابن حنبل ورواياته وعقائده ومواقف وممارسات الحنابلة بشكل عام ..

ويروى فى كتابه عن ابن حنبل قوله عن المأمون : كان لا مأمون ، وأى بلاء كان أكبر من الذى كان أحدث عدو الله وعدو الاسلام - المأمون - من إماتة السنة .

وكان المأمون ومن بعده المعتصم والواثق قد تصدوا للحنابلة ورواياتهم وعقائدهم الباطلة مما أدى إلى انحسار موجتهم وحماية المجتمع من فتنهم ومواقفهم المتطرفة .

ولو كان الحكام قد ساروا على نهجهم من بعد لكان الحنابلة الآن فى ذمة التاريخ لكنها السياسة والمصالح والاهواء التى دفع المجتمع والناس ثمنها ولا زالوا يدفعون ..

ولنغرض بعد هذه المقدمة لقذائف هذا المدفع :

* لا يجوز أن تقوم المرأة بأمر الولايات ، أى الوزارات والقضاء وشتى المسئوليات الكبرى فى الدولة ..

* جواز قتل المرتد رجلاً كان أو امرأة .

* جواز أن يلى أمر المسلمين الفاجر والفاسق وصاحب العاهة ..

* جواز الجهاد والحج وإيتاء الزكاة للحكام الفجار والصلاة ورائهم ..

* جواز قتل تارك الصلاة ويصير بتركها كافراً ..

* جواز قتل تارك الصوم فى رمضان ..

* جواز قتل مانع الزكاة وقتاله وإن قتل كان كافراً ..

* عدم قبول شهادة تارك الحج بلا عذر ..

* جواز تحطيم الخمارات وأدوات الملاهى وإحراقها ..

* لا يجوز لأصحاب الديانات الأخرى تعليه أبنيتهم على أبنية المسلمين ، ويجب عليهم تغيير هيئتهم عن هيئة المسلمين ..

- الحكم الجديرة بالاذاعة من قول النبى (ص) بعثت بالسيف بين يدى الساعة /

وهذا المدفع كما هو واضح شديد الخطورة وشديد العشق للدماء ولا مجال عنده للحوار والاعتدال ، أما قذائفه فتتمثل فيما يلى :

* أن الأسلام جاء بالسيف ..

* أن السيف هو شعار الإسلام حتى قيام الساعة ..

* أن الإسلام جاء بستة سيوف :

سيف على المشركين حتى يسلموا أو يأسروا ..

وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة ..

وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ..

وسيف على أهل البغى من المسلمين ..

وسيف على أهل الردة ..

وسيف على أهل البدع ..

* أهل التوحيد والطاعة لله - الجماعات - أحق بالمال من أهل الكفر ..

* أهل الأهواء والبدع كلهم مفترون على الله ..

* عقوبة المبتدع أغلظ من عقوبة العاصى ..

* من تشبه بقوم فهو منهم ..

وهذا الكتاب من أوله إلى آخره إنما يقوم على أساس رواية منسوبة للرسول (ص) قامت على أساسها أحكام وتصورات ومفاهيم شديدة التطرف فى مواجهة المخالفين من المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى ..

لقد أظهرت هذه الرواية أن الاسلام دين السيف والدماء لا دين العقل والحوار وهو بهذه الصورة بدا وكأن الله سبحانه بعثه وبالاً على البشر ونقمة عليهم لا رحمة مهداة لهم .

والحق أن هذه الصورة المتطرفة عن الإسلام تتنافى مع نصوص القرآن وأقل ما يقال فيها أنها من اختراع الرواة والفقهاء الذين باركوا هذه الروايات وعلى رأسهم فقهاء الحنابلة ...

ومثل هذه الصورة المنفرة عن الإسلام إنما تزيد من ثبات أصحاب الديانات الأخرى على موقفهم ، كما تزيد من ارهاب المسلمين وتخويفهم من أحكام الدين وعزلهم عنه وهذه النتيجة الخطيرة لا تعنى هؤلاء الفقهاء فى شئ فأصحاب الديانات الأخرى في منظورهم هم مشركون يجب أن يعمل السيف فيهم .

والمسلمون المخالفون هم زنادقة لأنهم لا يتبعون هذه الروايات ولا يسيرون على نهج السلف ويلتزموا بعقل الماضى ، ويجب أن يعمل السبف فيهم أيضاً..

إن الخروج عن دائرة الروايات والسلف يعنى فى منظور الفقهاء التشبه بالمشركين لأنهم هم المسلمين ومن لم يتشبه بهم فقد خرج من الإسلام .

- **فتاوى ازهرية /**

تمكن التيار الحنبلى من اختراق المؤسسة الأزهرية واستثمار رموزها ، ويظهر لنا هذا بوضوح من كم الفتاوى التى صدرت عن دار الافتاء المصرية وتلقفتها الجماعات الوهابية المتطرفة وتحصنت بها ..

وقد قامت جماعة أنصار السنة المحمدية ذات النهج الوهابى السعودى بنشر هذه الفتاوى الأزهرية المتطرفة مؤخراً كهدية مجانية على مجلة التوحيد الناطقة بلسان الجماعة ..

وليست هذه الفتاوى سوى مدافع شديدة الطلقات مصوبه نحو المسلمين وقد ألحقت أضراراً فادحة بعقولهم وواقعهم ..

وعلى رأس هذه الفتاوى فتوى تتعلق بالاضرحة والدفن فى المساجد والموالد والنذور وهى فتوى موجهة ضد التيار الصوفى الذى يتبنى هذه القضايا ، تقول بتحريم مثل هذه الأمور واعتبارها صورة من صور الشرك والضلال ...

لقد تبنى التيار الحنبلى هذه القضايا وحمل رايتها دون بقية المذاهب والاتجاهات الإسلامية الأخرى وتمكن بدعم الحركة الوهابية وأموال النفط من فرض هذه القضايا على واقع المسلمين والمؤسسات والجماعات الاسلامية وجعلها مدار جهادهم وتصوراتهم ..

وثانى هذه الفتاوى فتوى تتعلق بتحريم التعامل مع البنوك ووجوب اجبار الزوجة على ارتداء الحجاب وتحريم الصور والتصوير وتحريم الموسيقى وتحريم التأمين على الحياة والتأمين ضد الحريق ، وتحريم ذهاب المرأة إلى مصفف الشعر ، وعدم جواز خوضها ميدان العمل السياسى ودخول الانتخابات ..

وفتوى توجب اطلاق اللحية وتحريم حلقها ..

ومثل هذه الفتاوى التى تقوم على أساس الروايات وعقل الماضى إنما تسهم فى تخلف الأمة وتجميد مسيرتها . وقد رفعت رايتها الجماعات الإسلامية اليوم وبنت على أساسها مواقفها وتصوراتها المتطرفة تجاه الواقع والمخالفين ..

كيف للأزهر وهو مؤسسة حكومية أن يتبنى مثل هذه القضايا المتطرفة التى تهدد أمن المجتمع . وفى الوقت نفسه يعلن الحرب على التطرف والمتطرفين ؟

- **احكام العصاة :**

وهذه المدفع من اصدار الأزهر وهو مشتق عن مدفع قديم لابن القيم الجوزية وجعل هدية مجانية على مجلة الأزهر .

أما قذائف هذا المدفع فهى :

* القول قد يكون كفراً ..

* أن مبانى الاسلام الخمسة المأمور بها - الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج - وإن كان ضرر تركها لا يتعدى صاحبها ، فإنه يقتل بتركها فى الجملة عند جماهير الفقهاء ويكفر أيضاً عند كثير منهم أو أكثر السلف ، وأما فعل المنهى عنه الذى لا يتعدى ضرره صاحبه فإنه لا يقتل به عند أحد الأئمة ولا يكفر به إلا إذا ناقض الإيمان ، لفوات الإيمان وكونه مرتداً أو زنديقا ، وذلك أن من الأئمة من يقتله ويكفره بترك كل واحدة من الخمس لأنه الاسلام بنى عليها . وهو قول طائفة من السلف ورواية عن أحمد بن حنبل اختارها بعض أصحابه ومنهم من لا يقتله ولا يكفره إلا بترك الصلاة الزكاة وهى رواية أخرى عن ابن حنبل ، ومنهم من يقتله بهما ويكفره بالصلاة والزكاة إذا قاتل الامام عليها كرواية عن ابن حنبل ، ومنهم من يقتله بهما ولا يكفره إلا بالصلاة ، ومنهم من يقتله بهما ولا يكفره ، ومنهم من لا يقتله إلا بالصلاة ولا يكفره ، وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف ..

* من خالف السنة فيما أتت به أو شرعته فهو مبتدع خارج عن السنة ..

* أصل البدعة تكذيب الأحاديث الورادة فى كتب السنن ..

* عامة البدع من التأويل والقياس والرأى ..

ونتيجة هذه القذائف التى تبناها الأزهر وأسهم فى إطلاقها على الجماهير هى تقنين التطرف وتبريره واضفاء المشروعية عليه ..

وكأن الأزهر بتبنية مثل هذا الطرح قد خلع ثوب العقل والاعتدال واحترام الرأى الآخر وارتدى ثوب الجمود والتطرف والاستبداد أو ثوب النفط ..

- **الحسام الماحق لكل مشرك منافق ...**

وهذا المنشور كما يظهر من عنوانه يعد من المدافع الثقيلة التى صوبها صاحب المنشور إلى المخالفين لنهجه الوهابى بهدف إبادتهم والقضاء عليهم باعتبارهم من المشركين المنافقين المستباحين..

وهؤلاء المنافقين المشركين الذين صوب نحوهم مدفعه هم طائفه من المسلمين ليس لها من ذنب سوى أنها رفعت شعار العقل فى مواجهة الروايات .

واعتبر صاحب هذا المدفع أن مثل هذا العمل هو تجرأ على الله تعالى ، إذ أن إنكار الروايات الواردة فى البخارى ومسلم يعد فى نظره صورة من صور التعدى على الله سبحانه تدفع بصاحبها إلى دائرة الشرك والنفاق ..

وجميع الاجتهادات والآراء التى تخالف خط السلف الحنابلة اعتبرت فى نظر صاحب هذا المدفع كما هو حالها فى نظر الحنابله جميعاً -بدعه، وكل بدعه ضلاله، وكل ضلاله فى النار.

ومثل هذا الطرح إنما يبرر لفقهاء الخلف وأنصارهم من الجماعات مقاومة البدعة والتنكيل بأصحابها، وهذا يعنى التنكيل بجميع المسلمين الذين يخالفونهم ، إذ أن جميع ما هو خارج دائرة الطرح الحنبلى يعد بدعة يجب مقاومتها والقضاء عليها وعلى أصحابها ..

فالملابس بدعة ..

وعمل المرأة بدعة ..

والموسيقى بدعة ..

وسائر الفنون بدعة ..

والعمل السياسى بدعة ..

وحرية الرأى بدعة ..

والتصوير بدعة ..

ومعنى هذا أن النتيجة هى مقاومة العصر والعيش بعقل الماضى وهو ما يريده صاحب الحسام الماحق وأمثاله من الحنابلة الذين شهروا مدافعهم فى وجه المسلمين وأفسحوا الطريق أمام أعداء الاسلام ..

وهذا المدفع الحنبلى الثقيل موجه لطائفة محددة من طوائف المسلمين وهى طائفة الصوفية ومحاولة إلباسها ثوب الشوك والالحاد على أساس المعتقدات الحنبلية تجاه قضية القبور والنذور والاحتفالات الدينية تلك المعتقدات التى تقوم على أساس روايات منسوبة للرسول (ص) وفتاوى ارتبطت بفقهاء الحنابلة أكثر من ارتباطها بأية مذاهب أخرى ..

وصاحب هذا المدفع يعيش بعقل الماضى ويسعى إلى تأكيد ذلك المفهوم الحنبلى القديم الذى يربط بين الطقوس والممارسات التى ارتبطت بالاصنام فى الجاهلية وبين الطقوس والممارسات التى تقوم حول أضرحة الأولياء اليوم ، بل يتجاوز هذا ليؤكد أن هذه القبور والأضرحة هى نفس أصنام الأمس ، وان الذين يرتبطون بهذه الاضرحة يعتقدون فيها الضروالنفع كما كان حال المشركون مع الاصنام من قبل.

يقول فى كتابه : أن من اعتقد فى شجرة أو حجر أو قبر أو ملك أو حتى حى أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده فى حاجة من حوائج الدينا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى - إلا ما ورد حديث فيه مقال حق عن نبينا محمد (ص) أو نحو ذلك - فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون فى الأوثان فضلاً عمن ينذر بماله وولده لميت أو حى ، أو يطلب من ذلك مالا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضة أو قدوم غائبة أو نيله لأى مطلب من المطالب ، فإن هذا هو الشرك بعينه الذى كان عليه عباد الاصنام ، والنذور بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذى كانت تفعله الجاهلية ، وإنما يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً ، وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً ..

ومثل هذه الافكار المتطرفة التى تصف بعض طوائف المسلمين بالشرك والالحاد وتعمل على إخراجها من دائرة الاسلام باجتهادات فردية تقوم على أساس رواية منسوبة للرسول (ص) -أو فتوى سلفيه - إنما تسعى لتأكيد الفرقة بين المسلمين وتوطين الأفكار التكفيرية التى تهدد أمن المجتمع واستقراره ..

تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع فى الدين /

وهذا الكتاب يعد من مدافع فقهاء الوهابية وقد سلط على المسلمين فى عنف معلناً فى صراحة ووضوح رفضه القاطع لكل الاتجاهات المخالفة ، رافضاً بشدة فكرة تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة ، فالبدعة فى نظره كل لا يتجزأ ومثل هذا الموقف من شأنه أن يعمق قضية التطرف ويزيد من حدتها . إذا أن هذا يعنى الوقوف فى وجه العصر وكل ما هو جديد . كما يعنى فى نفس الوقت قتل الاجتهاد وتشييعه إلى مثواه الأخير ومناهضة العقل والرأى والعمل على إجهاضهما .

مثل هذا الموقف يعنى توسيع دائرة المصادمة مع الواقع وبدلاً من كونها كانت تنحصر فى دائرة قضايا ومفاهيم تصطدم بالروايات ونهج السلف اتسعت لتشمل كل ما هو جديد من آراء واجتهادات فى قضايا ومفاهيم لا تتعلق بشئ من نصوص الدين أو جوهرة بل تركت لإعمال العقل فيها أو هى عرف من الاعراف السائدة التى لا تضر فى شئ أو هى صورة من صور الترويح عن النفس التى تمارس على ساحة المجتمع وتدخل البهجة والسرور فى قلوب الناس، كل ذلك ومثله يجب محوه وازالته وتدميره فى منظور فقهاء الوهابية حنابلة العصر..

ولقد تجاوز صاحب هذا المدفع حدود البدع التى سلط مدفعه عليها وأطلق قذائفه على منكرى الروايات الذين ينادون بإعمال العقل فى كل ما هو منسوب للرسول (ص) مصدراً حكمه القاطع فيهم بالكفر والضلال ..

يقول : وهذه الفرقة أخطر على المسلمين من اليهود ومن النصارى لأنهم باسم الاسلام وباسم القرآن ينشرون كفرهم ، ومن الثابت شرعا وعقلاً أن من أنكر سنة رسول الله (ص) فقد كفر بالله العظيم ، فيجب على الحكام والعلماء المسلمين أن يجاهدون هذه الفرقة فى تنشيط العلماء فى مواجهة هؤلاء الكفره وطبع كتب السنن والردود ، فوالله إن جهادهم لا يقل عن جهاد الكفار لأن أولئك قد أعلنوا كفرهم لا يغتر بهم إلا القليل . أما هؤلاء فيغتربهم كثيرون ممن يدرس الكتاب والسنة ولم يتعمق .

ومن الواضح أن هذا الكلام الشديد التطرف لا سند له سوى الروايات واجماع فقهاء الحنابلة ، وما هو بأمر ثابت شرعاً وعقلاً كما يدعى صاحبنا ، فليس من الشرع ومن العقل تبنى مثل هذه الخرافات والاحكام والمفاهيم التى تصطدم بالقرآن والتى جاءت بها كثير من الروايات المنسوبة للرسول(ص)..

فتوى ابن تميمة
في
اهل الذمة

قال ابن القيم ورد على شيخنا ابن تيمية استفتاء فى أمر الكنائس صورته : ما يقول السادة العلماء وفقهم الله فى إقليم توافق أهل الفتوى فى هذا الزمان على أن المسلمين فتحوه عنوة من غير صلح ولا أمان فهل ملك المسلمون ذلك الاقليم المذكور بذلك ؟ هل يكون الملك شاملا لما فيه من أموال الكفار من الأثاث والمزارع والحيوان والرقيق والأرض والدور والبيع والكنائس والقلايات والديورة ونحو ذلك أو يختص الملك بما عدا متعبدات أهل الشرك فإن ملك جميع ما فيه فهل يجوز للإمام أن يعقد لأهل الشرك من النصارى واليهود بذلك الاقليم أو غيره الذمة على أن يبقى ما بالاقليم المذكور من البيع والكنائس والديورة ونحوها متعبداً لهم وتكون الجزية المأخوذة منهم فى كل سنة فى مقابل ذلك بمفرده أو مع غيره أم لا - فإن لم يجز لأجل ما فيه من تأخير ملك المسلمين عنه فهل يكون حكم الكنائس ونحوها حكم الغنيمة يتصرف فيه الإمام تصرفه فى الغنائم أم لا .

وإن جاز للإمام أن يعقد الذمة بشرط بقاء الكنائس ونحوها فهل يملك من عقدت له الذمة بهذا العقد رقاب البيع والكنائس والديورة ونحوها ويزول ملك المسلمين عن ذلك بهذا العقد أم لا . لأجل أن الجزية لا تكون عن ثمن مبيع ، وإذا لم يملكوا ذلك وبقوا على الانتفاع بذلك وانتفض عهدهم بسبب يقتضى انتقاضه إما بموت من وقع عقد الذمة معه ولم يعقبوا . أو أعقبوا . فإن قلنا إن أولادهم يستأنف معهم عقد الذمة كما نص عليه الشافعى فيما حكاه ابن الصباغ وصححه العراقيون واختاره ابن أبى عصرون فى المرشد فهل لإمام الوقت أن يقول : لا أعقد لكم الذمة إلا بشرط أن لا تدخلوا الكنائس والبيع والديورة فى العقد فتكون كالأموال التى جهل مستحقوها وأيس من معرفتها ، أم لا يجوز له الامتناع من إدخالها فى عقد الذمة بل يجب عليه إدخالها فى عقد الذمة ، فهل ذلك يختص بالبيع والكنائس والديورة التى تحقق أنها كانت موجودة عند فتح المسلمين ولا يجب عليه ذلك عند التردد فى أن ذلك كان موجودا عند الفتح أو حدث بعد الفتح أو يجب عليه مطلقا فيما تحقق أنه كان موجوداً قبل الفتح أوشك فيه ، وإذا لم يجب فى حالة الشك فهل يكون ما وقع الشك فى أنه كان قبل الفتح وجهل الحال فيمن أحدثه لمن هو لبيت المال أم لا ؟ وإذا قلنا إن من بلغ من أولاد من عقدت معهم الذمة وإن سلفوا ومن غيرهم لا يحتاجون أن تعقد لهم الذمة بل يجرى عليهم حكم من سلف إذا تحقق أنه من أولادهم يكون حكم كنائسهم وبيعهم حكم أنفسهم أم يحتاجون إلى تجديد عقد وذمة ، وإذا قلنا : إنهم يحتاجون إلى تجديد عقد عند البلوغ فهل تحتاج كنائسهم وبيعهم إليه أم لا ؟

فأجاب : الحمد لله . ما فتحه المسلمون كأرض خيبر التى فتحت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكعامة أرض الشام وبعض مدنها وكسواد العراق إلا مواضع قليلة فتحت صلحاً وكأرض مصر فإن هذه - الأقاليم فتحت عنوة على خلافة عمر بن الخطاب وقد روي فى أرض مصر أنها فتحت صلحا وروي أنها فتحت عنوة وكلا الأمرين صحيح على ما ذكره العلماء المتأهلون للروايات الصحيحة فى هذا الباب فإنها فتحت أولاً صلحاً ثم نقض أهلها العهد فبعث عمرو ابن العاص إلى عمر بن الخطاب يستمده فأمده بجيش كثير فيهم الزبير بن العوام ففتحها المسلمون الفتح الثانى عنوة ولهذا روى من وجوه كثيرة أن الزبير سأل عمر بن الخطاب أن يقسمها بين الجيش كما سأله بلال قسم الشام فشاور الصحابة فى ذلك فأشار عليه كبراؤهم كعلى ابن أبى طالب ومعاذين جبل أن يحبسها فيئاً للمسلمين ينتفع بفائدتها أول المسلمين وآخرهم ثم وافق عمر على ذلك بعض من كان خالفه ومات بعضهم فاستقر الأمر على ذلك فما فتحه المسلمون عنوة فقد ملكهم الله إياه كما ملكهم ما استولوا عليه من النفوس والأموال والمنقول والعقار ويدخل فى العقار معابد الكفار ومساكنهم وأسواقهم ومزراعهم وسائر منافع الأرض كما يدخل فى المنقول سائر أنواعه من الحيوان والمتاع والنقد ، وليس لمعابد الكفار خاصة تقتضى خروجها عن ملك المسلمين فإن ما يقال فيها من الأقوال ويفعل فيها من العبادات إما أن يكون مبدلاً أو محدثاً لم يشرعه الله قط أو يكون الله قد نهى عنه بعد ما شرعه وقد أوجب الله على أهل دينه جهاد أهل الكفر حتى يكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هى العليا ويرجعوا عن دينهم الباطل إلى الهدى ودين الحق الذى بعث الله به خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ويعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون .

ولهذا لما استولى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أرض من حاربه من أهل الكتاب وغيرهم كبنى قينقاع والنضير وقريظة ، كانت معابدهم مما استولى عليه المسلمون ودخلت فى قوله تعالى **(وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم)** وفى قوله تعالى **(ما أفاء الله على رسوله منهم)** **(وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى)** لكن وإن ملك المسلمون ذلك فحكم الملك متبوع كما يختلف حكم الملك فى المكاتب والمدبر وأم الولد والعبد وكما يختلف حكمه في المقاتلين الذين يؤسرون وفى النساء والصبيان الذين يسبون كذلك يختلف حكمه في المملوك نفسه والعقار والأرض والمنقول.

وقد أجمع المسلمون على أن الغنائم لها أحكام مختصة بها لا تقاس بسائر الأموال المشتركة . ولهذا لما فتح النبى صلى الله عليه وسلم خيبر أقر أهلها ذمة للمسلمين فى

مساكنهم وكانت المزارع ملكا للمسلمين عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع ثم أجلاهم فى خلافته واسترجع المسلمون ما كانوا أقروهم فيه من المساكن والمعابد.

فصل : وأما أنه هل يجوز للإمام عقد الذمة مع ابقاء المعابد بأيديهم فهذا فيه خلاف معروف فى مذاهب الأئمة الأربعة منهم من يقول لا يجوز تركها لهم لأنه إخراج ملك المسلمين عنها وإقرار الكفر بلا عهد قديم ..

ومنهم من يقول بجواز إقرارهم فيها إذا اقتضت المصلحة ذلك كما أقر النبى أهل خيبر فيها وكما أقر الخلفاء الأربعة الكفار والمعابد التى كانت بأيديهم

فمن قال بالأول قال : حكم الكنائس حكم غيرها من العقار منهم من يوجب ابقاءه كمالك فى المشهور عنه وأحمد فى رواية . ومنهم من يخير الامام فيه بين الأمرين بحسب المصلحة وهذا قول الأكثرين وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد فى المشهور عنه وعليه دلت سنه رسول الله (ص) حيث قسم نصف خيبر وترك نصفها لمصالح المسلمين .

ومن قال يجوز إقرارها بأيديهم فقوله أوجه وأظهر فإنهم لا يملكون بهذا الاقرار رقاب المعابد كما يملك الرجل ماله كما أنهم لا يملكون ما ترك لمنافعهم المشتركة كالأسواق والمراعى كما لم يملك أهل خيبر ما أقرهم فيه رسول الله (ص) من المساكن والمعابد . ومجرد إقرارهم ينتفعون بها ليس تمليكا كما لو أقطع المسلم بعض عقار بيت المال ينتفع بغلته أو سلم إليه مسجد أو رباط ينتفع به لم يكن ذلك تمليكاً له بل ما أقروا فيه من كنائس العنوة يجوز للمسلمين إنتزاعها منهم إذا إقتضت المصلحة ذلك كما انتزعها أصحاب النبى (ص) من أهل خيبر بأمره بعد إقرارهم فيها ..

وقد طلب المسلمون فى خلافة الوليد بن عبد الملك أن يأخذوا من النصارى بعض كنائس العنوة التى خارج دمشق فصالحوهم على إعطائهم الكنيسة التى داخل البلد وأقر ذلك عمر بن عبد العزيز ومن معه فى عصره من أهل العلم فإن المسلمين لما أرادوا أن يزيدوا جامع دمشق بالكنيسة التى إلى جانبه وكانت من كنائس الصلح لم يكن لهم أخذها قهرا فاصطلحوا على المعاوضة باقرار كنائس العنوة التى أرادوا انتزاعها وكان ذلك الاقرار عوضا عن كنيسة الصلح التى لم يكن لهم أخذها عنوة.

فصل ومتى انتقض عهدهم جاز أخذ كنائس الصلح منهم فضلا عن كنائس العنوة كما

أخذ النبى صلى الله عليه وسلم ما كان لقريظة والنضير لما نقضوا العهد فإن ناقض العهد أسوأ حالا من المحارب الأصلى كما أن ناقض العهد أسوأ حالا من الكافر الأصلى ولذلك لو انقرض أهل مصر من الأمصار ولم يبقى من دخل فى عهدهم فإنه يصير للمسلمين جميع عقارهم ومنقولهم من المعابد وغيرها فيئاً فإذا عقدت الذمة لغيرهم كان كالعهد المبتدأ وكان لمن يعقد لهم الذمة أن يقرهم فى المعابد وله أن لا يقرهم بمنزلة ما فتح ابتداء فإنه لو أراد الإمام عند فتحه هدم ذلك جاز باجماع المسلمين ولم يختلفوا فى جواز هدمه ، وإنما اختلفوا فى جواز ابقائه وإذا لم تدخل فى العهد كانت فيئاً للمسلمين .

أما على قول الجمهور الذين لا يوجبون قسم العقار فظاهر ..

وأما على قول من يوجب قسمة فلأن عين المستحق غير معروف كسائر الأموال التى لا يعرف لها مالك معين وأما تقدير وجوب إبقائها فهذا تقدير لا حقيقة له . فإن ايجاب إعطائهم معابد العنوة لا وجه له ولا أعلم به قائلاً فلا يفرع عليه وإنما الخلاف فى الجواز نعم قد يقال فى الابناء إذا لم نقل بدخولهم فى عهد آبائهم لأن لهم شبهة الأمان والعهد بخلاف الناقضين فلو وجب لم يجب إلا ما تحقق أنه كان له فإن صاحب الحق لا يجب أن يعطي إلا ما عرف أنه حقه وما وقع الشك فيه على هذا التقدير فهو لبيت المال ، وأما الموجودون الآن إذا لم يصدر منهم نقض عهد فهم على الذمة فإن الصبى يتبع أباه فى الذمة وأهل داره من أهل الذمة كما يتبع فى الاسلام أباه وأهل داره من المسلمين لأن الصبى لما يكن مستقلا بنفسه جعل تابعا لغيره فى الايمان والأمان وعلى هذا جرت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه والمسلمين فى إقرارهم صبيان أهل الكتاب بالعهد القديم من غير تجديد عقد آخر .

وهذا الجواب حكمه فيما كان من معابدهم قديماً قبل فتح المسلمين . أما ما أحدث بعد ذلك فإنه يجب إزالته ولا يمكنون من إحداث البيع والكنائس كما شرط عليهم عمر بن الخطاب فى الشروط المشهورة عنه أن لا يجدوا فى مدائن الاسلام ولا فيما حولها كنيسة ولا صومعة ولا ديراً ولا قلاية امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تكون قبلتان ببلد واحد " رواه أحمد وأبوه دواد بسند جيد..

ولما روى عن عمر بن الخطاب قال " لا كنيسة فى الإسلام " وهذا مذهب الأئمة الأربعة فى الأمصار ومذهب جمهورهم فى القرى وما زال من يوفقه الله من ولاة أمور المسلمين ينفذ ذلك ويعمل به مثل عمر بن عبد العزيز الذى اتفق المسلمون على أنه إمام هدى فروى أحمد عنه أنه

كتب إلى نائبة على اليمن أن يهدم الكنائس التى فى أمصار المسلمين فهدمها بصنعاء وغيرها .

وروي أحمد عن الحسن البصرى أنه قال " من السنة أن تهدم الكنائس التى فى الامصار القديمة والحديثة ، وكذلك هارون الرشيد فى خلافته أمر بهدم ما كان فى سواد بغداد ، وكذلك المتوكل لما ألزم أهل الكتاب بشروط عمر استفتى علماء وقته فى هدم الكانس والبيع فأجابوه فبعث بأجوبتهم إلى أحمد فأجابه بهدم كنائس سواد العراق وذكر الآثار عن الصحابة والتابعين فمما ذكره ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال " أيما مصر مصرته العريب - يعنى المسلمين - فليس للعجم يعنى أهل الذمة أن يبنوا فيه كنيسة ولا يضربوا ناقوساً ولا يشربون فيه خمراً .

وأيما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فإن للعجم ما فى عهدهم وعلى العرب أن يوفوا بعهدهم ولا يكلفوهم فوق طاقتهم ".

وملخص الجواب أن كل كنيسة فى مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد ونحوها من الأمصار التى مصرها المسلمون بأرض العنوة فإنه يجب إزالتها إما بالهدم أو غيره بحيث لا يبقى لهم معبد فى مصر مصره المسلمون بأرض العنوة وسواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة لأن القديم منها يجوز أخذه ويجب عند المفسدة وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن تجتمع قبلتان بأرض فلا يجوز للمسلمين أن يمكنوا أن يكون بمدائن الاسلام قبلتان إلا لضرورة كالعهد القديم ، لا سيما وهذه الكنائس التى بهذه الأمصار محدثة يظهر حدوثها بدلائل متعددة والمحدث يهدم باتفاق الائمة .

وأما الكنائس التى بالصعيد وبر الشام ونحوها من أرض العنوة فما كان منها محدثا وجب هدمه، وإذا اشتبه المحدث بالقديم وجب هدمها جميعاً لأن هدم المحدث واجب وهدم القديم جائز وما لا يتم الواجب إلابه فهو واجب ، وما كان منها قديماً فإنه يجوز هدمه ويجوز إقراره بأيديهم فينظر الإمام فى المصلحة فان كانوا قد قلوا والكنائس كثيرة أخذ منهم أكثرهم . وكذلك ما كان على المسلمين فيه مضرة فإنه يؤخذ أيضاً وما احتاج المسلمون إلى أخذه أخذ أيضاً .

وأما إذا كانوا كثيرون فى قرية ولهم كنيسة قديمة لا حاجة إلى أخذها ولا مصلحة فيه فالذى ينبغى تركها كما ترك النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه لهم من الكنائس ما كانوا

محتاجين إليه ثم أخذ منهم ، وأما ما كان لهم بصلح قبل الفتح مثل ما فى داخل مدينة دمشق ونحوها فلا يجوز أخذه ما داموا موفين بالعهد إلا بمعاوضة أو طيب أنفسهم كما فعل المسلمون بجامع دمشق لما بنوه ، فإذا عرف أن الكنائس ثلاثة أقسام

منها مالا يجوز هدمه..

ومنها ما يجب هدمه كالتى فى القاهرة مصر والمحدثات كلها .

ومنها ما يفعل المسلمون فيه الأصلح كالتى فى الصعيد وأرض الشام مما كان قديماً على ما بيناه..

فالواجب على ولى الأمر فعل ما أمر الله به وما هو أصلح للمسلمين من إعزاز دين الله وقمع أعدائه وإتمام ما فعله الصحابة من الزامهم بالشروط عليهم ومنعهم من الولايات فى جميع أرض الاسلام ولا يلتفت فى ذلك إلى مرجف أو مخذل يقول إن لنا عندهم مساجد وأسرى نخاف عليهم فان الله تعالى يقول **(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز)** وإذا كان فورزو فى مملكة التتار قد هدم عامة الكنائس على رغم أنف أعداء الله فحزب الله المنصور وجنده الموعود بالنصر إلى قيام الساعة أولى بذلك وأحق فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ونحن نرجو أن يحقق الله وعد رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال " **يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** " ويكون من أجرى الله ذلك على يديه وأعان عليه من أهل القرآن والحديث داخلين فى هذا الحديث النبوى فإن الله بهم يقيم دينه كما قال " **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ". (١)

---

(١) أحكام أهل الذمة جـ٢ / ٦٧٧:٦٨٦..

فتوى اخرى

ما يقول السادة العلماء أعانهم الله على إظهار الحق المبين واخماد الكفار والمنافقين فى الكنائس التى بالقاهرة وغيرها التى أغلقت بأمر ولاة الأمور إذا ادعى أهل الذمة أنها أغلقت ظلماوأنهم يستحقون فتحها وطلبوا ذلك من ولى الأمر، فهل تقبل دعواهم وهل تجب إجابتهم أم لا ، وإذ قالوا إن هذه الكنائس كانت قديمة من زمن عمر بن الخطاب وغيره من خلفاء المسلمين وإن اغلاقها مخالف لحكم الخلفاء الراشدين فهل هذا القول مقبول منهم أم مردود ؟

وإذا ذهب أهل الذمة إلى من يقدم من بلاد العرب من رسول أو غيره فسألوا أن يسأل ولى الأمر فى فتحها أو كاتبوا ملوك الحرب ليطلبوا ذلك من ولى أمر المسلمين فهل لأهل الذمة ذلك وهل ينتقض عهدهم بهذا أم لا ؟ وإذا قال قائل : إنهم إن لم يجابوا إلى ذلك حصل للمسلمين ضرر إما بالعدوان على من عندهم من الأسرى والمساجد ، وإما بقطع متاجرهم عن ديار الإسلام وإما بترك معاونتهم لولى أمر المسلمين على ما يعتمده من مصالح المسلمين ونحو ذلك ، فهل هذا القول صواب أو خطأ بينوا ذلك مبسوطا مشروحاً وإذا كان فى فتحها تغيير قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وتغيير قلوب أهل الصلاح والدين وعموم الجند والمسلمين على ولاة الأمور لأجل اظهار شعائر الكفر وظهور عزهم وفرحهم وسرورهم بما يظهرونه وقت فتح الكنائس من الشموع والجموع والأفراح وغير ذلك ، وهذا فيه تغير قلوب المسلمين من الصالحين وغيرهم حتى إنهم يدعون الله تعالى على من تسبب فى ذلك وأعان عليه فهل لأحد أن يشير على ولى الأمر بذلك ، ومن أشار عليه بذلك هل يكون ناصحا لولى المسلمين أم غاشا ، وأى الطرق هو الأفضل لولى الأمر؟

هذا نص السؤال فأجاب عنه ابن تيمية بما نصه :

"الحمد لله رب العالمين أما دعواهم أن المسلمين ظلموهم فى إغلاقها فهذا كذب مخالف لأهل العلم فإن علماء المسلمين من أهل المذاهب الأربعة مذهب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وغيرهم والأوزاعى والليث بن سعد وغيرهم ومن قبلهم من الصحابة والتابعين متفقون على أن الإمام لو هدم كل كنيسة بأرض العنوة كأرض مصر والسوادن بالعراق وبر الشام ونحو ذلك مجتهداً فى ذلك ومتبعاً فى ذلك لمن يرى ذلك لم يكن ذلك ظلماً منه بل تجب طاعته فى ذلك وإن امتنعوا عن حكم المسلمين لهم كانوا ناقصين العهد وحلت بذلك دماؤهم وأموالهم ".

وأما قولهم : إن هذه الكنائس من عهد عمر بن الخطاب، وأن الخلفاء الراشدين أقروهم عليها فهذا أيضاً من الكذب فإن من المعلوم المتواتر أن القاهرة بنيت بعد عمر بن الخطاب

بثلاثمائة سنة بنيت بعد بغداد وبعد البصرة والكوفة وواسط وقد اتفق المسلمون على أن ما بناه المسلمون من المدائن لم يكن لأهل الذمة أن يحدثوا فيه كنيسة مثل ما فتحه المسلمون صلحا وأبقوالهم كنائسهم القديمة بعد أن شرط عليهم فيها عمر بن الخطاب أن لا يحدثوا كنيسة فى أرض الصلح فكيف فى بلاد المسلمين بل إذا كان لهم كنيسة بأرض العنوة كالعراق ومصر ونحو ذلك فبنى المسلمون مدينة عليها فإن لهم أخذ تلك الكنيسة لئلا تترك فى مدائن المسلمين كنيسة بعد عهد فإن فى سنن أبى داود بإسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا تصلح قبلتان بأرض ولا جزية على مسلم "

والمدينة التى يسكنها المسلمون والقرية التى يسكنها المسلمون وفيها مساجد المسلمين لا يجوز أن يظهر فيها شئ من شعائر الكفر لا كنائس ولا غيرها إلا أن يكون لهم عهد فيوفى لهم بعهدهم ، فلو كان بأرض القاهرة ونحوها كنيسة قبل بنائها لكان للمسلمين أخذها لأن الأرض عنوة فكيف وهذه الكنائس محدثة أحدثها النصارى .

وقد كان فى بر مصر كنائس قديمة لكن تلك الكنائس أقرهم المسلمون عليها حين فتحوا البلاد لأن الفلاحين كلهم كانوا نصارى ولم يكونوا مسلمين وإنما كان المسلمون الجند خاصة وأقروهم كما أقر النبى صلى الله عليه وسلم اليهود على خيبر لما فتحها لأن اليهود كانوا فلاحين وكان المسلمون مشتغلين بالجهاد .

ثم إنه بعد هذا فى خلافه عمر بن الخطاب لما كثر المسلمون واستغنوا عن اليهود أجلاهم عن خيبر كما أمر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب " حتى لم يبق فى خيبر يهودى وهكذا القرية التى يكون أهلها نصارى وليس عندهم مسلمون ولا مسجد للمسلمين فإذا أقرهم المسلمون على كنائسهم التى فيها جاز ذلك كما فعله المسلمون ، وأما إذا سكنها المسلمون وبنوا بها مساجدهم فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم " لا تصلح قبلتان بأرض " وفى أثر آخر " لا يجتمع بيت رحمة وبيت عذاب " والمسلمون قد كثروا بالديار المصرية وعمرت فى هذه الأوقات حتى صار أهلها بقدر ما كانوا فى زمان صلاح الدين مرات متعددة.

وإنما قويت شوكة النصارى والتتار بعد موت العادل أخى صلاح الدين حتى إن بعض الملوك أعطاهم بعض مدائن المسلمين وحدث حوادث بسبب التفريط فيما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى يقول " **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** "

فكان ولاة الأمور الذين يهدمون كنائسهم ويقيمون أمر الله فيهم كعمر ابن عبد العزيز وهارون الرشيد ونحوهما مؤيدين منصورين وكان الذين هم بخلاف ذلك مغلوبين مقهورين .

وكل من عرف سير الناس وملوكهم رأي كل من كان أنصر لدين الاسلام وأعظم جهاد لأعدائه وأقوم بطاعة الله ورسوله أعظم نصرة وطاعة وحرمة من عهد عمر بن الخطاب إلى هذا الزمان وقد أخذ المسلمون منهم كنائس كثيرة من أرض العنوة بعد أن أقروا عليها فى خلافة عمر بن عبد العزيز وغيره من الخلفاء وليس فى المسلمين من أنكر ذلك فعلم أن هدم كنائس العنوة جائز إذا لم يكن فيه ضرر على المسلمين فأعرض من أعرض عنهم كان لقلة المسلمين ونحو ذلك من الأسباب كما أعرض النبى صلى الله عليه وسلم عن إجلاء اليهود حتى أجلاهم عمر بن الخطاب .

وليس لأحد من أهل الذمة أن يكاتبوا أهل دينهم من أهل الحرب ولا يخبروهم بشئ من أخبار المسلمين ولا يطلب من رسولهم أن يكلف ولى أمر المسلمين ما فيه ضرر على المسلمين ومن فعل ذلك منهم وجبت عقوبته باتفاق المسلمين وفى أحد القولين يكون قد نقض عهده وحل دمه وماله .

ومن قال ان المسلمين يحصل لهم ضرر إن لم يجابوا إلى ذلك لم يكن عارفاً بحقيقة الحال فإن المسلمين قد فتحوا ساحل الشام وكان ذلك أعظم المصائب عليهم أخذ أموالهم وهدم كنائسهم ومع هذا لم يدخل على المسلمين بذلك الاكل خير فإن المسلمين مستغنون عنهم وهم إلى ما فى بلاد المسلمين أحوج من المسلمين إلى ما فى بلادهم بل مصلحة دينهم ودنياهم .

فأما الأندلس فهم لا يتركون المسلمين فى بلادهم الا لحاجتهم إليهم وخوفهم من التتار فإن المسلمين عند التتار أعز من النصارى وأكرم ولو قدر أنهم قادرون على من عندهم من المسلمين فالمسلمون أقدر على من عندهم من النصارى والنصارى الذين فى ذمة المسلمين فيهم من البتاركة وغيرهم من علماء النصارى ورهبانهم وليس عند النصارى مسلم يحتاج إليه المسلمون ولله الحمد مع أن فكاك الأسارى من أعظم الواجبات ،وبذل المال الموقوف وغيره فى ذلك من أعظم القربات وكل مسلم يعلم أنهم لا يتجرون إلى بلاد المسلمين إلا لأغراضهم لا لنفع المسلمين ، ولو منعهم ملوكهم من ذلك لكان حرصهم على المال يمنعهم من الطاعة فإنهم أرغب الناس فى المال ولهذا يتقامرون فى الكنائس وهم طوائف مختلفون وكل طائفة تضاد الأخرى ولا يشير على ولى أمر المسلمين بما فيه اظهار شعائرهم فى بلاد الاسلام أو تقوية أمرهم بوجه

من الوجوه إلا رجل منافق يظهر الإسلام وهو منهم فى الباطن أو رجل له غرض فاسدأو رجل جاهل فى غاية الجهل لا يعرف السياسة الشرعية الالهية التى تنصر سلطان المسلمين على أعدائه وأعداء الدين وإلا فمن كان عارفاً ناصحاً له أشار عليه بما يوجب نصره وثباته وتأييده واجتماع قلوب المسلمين عليه وفتحهم له ودعاء الناس له فى مشارق الأرض ومغاربها وهذا كله إنما يكون بإعزاز دين الله وإظهار كلمة الله وإذلال أعداء الله تعالى .

وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين وصلاح الدين ثم العادل كيف مكنهم الله وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الأعداء لما قاموا من ذلك بما قاموا به ، وليعتبر بسيرة من والى النصارى كيف أذله الله تعالى وكبته وليس المسلمون محتاجين إليهم ولله الحمد فقد كتب خالد ابن الوليد إلى عمر يقول إن بالشام كاتباً نصرانياً لا يقوم خراج الشام إلا به . فكتب إليه لا تستعمله .فكتب إنه لا غنى بنا عنه. فكتب إليه عمر : لا تستعمله " فكتب إليه : إذ لم نوله ضاع المال . فكتب إليه عمر " مات النصرانى والسلام " .

وثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن مشركا لحقه ليقاتل معه فقال له " إنى لا أستعين بمشرك " وكما أن الجند المجاهدين إنما يصلحون إذا كانوا مسلمين مؤمنين وفى المسلمين كفاية فى جميع مصالحهم ولله الحمد .

ودخل أبو موسى الأشعرى على عمر بن الخطاب فعرض عليه حساب العراق فأعجبه ذلك فقال " ادع كاتبك يقرؤه فقال: إنه لا يدخل المسجد قال " ولم " قال " لأنه نصرانى" فضربه عمر بالدرة فلو أصابته لأوجعته ثم قال : لا تعزوهم بعد أن أزلهم الله ولا تأمنوهم بعد أن خونهم الله ، ولا تصدقوهم بعد أن أكذبهم الله " والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة موالية لله ورسوله ولعبادة المؤمنين معادية لأعداء الله ورسوله ،وأعداء الدين وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هن العسكر الذى لا يغلب والجند الذى لا يخذل فإنهم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) .

فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين وبما يطلعون على ذلك من أسرارهم حتى أخذ جماعة من المسلمين فى بلاد

التتروسبى وغير ذلك بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم ومن الأبيات المشهورة قول بعضهم :

كل العدوات قد ترجى مودتها إلا عدارة من عاداك فى الدين

ولهذا وغيره منعوا أن يكونوا على ولاية المسلمين أو على مصلحة من يقويهم أو يفضل عليهم فى الخبرة والأمانة من المسلمين بل استعمال من هو دونهم فى الكفاية أنفع للمسلمين فى دينهم ودنياهم والقليل من الحلال يبارك فيه والحرام الكثير يذهب ويمحقه الله تعالى والله أعلم..

ثم ذكر الشروط العمرية لأهل الذمة التى من ضمنها أن لا يتخذوا من مدائن الاسلام ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة لراهب ولا يجددوا ما خرب منها " وقال " فمن خرج عن شرط من هذه الشروط فقد حل للمسلمين منهم ما حل من أهل المعاندة والشقاق وليتقدم حاكم المسلمين بطلب من يكون من أكابر النصارى ويلزمهم بهذه الشروط العمرية أعز الله أنصارها آمين " ا.هـ[٢]

---

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية .

رسالة أسد بن موسى
الى
أسد بن الفرات

يا أخى أن ما حملنى على الكتابة اليك إلا ذكر أهل بلدك من صالح ما أعطاك الله من انصافك الناس ، وحسن حالك مما ظهرت من السنة ، وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم فقمعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم ، باظهار عيبهم والطعن عليهم فأذلهم الله بيدك وصاروا ببدعتهم مستترين ، فأبشر يا أخى بثواب ذلك واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد ،واين تقع هذه الأعمال من اقامة كتاب الله تعالى واحياء سنة رسول الله(ص)..

وقد قال رسول الله (ص) من أحيا شيئاً من سنتى كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين وضم بين إصبعيه ..

وقال : أيما داعٍ دعى إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل آخر من اتبعه إلى يوم القيامة..

وذكر أيضاً أن لله عند كل بدعة كيد بها الاسلام ولياً يذب عنها وينطق بعلامتها .

فاغتنم يا أخى هذا الفضل وكن من أهله فان النبى (ص) قال : لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرا لك من كذا وكذا و واعظم القول فيه .

فاغتنم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك فى ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك أن حدث بك حدث فيكونون أئمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة ، كما جاء فى الاثر فاعمل على بصيرة ونية وحسبة ، فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر فتكون خلفاً من نبيك (ص) فانك لن تلق الله بعمل يشبهه ..

وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب فإنه جاء فى الأثر(من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه ، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى فى هدم الاسلام)

وجاء ما من إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى .

وقد وقعت اللعنة من رسول الله (ص) على أهل البدع وان الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضة ولا تطوعاً وكلما زادوا اجتهاداً أو صوما وصلاة ، ازدادوا من الله بعداً فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله(ص)وأئمة الهدى بعده.

واعلم رحمك الله : أن كلامه وما يأتى من كلام أمثاله من السلف فى معادات أهل البدع والضلالة ضلالة لا تخرج عن الملة .

لكنهم شددوا فى ذلك وحذروا منه لأمرين :

الأول غلظ البدعة فى الدين فى نفسها فهى عندهم أجل من الكبائر ، ويعاملون أهلها باغلظ مما يعاملون أهل الكبائر كما تجد فى قلوب الناس اليوم أن الرافضى عندهم ولو كان عالماً عابداً ابغض وأشد ذنباً من السنى المجاهر بالكبائر .

الأمر الثانى ، أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع .

فمثال البدعة التى شددوا فيها مثل تشديد النبى (ص) فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح خوفاً مما وقع من الشرك الصريح الذى يصير به المسلم مرتداً .

فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها ، أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله وهذا هو الذى نزلت فيه الآيات المحكمات .

ومثل قوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه**) الآية .

وقوله تعالى (**يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ، يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم**) الآية .

وقال ابن وضاح فى كتاب البدع والحودات بعد حديث ذكره أنه سيقع فى هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة .

قال : ان فتنة الكفر هى الردة يحل فيها السبى والأموال .

وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبى والأموال ، ولعله وهذا الذى نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبى ولا الأموال .

وقال : أيضاً أخبرنا أسد أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال ابن مسعود أن لله عند كل بدعة كيدبها الاسلام ولياً من أوليائه يذب عنه وينطق بعلامتها : فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا .

ثم ذكر باسناده عن بعض السلف قال لأن أرد رجلا عن رأى سيىء أحب إلى من اعتكاف شهر .

أخبرنا أسد عن أبى اسحاق عن الأوزاعي قال كان بعض أهل العلم يقولون لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صدقة ، ولا صياماً ، ولا جهاداً ، ولا حجاً ، ولا صرفاً ، ولا عدلا ، وكانت اسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشمئز منهم قلوبهم ويحذرون الناس بدعتهم .

قال : ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لأحد أن يهتك ستراً عليهم ، ولا يظهر منهم عورة ، الله أولى بالاخذ بها وبالتوبة عليها ، فأما اذا جاهروا فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله (ص) رحمة يعتصم بها على مصر ملحد .

ثم روى باسناده قال جاء رجل إلى حذيفة ، وابو موسى الاشعرى قاعد فقال أرأيت رجالاً ضرب بسيفه غضباً لله حتى قتل ، أفى الجنة أم فى النار ؟ فقال أبو موسى فى الجنة !

فقال : حذيفة استفهم الرجل وأفهمه ، ما تقول حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فلما كان فى الثالثة قال : والله لأستفهمه فدعا به حذيفة فقال : رويدك وما يدريك أن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فاصاب الحق حتى يقتل عليه فهو فى الجنة ، وان لم يصب الحق ولم يوفقه الله للحق فهو فى النار ، ثم قال والذى نفسى بيده ليدخلن النار فى مثل الذى سألت عنه أكثر من كذا وكذا .

ثم ذكر باسناده عن الحسن قال لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك .

ثم ذكر باسناده عن سيفان الثورى قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من احدى ثلاث ، إما أن يكون فتنة لغيره ، وإما أن يقع فى قلبه شئ فينزل به فيدخله الله النار .وإما أن يقول والله ما أبالى ما تكلموه ، وأنى واثق بنفسى ، فمن أمن الله على دينه طرفه عين سلبه اياه.

ثم ذكر باسناده عن بعض السلف قال:من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد اعان على هدم الاسلام .

أخبرنا أسد قال : حدثنا كثير أبو سعيد قال : من جلس إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه .

اخبرنا اسد بن موسى قال : اخبرنا حماد بن زيد عن ايوب قال ابو قلابة : لا تجالسوا أهل الاهواء ولا تجادلوهم فانى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسو عليكم ما تعرفون. قال ايوب: وكان والله من الفقهاء ذوى الالباب .

اخبرنا اسد ابن موسى قال : اخبرنا زيدعن محمد بن طلحة قال قال : ابراهيم لا تجالسوا اصحاب البدع ، ولا تكلموهم فإنى أخاف أن ترد قلوبكم .

اخبرنا اسد بالاسناد عن ابى هريرة قال : رسول الله (ص) الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل .

أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن اسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : دخل على محمد بن سيرين يوماً رجل فقال : يا أبا بكر اقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن اقرأها ثم أخرج ، فوضع اصبعيه فى اذنيه ثم قال : أحرج عليك إن كنت مسلماً لما خرجت من بيتى ، قال فقال يا ابا بكر لا أزيد على أن اقر ثم أخرج ،فقام : بإزاره يشد عليه وتهيأ اللقيام قال: فأقبلنا على الرجل فقلنا قد حرج عليك إلا خرجت . أفيحل لك أن تخرج رجلا من بيته قال : فخرج ، فقلنا يا ابا بكر ما عليك لو قرأ آية ثم خرج ، قال أنى والله لو ظننت أن قلبى يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ ولكن خفت أن يلقى فى قلبي شيئا اجهد أن أخرجه من قلبى فلا استطيع .

أخبرنا أسد قال : أخبرنا ضمرة عن سودة قال : سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول ما كان عبد على هوى فتركه إلا آل إلى ما هو شر منه .

قال : فذكرت ذلك لبعض اصحابنا فقال : تصديقه فى حديث عن النبى (ص) يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلي فوقه .

أخبرنا أسد قال : أخبرنا موسى بن اسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : كان رجل يرى رأياً فرجع عنه فأتيت محمداً فرحاً بذلك فأخبرته ، فقلت أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذى كان يرى فقال : انظروا إلى ما يتحول ، إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله يمرقون من الاسلام لا يعودن اليه .

ثم روى باسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاه بيضاء فوضعها فى كفه ، ثم قال : ان هذا الدين قد استضاء هذه الحصاه ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال : والذى نفسى بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدين كما دفنت هذه الحصاة .

أخبرنا محمد بن سعيد باسناده عن أبى الدرداء قال : لو خرج رسول الله (ص) اليوم اليكم ما عرف شيئامما كان عليه هو واصحابه إلا الصلاة..

قال : الاوزاعى فكيف لو كان اليوم قال عيسى يعنى الرواى عن الاوزاعى فكيف لو أدرك الاوزاعى هذا الزمان ،

اخبرنا سليمان بن محمد باسناده عن علي انه قال : تعلموا العلم تعرفون به ، واعملوا به تكونوا من أهله فإنه سيأتى بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم .

أخبرنا يحيى باسناده عن أبى سهل بن مالك عن أبيه أنه قال : ما عرف منكم شيئاً مما أدركت عليه الناس الا النداء بالصلاة .

حدثنى ابراهيم بن محمد باسناده عن أنس قال : ما أعرف منكم شيئاً كنت أعهده على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لااله الا الله .

أخبرنا أسد باسناده عن الحسن قال : لو أن رجلا أدرك السلف الأول ، ثم بعث اليوم ما عرف من الاسلام شيئاً قال : ووضع يده على خده ثم قال : إلا هذه الصلاة ، ثم قال : أما والله لمن عاش فى هذه النكرا و لم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعوا إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعوا إلى دنياه فعصمة الله عن ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض اجراً عظيما فكذلك كونوا إن شاء الله تعالى .

حدثنى محمد بن عبد الله بن محمد باسناده عن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلا نشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة .

أخبرنا محمد بن قدامة باسنادة عن أم الدرداء قالت دخل على أبو الدرداء مغضباً فقلت له ما أغضبك فقال : والله ما أعرف فيهم من أمر محمد (ص) الا أنهم يصلون جميعاً .

وفى لفظ : لو أن رجلاً تعلم الاسلام وأهمة ثم تفقده ما عرف منه شيئاً .

حدثنى ابراهيم باسناده عن عبد الله بن عمرو قال : لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفيهما فى بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه .

قال مالك :ويلغنى أن أبا هريرة تلى **(اذا جاء نصر الله والفتح ،ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا)** فقال : والذى نفسى بيده أن الناس ليخرجون اليوم من دينهم افواجا كما دخلوا فيه افواجا .

قف تأمل رحمك الله إذا كان هذا فى زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة ، فكيف يغتر المسلم بالكثرة أو تشكل عليه ولا يستدل بها على الباطل .

ثم روى ابن وضاح باسناده عن أبى أمية قال : اتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا ابا ثعلبة كيف تصنع فى هذه الآية ؟ قال أية آية؟ قلت قول الله تعالى **(لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)** قال اما والله لقد سألت عنها خبيرا سئلت عنها رسول الله (ص) فقال بل أئتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاًمطاعاً، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذى

رأى برأية ، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام ، فان من ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قيل يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم .

ثم روى باسناده عن عبدالله بن عمرو أن النبى (ص) قال : طوبى للغرباء ثلاثاً قالوا يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال : ناس صالحون قليل فى أناس سوء كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم .

اخبرنا أسد باسناده عن عبد الله أنه سمع رسول اله يقول أن السلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون اذا فسد الناس ،

هذا آخر ما نقلته من كتاب البدع والحوداث للامام الحافظ محمد بن وضاح .

فتأمل رحمك الله أحاديث الغربة وبعضها فى الصحيح مع كثرتها وشهرتها .

وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع فى زمن طويل حتى قال ابن القيم : الاسلام فى زماننا اغرب منه فى أول ظهوره .

فتأمل هذا تأملاً جيداً لعلك أن تسلم من هذه الهوة الكبيرة التى هلك فيها اكثر الناس وهى الاقتداء بالكثرة والسواد الاكبر والنفرة من الاقل فما أقل من سلم منها ما أقله ..

ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذى اخرجه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال : ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويعتقدون بأمره (وفى رواية يهتدون بهدية) ويستنون بسنته ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.[٣]

---

(٣) مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد.

المنكرات من الأعيان والصور وأدوات اللهو

المنكرات من الأعيان والصور ، يجوز اتلاف محلها تبعالها ، مثل الأصنام المعبودة من دون الله ، لما كانت صورها منكرة : جاز اتلاف مادتها ، فاذا كانت حجرا أو خشبا ونحو ذلك : جاز تكسيرها وتحريقها وكذلك آلات الملاهي - كالطنبور - يجوز اتلافها عند أكثر الفقهاء وهو مذهب مالك ، وأشهر الروايتين عن أحمد .

قال الأثرم : سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل كسر عوداً كان مع أمه لانسان ، فهل يغرمه ، أو يصلحه ؟ قال : لا أرى عليه بأسا أن يكسره ، ولا يغرمه ولا يصلحه ، قيل له : فطاعتها ؟ قال ليس لها طاعة فى هذا .

وقال أبو داود : سمعت أحمد يسأل عن قوم يلعبون بالشطرنج فنهاهم فلم ينتهوا ، فأخذ الشطرنج فرمى به ؟ قال : قد أحسن . قيل : فليس عليه شئ ؟ قال : لا. قيل له : وكذلك إن كسر عوداً أو طنبورا ؟ قال : نعم .

قال عبد الله : سمعت أبى - فى رجل يرى مثل الطنبور أو العود أو الطبل ، أو ما أشبه هذا - ما يصنع به ؟ قال : اذا كان مكشوفاً فاكسره .

وقال يوسف بن موسى ، وأحمد بن الحسن : أن عبد الله سئل عن الرجل يرى الطنبور والمنكر : أيكسره ؟ قال : لابأس .

وقال أبو الصقر : سألت أبا عبد الله عن رجل رأى عوداً أو طنبورا فكسره ، ما عليه؟

قال : قد أحسن ، وليس عليه فى كسره شئ

وقال جعفر بن محمد سألت أبا عبد الله عمن كسر الطنبور والعود فلم ير عليه شيئا .

وقال اسحاق بن ابراهيم :سئل أحمد عن الرجل يرى الطنبور أو طبلا مغطى : أيكسره؟

قال : اذا تبين أنه طنبور أو طبل كسره .

وقال أيضا :سألت أبا عبد الله عن الرجل يكسر الطنبور، أو الطبل:عليه فى ذلك شئ؟

قال يكسر هذا كله ، وليس يلزمه شئ .

وقال المروذى :سألت أبا عبد الله عن كسر الطنبور الصغير يكون مع الصبى؟ قال :يكسر أيضاً ، قلت : أمر فى السوق فأرى الطنبور يباع :أأكسره ؟ قال : ما أراك تقوى، إن قويت - أى فافعل- قلت : أدعى لغسيل الميت ، فأسمع صوت الطبل ؟ قال : إن قدرت على كسره ، وإلا فاخرج .

وقال فى رواية اسحاق بن منصور - فى الرجل يرى الطنبور والطبل والقنينة - قال : اذا كان طنبور أو طبل ، وفى القنينة مسكر : اكسره .

وفى مسائل صالح ، قال أبى : يقتل الخنزير ، ويفسد الخمر ، ويكسر الصليب .

وهذا قول أبى يوسف ، ومحمد بن الحسن ، واسحاق بن راهوية ، وأهل الظاهر ، وطائفة من أهل الحديث ، وجماعة من السلف ، وهو قول قضاة العدل .

قال أبو حصين : كسر رجل طنبوراً، فخاصمه إلى شريح ، فلم يضمنه شيئاً .

وقال أصحاب الشافعى : يضمن ما بينه وبين الحد المبطل للصورة وما دون ذلك : فغير مضمون ، لأنه مستحق الازالة ، وما فوقه فقابل للتمول : لتأتى الانتفاع به، والمنكر انما هو الهيئة المخصوصة ، فيزول بزوالها ، ولهذا أوجبنا الضمان فى الصائل بما زاد على قدر الحاجة فى الدفع ، وكذا الحكم فى البغاة فى اتباع مدبرهم ،والاجهاز على جريحهم ، والميتة : فى حال المخمصة ، لا يزاد على قدر الحاجة فى ذلك كله .

حرق العجل المعبود:

قال أصحاب القول الأول : قد أخبر الله سبحانه عن كليمه موسى عليه السلام : أنه أحرق العجل الذى عبد من دون الله ، ونسفه فى اليم ، وكان من ذهب وفضة ، وذلك محق له بالكلية ،

وقال عن خليله ابراهيم عليه السلام : **(فجعلهم جذاذاً)** وهو الفتات ، وذلك نص فى الاستئصال،

وروى أحمد فى مسنده والطبراني فى المعجم من حديث الفرج بن فضالة عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله بعثنى رحمة للعالمين ، وهدى للعالمين ، وأمرنى ربى بمحق المعازف والمزامير والأوثان ، والصليب ، وأمر الجاهلية ".

وأيضاً : فالقياس يقتضى ذلك ، لأن محل الضمان : هو ما قبل المعاوضة ، وما نحن فيه لا يقبلها البتة ، فلا يكون مضموناً ، وإنما قلنا : لا يقبل المعارضة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال :" ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام " وهذا نص ، وقال " إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه " والملاهى محرمات بالنص ، فحرم بيعها .

وأما قبول ما فوق الحد المبطل للصورة لجعله آنية : فلا يثبت به وجوب الضمان ، لسقوط

حرمته ، حيث صار جزء المحرم ، أو ظرفاً له ، كما أمر به النبى صلي الله عليه وسلم من كسر دنان الخمر ، وشق ظروفها ، فلا ريب أن للمجاورة تأثيراً فى الامتهان والاكرام ، وقد قال تعالى : **(وقد نزل عليكم فى الكتاب : أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . إنكم إذاً مثلهم)**

وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن القوم:يكونون بين المشركين يؤاكلونهم ويشاربونهم؟ فقال : هم منهم هذا لفظة أو معناه .

فإذا كان هذا فى المجاورة المنفصلة فكيف بالمجاورة التى صارت جزءاً من أجزاء المحرم ، أو لصيقة به ؟ وتأثير الجوار ثابت عقلاً وشرعاً وعرفاً .

والمقصود : أن إتلاف المال - على وجه التعزير والعقوبة - ليس بمنسوخ ، وقد قال أبو الهياج الأسدى:قال لى على بن أبى طالب "ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا أدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وهذا يدل على طمس الصور فى أى شئ كانت ، وهدم القبور المشرفة ، وان كانت من حجارة أو آجر أو لبن .

محو التصاوير :

قال المروذى : قلت لأحمد : الرجل يكترى البيت ، فيرى فيه تصاوير ترى أن يحكها ؟ قال : نعم ، وحجته : هذا الحديث الصحيح .

وروى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنه "أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أرى الصور فى البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت .

وفى الصحيحين:أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:"لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة "،

وفى صحيح البخارى عن عائشة: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك في بيته شيئاً فيه تصليب إلا قصة ".

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية .

فهؤلاء رسل الله ، صلوات الله وسلامه عليهم - ابراهيم وموسى وعيسى وخاتم المرسلين

محمد صلى الله عليه وسلم - كلهم على محق المحرم واتلافه بالكلية ، وكذلك الصحابة رضى الله عنهم ، فلا التفات إلى من خالف ذلك .

كسر آنية الفضة :

وقد قال المروذى : قلت لأبى عبد الله : دفع إلى ابريق فضة لأبيعه ، أترى أن أكسرة ، أو أبيعه كما هو ؟ قال : اكسره .

وقال : قيل لأبى عبد الله :أن رجلاً دعا قوماً، فجئ بطست فضة وابريق فضة ، فكسرة، فأعجب أبا عبد الله كسره .

وقال : بعثنى أبو عبد الله إلى رجل بشئ ، فدخلت عليه ، فأتى بمكحلة رأسها مفضض ، فقطعتها ، فأعجبه ذلك ، وتبسم .

ووجه ذلك : أن الصناعة محرمة ، فلا قيمة لها ولا حرمة .

وأيضا : فتعطيل هذه الهيئة مطلوب ، فهو بذلك محسن ، وما على المحسنين من سبيل .

حرق الكتب المضلة واتلافها :

وكذلك لا ضمان فى تحرويق الكتب المضلة واتلافها .

قال المروذى : قلت لأحمد : استعرت كتاباً فيه أشياء ردئية ، ترى أن أخرقه أو أحرقه ؟ قال : نعم ، وقد " رأى النبى صلى الله عليه وسلم بيد عمر كتابا اكتتبه من التوراة ، وأعجبه موافقته للقرآن ، فتمعر وجه النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى ذهب به عمر إلى التنور فألقاه فيه ".

فكيف لو رأى النبى (ص) ما صنف بعده من الكتب التى يعارض بها ما فى القرآن والسنة ؟ والله المستعان ، وقد " أمر النبى (ص) من كتب عنه شيئا غير القرآن أن يمحوه " ثم " أذن فى كتابه سنته " ولم يأذن فى غير ذلك .

وكل هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة:غير مأذون فيها ، بل مأذون في محقها واتلافها ، وما على الأمة أضر منها ، وقد حرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان ، لما خافوا على الأمة من الاختلاف ، فكيف لو رأوا هذه الكتب التى أوقعت الخلاف والتفرق بين الأمة ؟

وقال الخلال : أخبرنى محمد بن أبى هارون : أن أبا الحادث حدثهم قال : قال أبو عبد الله : أهلكهم وضع الكتب ، تركوا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبلوا على الكلام .

القرآن والحديث لا الرأى :

وقال : أخبرنى محمد بن أحمد بن واصل المقرى قال : سمعت أبا عبد الله – وسئل عن الرأى ؟ فرفع صوته ، وقال : لا يثبت شئ من الرأى عليكم بالقرآن والحديث والآثار .

وقال فى رواية ابن مشيش : ان أبا عبد الله سأله رجل ، فقال : أكتب الرأى ؟ فقال : ما تصنع بالرأى ؟ عليك بالسنن فتعلمها ، وعليك بالأحاديث المعروفة .

وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبى يقول : هذه الكتب بدعة وضعها وقال اسحاق بن منصور : سمعت أبا عبد الله يقول : لا يعجبنى شئ من وضع الكتب ، من وضع شيئاً من الكتب فهو مبتدع.

وقال المروذى : حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا حماد بن زيد قال : قال لى ابن عون : يا حماد ، هذه الكتب تضلُّ .

وقال الميمونى : ذاكرت أبا عبد الله خطأ الناس فى العلم ، فقال : وأى الناس لا يخطى ؟ لا سيما من وضع الكتب ، فهو أكثر خطأ .

وقال اسحاق :سمعت أبا عبد الله – وسأله قوم من أردبيل عن رجل يقال له :عبد الرحيم ، وضع كتابا – فقال أبو عبد الله : هل أحد من أصحاب رسول (ص) فعل ذا ؟ أو أحد من التابعين ؟ وأغلظ وشدد فى أمره ، وقال : انهوا الناس عنه ، وعليكم بالحديث .

وقال فى رواية أبى الحارث : ما كتبت من هذه الكتب الموضوعة شيئاً قط .

وقال محمد بن زيد المستملى : سأل أحمد رجل،فقال : أكتب كتب الرأى ؟ قال لا تفعل، عليك بالحديث والآثار ، فقال له السائل : ان ابن المبارك قد كتبها ، فقال له أحمد : ابن المبارك لم ينزل من السماء ، وانما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق .

وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبى – وذكر وضع الكتب – فقال : أكرهها ، هذا أبو فلان وضع كتاباً ، فجاء أبو فلان فوضع كتاباً ،وجاء فلان فوضع كتاباً ، فهذا لا انقضاء له ، كلما جاء رجل وضع كتاباً ، وهذه الكتب وضعها بدعة ، كلما جاء رجل وضع كتاباً ، وترك حديث رسول (ص) وأصحابه ، وعاب وضع الكتب ، وكرهة شديدة

البدع فى الكتب :

وقال المروذى فى موضع آخر : قال أبو عبد الله : يضعون البدع فى كتبهم ، انما أحذر عنها أشد التحذير ، قلت : انهم يحتجون بمالك : أنه وضع كتابا ؟ فقال أبو عبد الله : هذا ابن عون والتيمى ويونس وأيوب : هل وضعوا كتابا ؟ هل كان فى الدنيا مثل هؤلاء ؟ وكان ابن سيرين وأصحابه لا يكتبون الحديث ، فكيف الرأى ؟

وكلام أحمد فى هذا كثير جداً ، قد ذكره الخلال فى كتاب العلم .

المحظور من الكتب :

ومسألة وضع الكتب : فيها تفصيل ، ليس هذا موضعه ، وانما كره أحمد ذلك ، ومنع منه لما فيه من الاشتغال به ، والإعراض عن القرآن والسنة ، والذب عنهما ، وأما كتب إبطال الآراء ، والمذاهب المخالفة لهما فلا بأس ، وقد تكون واجبة ومستحبة ومباحة ، بحسب اقتضاء الحال والله أعلم .

والمقصود : أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب اتلافها واعدامها ، وهى أولى بذلك من اتلاف آلات اللهو والمعازف ، واتلاف آنية الخمر ، فان ضررها أعظم من ضرر هذه ، ولا ضمان فيها ، كما لا ضمان فى كسر أوانى الخمر وشق زقاقها [٤]

---

(٤) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية ..

مذاهب السلف
في
قبول شهادة المخالف

قالوا : شروط قبول شهادتهم فى ذلك كونهم يعقلون الشهادة فى ذلك ، وأن يكونوا ذكوراً أحراراً ، محكوماً لهم بحكم الاسلام ، اثنين فصاعدا ، متفقين غير مختلفين ، ويكون ذلك قبل تفرقهم وتخبيبهم، ويكون ذلك لبعضهم على بعض، ويكون فى القتل والجراح خاصة ، ولا يقبل شهادتهم على كبير : أنه قتل صغيراً ، ولا على صغير : أنه قتل كبيراً .

قالوا : ولو شهدوا ، ثم رجعوا عن شهادتهم : أخذ بالشهادة الأولى ولم يلتفت إلى ما رجعوا اليه .

قالوا : ولا خلاف عندنا أنه لا يعتبر فيهم تعديل ولا تجريح .

قالوا : واختلف أصحابنا فى العدواة والقرابة : هل تقدح فى شهادتهم ؟ على قولين ، واختلفوا فى جريان هذا الحكم فى إناثهم،أم هو مختص بالذكور،فلا تقبل فيه شهادة الاناث؟ على قولين .

الحكم بشهادة الفساق :

وذلك فى صور :

احداهما : الفاسق باعتقاده إذا كان متحفظا فى دينه فإن شهادته مقبولة ،وإن حكمنا بفسقه ، كأهل البدع والأهواء الذين لا نكفرهم ،كالرافضة والخوارج والمعتزلة ، ونحوهم، هذا منصوص الأئمة.

قال الشافعى : أقبل شهادة أهل الأهواء بعضهم على بعض ، إلا الخطابية فانهم يتدينون بالشهادة لموافقيهم على مخالفيهم .

ولا ريب أن شهادة من يكفر بالذنب ولا يتعمد الكذب أولى بالقبول ممن ليس كذلك ، ولم يزل السلف والخلف على قبول شهادة هؤلاء وروايتهم .

شهادة معلن البدعة :

وإنما منع الأئمة - كالامام أحمد ابن حنبل وأمثاله - قبول رواية الداعى المعلن ببدعته وشهادته ، والصلاة خلفه :هجراً له ، وزجراً لينكف ضرر بدعته عن المسلمين ، ففى قبول شهادته وروايته ، والصلاة خلفه، واستقضائه وتنفيذ أحكامه : رضى ببدعته ، واقرار له عليها ، وتعريض لقبولها منه.

شهادة القدرية والرفضة :

قال حرب : قال أحمد : لا تجوز شهادة القدرية والرافضة وكل من دعا إلى بدعة ويخاصم عليها . وقال الميمونى : قال أبو عبد الله فى الرافضة - لعنهم الله - لا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم .

وقال اسحاق بن منصور ، قلت لأحمد ، كان ابن أبى ليلى يجيز شهادة كل صاحب بدعة اذا كان فيهم عدلا ، لا يستحل شهادة الزور..

قال أحمد : ما تعجبنى شهادة الجهمية والرافضة والقدرية والمعلنة .

وقال الميمونى:سمعت أبا عبد الله يقول:من أخاف عليه الكفر- مثل الروافض والجهمية - لا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم .

وقال فى رواية يعقوب بن بختان : إذا كان القاضى جهمياً لا تشهد عنده ..

وقال أحمد بن الحسن الترمذى : قدمت على أبى عبد الله ،فقال : ما حال قاضيكم ؟ لقد مد له فى عمره.

فقلت له : إن للناس عندى شهادات ، فإذا صرت إلى البلاد لا آمن إذا أشهد عنده أن يفضحنى..

قال : لا تشهد عنده ..

قلت : يسألنى من له عندى شهادة ؟

قال : لك ألا تشهد عنده .

قلت : من كفر بمذهبه - كمن ينكر حدوث العالم ، وحشر الأجساد ، وعلم الرب تعالى بجميع الكائنات ، وأنه فاعل بمشيئته وارادته - فلا تقبل شهادته ، لأنه على غير الاسلام وأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام ، ولكنهم مخالفون فى بعض الأصول - كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم - فهؤلاء أقسام :

أحدها : الجاهل المقلد الذى لا بصيرة له ، فهذا لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته ، إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى ، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ،فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفوراً.

القسم الثانى : المتمكن من السؤال وطلب الهداية ، ومعرفة الحق ولكن يترك ذلك اشتغالاً

بدنياه ورياسته ، ولذته ومعاشه وغير ذلك فهذا مفرط مستحق للوعيد ، آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته ، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركي بعض الواجبات ، فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى : ردت شهادته وإن غلب ما فيه من السنة والهدى : قبلت شهادته .

القسم الثالث : أن يسأل ويطلب ، ويتبين له الهدى ، ويتركه تقليداً وتعصباً ، أو بغضاً أو معاداة لأصحابه ، فهذا أقل درجاته: أن يكون فاسقاً ، وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل ، فإن كان معلناً داعية ردت شهادته وفتاويه وأحكامه ، مع القدرة على ذلك ، ولم تقبل له شهادة ، ولا فتوى ولا حكم ،إلا عند الضرورة ، كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم ، وكون القضاة والمفتين والشهود منهم ، ففي رد شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير ، ولا يمكن ذلك ، فتقبل للضرورة .

مذهب مالك :

وقد نص مالك على أن شهادة أهل البدع - كالقدرية والرافضة ونحوهم - لا تقبل، وان صلوا صلاتنا ، واستقبلوا قبلتنا.

قال اللخمي : وذلك لفسقهم ، قال : ولو كان ذلك عن تأويل غلطوا فيه .

فإذا كان هذا ردهم لشهادة القدرية - وغلطهم إنما هو من تأويل القرآن كالخوراج - فما الظن بالجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الثنتين والسبعين فرقة ؟

وعلى هذا : فإذا كان الناس فساقا كلهم إلا القليل النادر : قبلت شهادة بعضهم على بعض ، ويحكم بشهادة الأمثل فالأمثل ، هذا هو الصواب الذى عليه العمل ، وإن أنكره كثير من الفقهاء بألسنتهم ، كما أن العمل على صحة ولاية الفاسق ، ونفوذ أحكامه ، وإن أنكروه بألسنتهم ، وكذلك العمل على صحة كون الفاسق ولياً فى النكاح ووصياً فى المال .

والعجب ممن يسلبه ذلك ويرد الولاية إلى فاسق مثله ، أو أفسق منه ، فإن العدل الذى تنتقل إليه الولاية قد تعذر وجوده ،وامتاز الفاسق القريب بشفقة القرابة ، والوصى باختيار الموصى له وايثاره على غيره ، ففاسق عينه الموصى ، أو امتاز بالقرابة : أولى من فاسق ليس كذلك ، على أنه إذا غلب على الظن صدق الفاسق قبلت شهادته وحكم بها ، والله سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق ، فلا يجوز رده مطلقا ، بل يتثبت فيه حتى يتبين : هل هو صادق أو كاذب ؟ فإن كان صادقاً : قبل قوله وعمل به ، وفسقه عليه ، وان كان كاذباً : رد خبره ولم يلتفت اليه .

رد شهادة الفاسق

ولرد خبر الفاسق وشهادته مأخذان :

أحداهما : عدم الوثوق به ، إذ تحمله قلة مبالاته بدينه ، ونقصان وقار الله فى قلبه – على تعمد الكذب .

الثانى : هجرة على اعلانه بفسقة ومجاهرته به .

فقبول شهادته إبطال لهذا الغرض المطلوب شرعاً .

من كان فسقه بغير الكذب :

فاذا علم صدق لهجة الفاسق ، وأنه أصدق الناس – وان كان فسقه بغير الكذب – فلا وجه لرد شهادته ، وقد استأجر النبى (ص) هادياً يدله على طريق المدينة ، وهو مشرك على دين قومه ، ولكن لما وثق بقوله أمنه ، ودفع اليه راحلته ، وقبل دلالته .

وقد قال أصبغ بن الفرج : اذا شهد الفاسق عند الحاكم وجب عليه التوقف فى القضية ، وقد يحتج له بقوله تعالى : **(ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)**

وحرف المسألة : أن مدار قبول الشهادة وردها ، على غلبه ظن الصدق وعدمه . (٥)

(٥) المرجع السابق ..

خاتمـــة /

عرضنا فيما سبق بشئ من التفصيل عدد من الفقهاء كنموذج لحالة التطرف السلفى الذى انعكس على واقع الخلف ونتج عن هذا الانعكاس صور متعددة من التطرف الحركى برزت على ساحة الواقع وأصبحت ظاهرة من ظواهر العصر ..

إن معالجة هذه الظاهرة لا يتم إلا بمعرفة منابعها ، ومعرفة المنابع لن تتحق إلا بالخوض فى عمق التراث ، فذلك هو السبيل الوحيد للوصول إلى هذه المنابع وتجفيفها ..

إن مواجهة التطرف المعاصر لن يتم ويكتب له النجاح إلا بمواجهة تطرف الماضى فإن اسلحة الحاضر هى نفس اسلحة الماضى .

ولقد اعتمد فقهاء الماضى على الرواية والفتوى ..

واعتمد فقهاء الحاضر على الرواية والفتوى ..

من هنا فإن المعالجة تتطلب إعادة النظر فى الرواية والفتوى ..

تتطلب غربلة التراث الاسلامى ..

تتطلب العودة إلى القرآن وجعله الحكم والفيصل فى التراث بشكل عام .وفى الرواية والفتوى بشكل خاص ..

وهذه النماذج المتطرفة التى ألقينا الضوء عليها هنا إنما هى محاولة تشخيص للحالة الدينية فى الماضى والحاضر ..

وهى مفتاح هذه المسألة التي عكف عليها الكثير من الكتاب والمفكرين وطافوا من حولها دون أن يجدوا الحل الحاسم لها ..

وسبب ذلك فى نظرى يعود إلى ما يلى :

أولاً : قلة الخبرة والوعى لدى البعض بطبيعة التراث الاسلامى والالمام بجوانبه ..

ثانيـاً : ارتباط البعض بمؤسسات وتوجهات تحول دون الخوض فى عمق هذا التراث والتصدى لسلبياته وكشف تناقضاته ..

ثالثا: أعتناق فكرة قداسة الماضى ومثاليته مما يحول دون كشف عيوبه والتجرأ على رموزه وأسانيده ..

- صدر للمؤلف /

* الحركة الإسلامية فى مصر :الواقع والتحديات .
* مذكرات معتقل سياسى : ثلاث سنوات تحت التعذيب .
* الشيعة فى مصر : من الامام على حتى الامام الخمينى ..
* عقائد السنة وعقائد الشيعة : التقارب والتباعد ..
* مصر وايران : صراع الأمن والسياسة .
* الخدعة : رحلتى من السنة إلى الشيعة .
* فقهاء النفط : راية الاسلام أم راية آل سعود .
* السيف والسياسة : إسلام السنة أم إسلام الشيعة .
* موسوعة آل البيت (فى أجزاء)
* زواج المتعة حلال ..
* أهل السنة شعب الله المختار ..
* الكلمة والسيف : محنة الرأى فى تاريخ المسلمين ..
* ابن باز : فقيه آل سعود .
* دفاع عن الرسول : ضد الفقهاء والمحدثين ..

وتحت الطبع :

* فقه الهزيمة دراسة فى أصول الفكر السلفى .
* العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف ..
* مصارع الحكام فى تاريخ الاسلام ..
* الأزهر والحكام ..
* الميزان الجلى بين أبى بكر وعلى ..
* السلفيون والشيعة ..
* دفاع عن القرآن ..
* أحاديث نبوية اخترعها السياسة ..
* الامام على : سيف الله المسلول ..
* النص والسياسة : إسلام القرآن أم إسلام الروايات ..

فهرس موضوعات الكتاب :

هذا الكتاب

عندما نتحدث عن مدافع الفقهاء فإننا نقصد أولئك الفقهاء الذين توجهوا بمدافعهم نحو الجماهير لا نحو الحكام ومقاومة ظلمهم وفسادهم ..

نقصد أولئك الفقهاء الذين كانوا من صنع الحكام . أوهم برزوا ونموا وترعرعوا بدعم منهم ..

ومدافع الفقهاء التى نعرض لها فى هذا الكتاب لم تطل الجماهير فى زمانهم وتلحق بهم الخسائر الفادحة فى عقائدهم ومواقفهم ودينهم وتحقق الأمن والسلام ورغد العيش للحكام فحسب وإنما امتدت لتصيب الجماهير فى عصرنا الحاضر أيضاً..

إن القضية المطروحة فى هذا الكتاب لا ترتبط بالماضى وإنما هى ترتبط بالحاضر كما ترتبط بالمستقبل ..

الناشر